

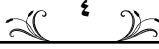
مأمورية حب

مأمورية حب

- الحب ليس روايةً يا حلوتي -

ياسمين السيد قنديل





اسم الكتاب: مأمورية حب

اسم الكاتبة: ياسمين السيد قنديل

تدقيق لغوي: محمود ربيع

تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى - ٢٠٢٠ م

رقم الإيداع: 2020 / 11062

الترقيم الدولي: 7 - 3 - 85718 - 977 - 978



arabiclibrary2017@gmail.com

almaktaba79@gmail.com



Facebook.com/arabiclibrary2017



01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي
يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي شكل
وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الفصل الأول (حظك اليوم)

في أحد الأحياء الراقية بمدينة السادس من أكتوبر، وبالتحديد في منزل المهندس طارق عمران، المهندس المعماري بإحدى شركات المقاولات الكبرى، وذلك كان قبل أن يتقاعد، رجلٌ بسيط متواضع ليس لديه في حياته ما هو أعلى من أسرته الصغيرة، والتي تتألف من زوجته، وابنته، أو حوريته كما يُطلق عليها .

كان طارق جالسًا في النافذة برفقة زوجته يحسبان الشاي، ويدخن السيجار مكملاً لذة استمتاعه بقراءة الجريدة الورقية كما العادة، فعلى الرغم من ازدهار الجرائد الإلكترونية إلا أنه لم يؤيِّدها قيد أنملة زاعماً أنه ما من شيء يمكنه أن يعوّض تلك الأوراق برائحتها المميزة؛ فهو لم يكتفِ فقط بقراءتها، بل هو من هواة جمعها، ويرفض رفضاً باتاً التخلص منها لأي سبب كان.

أخذت زوجته منال رشفةً من كأسها، ثم سألته:

- إيه؟ فيه أخبار مهمة النهاردة؟

هز طارق رأسه نافيًا، ثم قال:

- ولا أي حاجة.

- طب ما تشوفلنا حظك اليوم كده.

- ثاني يا منال؟
- جرى إيه يا طارق؟ هو احنا بنأمن بيها؟! احنا بس نتسلّى ونضحك شوية على اللي كاتبينه.
- تنهّد طارق يقلّب صفحة الجريدة قائلاً برضا:
- حاضر يا ستي.. انتِ برج الحوت مش كده؟
- نظر في الجريدة؛ فصمّت هنيهة ثم أردف:
- سيّك من الهبل ده.. حظّك اليوم إيه بس! ربنا يهديهم.
- تغيّرت ملامح منال إلى القلق قائلة:
- فيه إيه يا طارق؟ مكتوب حاجة وحشة؟
- طارق بمداعة:
- وانتِ قلقانة ليه؟ مش دي مجرد تسلية.
- منال بإلحاح:
- طب قوّلي يا طارق مكتوب إيه.
- هز رأسه رافضاً؛ فانتشلت منه الجريدة، ومضت تقرأ المكتوب بها "اليوم ستفقد شخصاً عزيزاً عليك".
- تقلّصت قسّامتها؛ فشعرت بموجة من الذعر تعترّيها، كاد طارق أن يتكلم لكن بادرتّه فتاته هاتفة:
- صباح الخير على أحلى بابا وماما في الدنيا.

رد طارق تحيتها مقبلاً رأسها:

- صباح النور يا حوريّتي الجميلة.

جلست جنةً على مسندٍ مقعد والدها، وحرّكت يدها أمام وجه والدتها صائحة:

- إيه يا نولا سر حانة في إيه؟

انتبهت لها منال:

- هاه؟! لا أبداً يا حبيبتى، انتِ لابسة كده ورايحة على فين؟

جنة بتعجب:

- إيه يا ماما انتِ نسيتي ولا إيه! أنا عندي كُورس في الدقي الساعة ١٢، والساعة دلوقتي ١١ يادوب ألق.

طارق: طب استنى يا حبيبتى آجي أوصلك بالعربية.

جنة بامتنان: مش مستاهلة يا حبيبي، المواصلات للدّقي سهلة.

طارق: اللي يريحك يا حبيبتى، ربنا يوفقك.

نهضت جنة وأخذت حقيبتها، وما إن فتحت باب الشقة حتى أتاها صوت منال تنادياها:

- جنة!

- فيه حاجة يا ماما؟

- هو انتِ لازم تروحي الكُورس النهاردة؟

تعجّبت جنة من سؤال والدتها، بينما هز طارق رأسه استنكاراً.. يعلم جيداً ما يدور برأس زوجته، والتي طالما عرف عنها شغفها بعلم الفلك والأبراج الذي لم تتخلص منه كما ادّعت، فقالت منال مصححة صيغة سؤالها:

- لا، قصدي يعني فيه حاجة ضرورية هتاخذوها، أصل كنت عايزة أروح لخالتيك.. هي تعبانة انتِ عارفة.. و.. وكنت عايزاكِ تيجي معايا.

أطلق طارق زفيراً متأففاً، ثم قال:

- روعي يا بنتي عشان ما تتأخرين.. أنا هنا وهروح معاكِ يا منال.

منال بلهجة قلق:

- طب صليتي الصبح وقولتي الأذكار؟

جنة بتأكيد:

- طبعاً يا حبيبتي.

ضمته منال تُرّبت على رأسها من فوق حجابها الأبيض الناصع قائلة:

- ربنا يحفظك يا بنتي، يلاً رُوعي.

أومأت بالإيجاب مغادرةً المنزل، بينما التفت طارق إلى زوجته قائلاً بنبرة عتاب: إيه يا منال مالك؟

منال بقلق:

- قلبي مش مطمئن يا طارق، أعمل إيه يعني؟ وعلى فكرة أنا قلبي مقبوض من ساعة ما صحيت مش من كلام الأبراج يعني.

أحاطها طارق بذراعه بخنوّ قائلاً:

- طب استهدي بالله، إن شاء الله خير، ادعي ربنا يحميها واستودعيه فيها، الي عند ربنا ما بيضيعش، وكل حاجة هتبقى تمام بإذن المولى.
- تمتت منال بنبرة توتر:
- يارب.. يارب.

- في مكان آخر خاص بالأمن الوطني كان هناك الرائد هشام العجمي يُشرف على فريق من التقنيين الذين يراقبون الشاشات البصرية والحواسيب الإلكترونية، التقط هاتفًا لاسلكيًا على اتصال بأحد رجاله، ونطق به:
- سعيد! ابدأ الإشارة.
 - مع حضرتك يا فندم.
 - انتَ ورا الهدف في ٦ أكتوبر الحي الرابع، تمام؟
 - تمام يا فندم، بس فيه حاجة غريبة.
 - اتكلم على طول يا سعيد فيه إيه؟
 - الهدف دخلت الكنيسة الأرثوذكسية.
 - الكنيسة؟! دخلت من امتى؟
 - من حوالي عشر دقائق ولّسه ماخرجتش.
 - وانتَ يا بني آدم قاعد مستنيها برّه؟! هو انت مستني خطيتك! حالًا تكون تحت عينك، انت فاهم؟



- عُلِّمْ وَيُنْفَذْ يا فندم.

دلف سعيد إلى الكنيسة بتوجس خشية أن تراه الشخصية المستهدفة، كان ذلك في تمام يوم الأحد، وكانت الكنيسة مكتظة بالمصلين، وقف سعيد في آخر صف للمصلين يبحث بعينه عن هدفه، وبعد أن تأكد من عدم وجوده تسلل إلى المذبح متخفياً بين الأعمدة حتى وصل إليه، لكنه لم يجد أحداً، جاب الكنيسة بكاملها من الداخل لكنه لم يحصل سوى على النتيجة ذاتها، خرج يُجوس حول الكنيسة في حركات استكشافية خفية، لكنه تأكد من خلوّ الكنيسة من هدفه، ذلك ما أثار الخوف بجوفه، لقد ضلّ عن هدفه وأضاعه من بين يديه؛ فهو المسئول الآن، لا أحد سواه.

التقط سعيد جهازه اللاسلكي على مضض، هاتفاً بتردد:

- سيادة الرائد.

- معاك يا سعيد، اتكلم.

- الهدف... مش في الكنيسة يا فندم.

أطبق هشام عينيه بسخطٍ مرير وأطاح بفنجان قهوته أرضاً حتى صار حطاماً، ثم التفت إلى أحد التقنيين في عجلة صائحاً:

- توفيق، جهاز التتبع شغال ولا اتوقف؟

- لا شغال يا فندم.

- طب تمام، حددلنا موقعها بالضبط عشان الغبي ده يلحقها.

- حالاً يا فندم.

في الوقت ذاته في موقف الحصري للميكروباص، استقلّت جَنّة أحد الميكروباصات، وكانت وجهته الجيزة؛ حيث تنزل منه عند جامعة القاهرة، وتستقلّ من بعده مترو الأنفاق حتى محطة الدقي، وفي أثناء انتظار السائق لاكتمال عدد الركاب وقفَ مع أحد السائقين يدخان سيجارهما ويحتسيان الشاي، تلك العادة التي يتفق عليها أغلب السائقين قبل الإقلاع بميكروباصاتهم.

في تلك الأثناء، وبينما كانت جَنّة تعبُثُ بهاتفها ظهرت فتاة يبدو عليها الغُلب وقلة الحيلة، ترتدي ثيابًا بسيطة، وتحمل بيدها كيسًا من الخضروات، وسألت جنة:

- هي العربية دي بتروح الجيزة لو سمحتي؟
أومأت لها جَنّة أنه نعم، وأفسحت لها مقعدًا؛ فاستقرّت بجانبها إلى حين أتت لحظة دفع الأجرة، التفتت الفتاة إلى جَنّة طالبة منها بلهجة مسكينة:

- لو سمحتي ممكن تدفعيلي؟

أومأت جنة بودّ قائلة:

- أكيد طبعًا.

ابتسمت الفتاة بقلة حيلة، ثم قالت لها بعد لحظات:

- ممكن أعمل مكاملة من تليفونك؟

- آه طبعًا، اتفضلي.

في الأمن الوطني:

- ها يا توفيق؟
- يافندم الهدف على محور الكفراوي.
- نعم؟! طب ازاي هي خرجت من غير ما حد يشوفها.. ده معناه إنها اتنكرت في لبس تاني، بس لو كده ازاي جهاز التعقب لسه شغال؟!
جاءه صوت لاهث:
- يا فندم، الهدف اتصلت على تليفون العنصر المجهول من رقم غريب.
- رقم مين؟
- رقم متسجل باسم... جنة طارق محمد عمران.
- وإيه جنة دي كمان؟! أكيد دي اللي ساعدتها تهرب من رجالتنا.
سامر:
- أو يمكن خط مسروق أو مش بتاع حد.
- هشام بثقة:
- كله هيبان.. سمّعني يا ابني المكاملة.
- ألو.
- برافو عليك، قدرتي تهربي منهم.
- الفضل يرجع لها، لولاها ماكانش زمني بكلمك دلوقتي.

- يلاً الرئيس مستنيكوا.. العملية لازم تتعمل في معادها.
- أكيد، قول له مايشيلش همّ.
- تساءل هشام بلهفة:
- توفيق، قدرت تحدد مكان العنصر المجهول؟
- تم يا فندم.. العنصر بيتكلم من منطقة سكنية بالمنيل.
- صاح هشام بـ سامر: سامر، جهزلى قوة بسرعة.. لازم نحاصرهم قبل ما يهربوا، وانت يا جمال خد قوة واطلع على مكان الشخص الي كانت بتكلمه، لازم نجيبه في أسرع وقت.
- بس دي ماكاتتش الخطة يا فندم.
- نفذ الأمر يا سيادة النقيب.
- بس سيادة اللواء...
- أنا هتحمل المسؤولية كاملة قدام سيادة اللواء، مفيش وقت لازم يكونوا تحت إيدنا في أسرع وقت.. الله أعلم ناويين على إيه المرة دي ومين هو هدفهم.

ثم التفت إلى عماد هاتفاً:

- وانت يا عماد مش عايزهم يغيبوا عن عينك لحظة.
- عليم يا فندم.

وعند طلعة الدائري أوقفت تلك الفتاة الميكروباص، ونزلت، بينما غادر الميكروباص مستكملاً طريقه، وهي تنظر إليه بابتسامة مأكرة تلوح بيدها سلاماً، تتذكر ذلك القرص بسترها التي كانت ترتديها قبل تلك الملابس البالية المهلهلة، والتي تحتوي على جهاز تعقب دقيق قد دُس بها أثناء وجودها في الدراي كلين بالفندق، وقد تخلصت منه بحرفية تامة ستؤجل عنها خطوات الشرطة حتى تتمكن من الوصول إلى هدفها وتحقيق مبتغاه.

سارت بضع خطوات حتى استقرت أمام سيارة سوداء من الطراز مرسيدس، وأخرجت من جيب داخلي بملابسها المهلهلة ريموت كونترول، ضغطت على زر الفتح؛ فأصدرت السيارة صوتاً معلناً فتحها، ركبت السيارة، وبينما كانت تنزع عنها ملابسها البالية ليظهر منها ملابس أنيقة ذات علامات تجارية راقية، وأزالت تلك الخرق الفانية عن رأسها ليظهر شعرها الأشقر اللامع، فوجئت برجل يحدّق بها من خارج الزجاج يضرب كفّاً بكف، يصيح استهجاناً:

- منكوا لله يا بعده، تعملوا شحاتين وانتوا بتلعبوا بالفلوس لعب، بتنهبوا الناس يا..

ما كاد يكمل كلمته حتى أخرجت كارولين مسدساً من ذلك الكيس البلاستيكي وشهرته بوجه الرجل؛ ففرّ هارباً في لمح البصر.

في الجانب الآخر كان هشام وقوته في طريقهم لمحاصرة ذلك الميكروباص، حين أردف سامر وهو ينظر باللوح الإلكتروني بيده:

- الميكروباص خذ نزلة كوبري فيصل يا فندم.

اعتصر هشام قبضته بحنق صائحًا بالسائق:

- شد شوية يا فتحي وشغل السرينة .

سامر:

- فيه مشكلة يا فندم.. الهدف دخلت المترو.

ضرب هشام رأسه، واتجه فتحي بأقصى سرعة إلى محطة جامعة القاهرة.

في تلك الأثناء كانت تقطع جنة تذكرة المترو إلى محطة الدقي.

توقفت السيارة، ونزل منها هشام وسامر والقوة من خلفهما يركضون الدّرج حاملين مسدساتهم في عرض مفرع، وما إن شاهدَهُم العامة حتى أصابهم الهلع؛ فاصطفوا على جانبي الطريق محدّثين بذلك ممراً وسطياً ركضوا من خلاله.

راقب هشام الهدف على اللوح الإلكتروني، وجد وجهته هي الدرج المؤدي لاتجاه شبرا الخيمة، ركض الدرج هابطاً ورجاله من خلفه يتفقدون الركاب حتى أتى المترو فاتحاً أبوابه لثوانٍ معدودة، في تلك اللحظة أصدر اللوح

الإلكترونى صوتًا منذرًا بقرب الهدف؛ فهرع به هشام حسب اتجاهه، وقد كان عربات السيدات.

اصطدم هشام بإحداهن معتذرًا دون الالتفات إليها، حينها أعطاه اللوح الإلكتروني إشارة بالوصول إلى الهدف، اتسعت عيناه وسنت أسنانه محدثة صريرًا، وما كادت جنة تضع قدمها إلى داخل المترو حتى فوجئت بانتزاعها منه سريعًا وقد أغلقت الأبواب، أمسك بيدها بقوة دون أن يلتفت إليها مقيدًا حركتها، صرخت جنة من ألم ذراعها الذي كاد يقتلع من جسدها إثر شدة المفاجئ.

التفت إليها مخترقًا بنظراته الثاقبة حصون دهشتها الجلية بعينيها الداكنتين؛ فاعتراها الذعر مخفّفًا له قلبها بقوة متسمرة مكانها، تجوبه بعينين متألمتين لقبضته؛ فضغط عليها بقسوة صائحًا بها؛ فانتفضت:

- فين كارولين؟ انطقي.

ازدردت ريقها محاولةً جمع شتات كلماتها المبعثرة، ثم قالت بارتباك:

- سيب إيدي! كارولين مين؟ انت أكيد غلطان.

أشار بانفعال لرجاله بتفقد المحطة، وأمر سامر بتفقد كاميرات المحطة الداخلية والخارجية، ثم ترك جنة قاذفًا إياها إلى أحد رجاله؛ فأمسك بها، بينما التقط هشام حقيبتها، وأخرج منها القرص الذي يحتوي على جهاز التتبع يديره بين أصبعيه أمام عينيها قائلاً بتوعد:

- ماتعرفيش مين كارولين هاه؟ انت يومك مش معدّي النهاردة.

قُيِّدَت جَنَّةٌ بقبضة أحد الشرطيَّين، لا تفهم أساسًا ملابسات ما يجري حولها، كانت تلك المرة الأولى التي تحتكَّ فيها بذلك الزيِّ الشرطيِّ؛ فبعمرها ما دخلت قسم شرطة، وإن مرّت من أمامه بالصدفة تُسرّع في خطاها مما أثار الرهبة في نفسها؛ فراحت تترنح بين قبضة الشرطيِّ تشعر بغثيان يعصف برأسها، تنقلب المحطة أمام عينيها رأسًا على عقب، وقد أصبح الناس تتلاشى ملامحهم، لكنها حاولت قدر المستطاع المحافظة على اتزانها وعدم الاستسلام؛ فهي حتى لا تعرف ماذا يحدث لها، وعن أي شيء يتحدثون، أخذت نفسًا عميقًا محاولةً كبح لجام دموعها حتى لا يظهر ضعفها وخوفها فيشكون بها.

سلك هشام طريقه إلى غرفة المراقبة، ثم دلف إليها مبتدئًا سامر والمراقب:

- ها لقيتوا حاجة؟

سامر:

- للأسف يا هشام بيه كارولين مالهش أي أثر في المحطة، ولا دخلت ولا خرجت منها.

عاد هشام إلى فريقه ساخطًا، وأمرهم بالمغادرة هاتقًا لذلك الشرطيِّ:

- هاتها يا ابني.

صاحت جَنَّة بتلجلج:

- ياخذني فين؟! أنا.. أنا معرفش حاجة.. لو سمحت...

لكنها لم تجن من صياحها شيئاً؛ فانهمرت دموعها بجزع وقلّة حيلة، تأمل أن ينقذها ربّها من المجهول الذي ينتظرها ولا تدري ما هو، وما شأنها به..
و.. ومن تلك كارولين؟

في جهاز الأمن الوطني وجدت جنة نفسها مُلقاة في غرفة صغيرة مظلمة، إلا من ضوء خافت كان مركزه يوازي منتصف الطاولة المستطيلة التي تربض إليها في دعر يمنع انزلاق غصتها في حلقتها، أخذت تفقد الغرفة المغلقة تماماً بلا نوافذ، سوى قطاع زجاجي لا يُظهر ما خلفه من الجهة الخارجية، وباب واحد موصل بإحكام.

في مكان آخر بالجهاز، دخل هشام وسامر حيث التقى بهما جمال؛ فسارع هشام بسؤاله بلهفة:

- ها يا جمال قبضت عليه؟
- صمت جمال يلوح بعينيه التردّد، يبدل نظره بين سامر وهشام، ثم مد يده إليه بهاتف نقال، تناوله هشام بتعجب واستغراب، ثم سأله بنفاد صبر:
- إيه ده يا جمال؟ وبسألك قبضت عليه ولا لأ؟
- للأسف يا هشام بيه، ماكانش فيه هناك أي حد غير الموبايل ده.
- فتح هشام بكل سهولة؛ فلم يكن يحمل نقشاً أو رمزاً سرياً، وفوجئ بإحدى تطبيقات المجيب الآلي، ضغط عليه وفتح آخر رد به؛ فسمع:

- برافو عليكى، قدرتى تهربى منهم.

-

- يلاً الرئيس مستنيكوا.. العملية لازم تتعمل فى معادها.

-

ثم ضغط على زر السابق مراراً، وفي كل مرة كان يسمع إحدى المكالمات التي كانوا يراقبونها بين كارولين، والعنصر مجهول الهوية.

حدّجه هشام بنظرات نارية مستعلماً:

- كانت مكالمات مسجلة؟

جمال:

- بالظبط يا سيادة الرائد، للأسف كل ده كنا بنراقب مكالمات مسجلة

هدفها إبعادنا عن الطريق اللي بيمشوا فيه.. ما عدا مكالمة واحدة بس يافندم والي تمت من تليفون الفندق اللي كانت نازلة فيه للعنصر المجهول.

استنتج بداخله دون أن يتفوه بحرف: يعني كده البنت اللي قبضنا عليها

ممكن مايقاش ليها علاقة بيهم؟!

أطبق هشام عينيه يحاول جَمْعَ الخيوط المشتّتة برأسه، ثم قال:

- فيه حلقة مفقودة، إيه اللي يخلى كارولين تتصل من تليفون واحدة

ماتعرفهاش.

جمال:

- عشان تكسب وقت وتهرب.

هشام بعدم اقتناع:

- كارولين كده بتعرض نفسها والمافيا كلها للخطر لما تكشف نفسها، ده غير إنها كان ممكن تتخلص من جهاز التتبع وتهرب، إنما إيه اللي خلاها تحتفظ بيه وهي عارفة إن كده هنكون وراها.. إلا إذا كان ده اللي هي مخططاله؛ إننا نمسك البنت دي عشان تضللنا وهي تنفذ اللي جات مصر عشانه، وده هيكون معناه إن البنت دي واحدة من المافيا أو شباب مجندين للمافيا من بعيد، وعشان كده مش لازم نتأمل إننا نطلع منها بمعلومات مهمة.

سامر:

- أعتقد كده يا فندم.

جمال:

- كلام معقول جدًا يا فندم، خاصة وإن التحريات بتقول إن البنت دي على علاقة زمالة مع شاب اسمه أحمد حسن بدر له نشاطات سرية.

هشام:

- سرية من أنهي نوع؟ وريني كده.

تناول منه الملف، بينما تابع جمال:

- بيقدم معلومات مهمة لبعض الشبكات الإجرامية، ده غير إنه هكبر كبير في الشبكات المعلوماتية، وبيقدر يخترق نظم كبيرة ليها نظم حماية عالية،

وبيجند بعض الشباب لجمعية سرية، طبعاً بعد ما بيعملهم غسيل مخ،
وبياخذ عليهم عمولة في الآخر.

قلب هشام شفتيه متمماً:

- مقال يعني.

أوما جمال:

- بالظبط يا فندم.

فتح هشام ملف جنة وقرأ بعض المعلومات عنها:

- الاسم: جنة طارق محمد عمران، السن: ٢١ سنة، المهنة: طالبة في

الصف الرابع بكلية الألسن جامعة عين شمس، تدرس اللغة الإنجليزية
والأسبانية...

همهم هشام وكأنها يحاول ربط الخيوط ببعضها:

- اللغة الأسبانية! امم.

سامر بحماسة:

- كده يا فندم فيه كذا شبهة حوالها؛ الأولى وهي علاقتها بأحمد بدر،

والثانية جهاز التتبع والاتصال من رقمها، والثالثة هي دراستها للغة

الأسبانية، صحيح ده مش سبب اتهام بس الهدف اللي بنبحث عنها أسبانية

وممكن يكون ده سبب كافي عشان تكون في استقبالها.

هشام:

افتكر دائماً يا سيادة النقيب إن الدنيا كلها عندها $1+1=2$.. بس إحنا لا.

سامر:

- بس برضه يافندم مانقدرش نتغاضى عن الشبهات اللي حوالينا.

هشام:

- كده كده هنعقق معاها وكل حاجة هتبان، ومع ذلك لازم كل الجهات الأمنية تاخذ إخطار بمواصفات كارولين، وإنها مطلوب القبض عليها، وصورتها تكون على الانترنت من الممنوعين من السفر.

جمال:

- حصل يا فندم.

هشام:

- ممتاز، يلا يا سامر معايا أما نشوف حكاية ست جنة دي كمان.

الفصل الثانى

"تحقيق"

أخذت جنة تجوس في الغرفة المغلقة هلعًا والدموع تسيل على خديها، تنهش ملوحتها ببشرتها الرقيقة مُحْدَثَةً احمرارًا وهجًا، توقفت أمام الباب الوحيد بالغرفة، وشرعت تدير مقبضه مرارًا بانفعال، تصرخ من بين نحيبها:

- فيه حد هنا؟ طلعوني من هنا أرجوكم، أنا ماعملتش حاجة.

وبينما كانت تدير المقبض وتطرق الباب، فُتِحَ فجأة ليظهر منه هشام بهيئته المهيبة، يحيط كتفيه حاوي مسدسيه، منتصبًا في شموخ، وعلى وجهه أمارات الاستهجان الماكر قائلًا:

- بتعملي إيه؟ ده على أساس إنه باب في بيتكوا تقدرى تفتحيه بسهولة

كده أو حتى صوتك يطلع منه.. شكلك كده مش عارفة انتِ فين!

استطاع هشام أن يقذف الرعب بقلبها؛ فشعر بهالة من الأدرنالين تطوق بها؛ فابتسم بخفة للحصول على أول نقطة تُحَسِّبُ له في ذلك التحقيق الذي لم يبدأ بعد، فقد كان هشام ضليعًا في التأثير على المجرمين والمُشتَبَه بهم، يزعم أن لكل شخص مدخلًا إن أدركته فمن اليسير الخوض في أعماقه وإخراج ما تشتهي، صاحت جنة بوهنٍ ممزوج بالخوف:

- آه مش عارفة أنا فين.. أنا فين؟ وانتوا مين وعايزين مني إيه؟

اقترب منها هشام بخطوات تحذيرية، خلع أحد مسدسيه ووضعه على الطاولة أمامها بحركة تهديدية، ثم أمسك بالآخر وقام بتلقيمه ومن ثم وضعه بجانب الآخر، وما زال يتحرك نحوها حتى سقطت على المقعد الذي كانت تقبع عليه من قبل، تحاول النظر إليه ومواجهته من خلف رعبها؛ فقال بروية:

- تؤ تؤ تؤ، اعقلي كده أو مال، ولما تتكلمي معايا توطّي صوتك..

فاهمة؟

قال كلماته الأخيرة بلهجة عصبية؛ فالعصبية المفزعة هي قناع مُحَنِّكٌ يجيد هشام ارتدائه في الوقت المناسب ويسقطه عنه متى يشاء، ازدردت جنة ريقها تحاول التقاط أنفاسها المتقطعة، تبتعد بعينها عن ناظره، حتى انتبهت لحديثه متابعًا بنبرة حاسمة بعدما ابتعد عنها ليستقر على رأس الطاولة في مواجهتها:

- آه.. وأنا هنا الي بسأل مش حد تاني، ولما أسأل تركّزي وتفكّري ألف مرة قبل ما تقولي أي إجابة.. عشان ماتندميش بعدين.

حدجته جنة بنظرات اشمزاز يتخلّلها الخوف، وما زالت في انتظار هطول أسئلته علّها تنتهي من ذلك الأمر برمّته، إلا أنها سمعت نبرة هادئة ربما تكون الهدوء الذي يسبق العاصفة _ هكذا فكرت _:

- مبدأياً هصدّق إنك مش عارفة انت فين وليه وهقولك.

قاطعته جنة باندفاع ندّمت عليه:

- أنا مابكذبش و..

هشام بحدة:

- دي آخر مرة أسمحلك تقاطعيني.

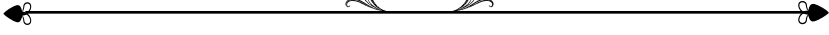
أخفضت جنة عينها تحاول مسح دموعها بخفة والتظاهر ببعض القوة، إلا أنّ الإجابة أتتها الصادمة:

- انت هنا في جهاز الأمن الوطني، ومتهمة بمساعدة عضو مافيا من الهروب معنا؛ بما يعني إنك عضو في المافيا دي انت كمان.

كان سامر يقف في الناحية الأخرى، يراقب التحقيق من خلف النافذة الزجاجية منبهراً بطريقة وكاريزما هشام وتأثيره في سير التحقيق، كما يدهشه في كل مرة؛ فيكون بشخصية مختلفة عن الآخرين لكنه في النهاية يخرج بالمعلومات الكافية لإنهاء القضية بالشكل الأمثل بلا السماح لوجود ثغرات، وصله صوت جنة وهي تقول بانهار وعدم تصديق:

- حضرتك بتقول إيه؟ مافيا.. وأمن وطني وعضوة! أنا.. ف مافيا.. لا لا.. حضرتك أكيد غلطان.

افتّر عن ثغر هشام ابتسامة تهكمية، وكأنه يقول لها تابعي تمثيلك؛ فهذا يثيرني، نهضت جنة وقد خارت قواها فلم تعد تشعر بركبتها؛ فسقطت مكانها مرة أخرى، تحاول تجميع الكلمات المبعثرة على طرف لسانها والدموع تغرق وجهها: صدّقني يا حضرة الظابط، والله أنا معرفش أي حاجة عن الي بتتكلم عنه، أرجوك أنا لو مارجعتش لأهلي النهاردة هيموتوا، دول ماعندهمش غيري.



هشام بجمود:

- وما عملتِش حسابهم ليه قبل ما تورّطي نفسك.

جنة بصراخ:

- قولتلك ما عرفش انت بتتكلم عن إيه.

هشام بتهديد:

- وأنا قولتلك قبل كده صوتك ما يعلاش.

تابع هشام حديثه وهو يقف خلفها منحنيًا إليها كثعبان يلتفّ حول فريسته؛
ليحكم قبضته عليها؛ فانكملت وتقلصت داخل نفسها:

- ودلوقتي وبكل هدوء هتقوليلنا كارولين فين؟ وإيه العملية اللي
جات تنفّذها في مصر المرة دي.. اغتيال ولا سرقة ولا آثار ولا تهريب أسلحة
ولا....

باتت جنة تترنّح تشعر بالدنيا من حولها وكأنها شاشة تلفاز أغلقه أحدهم؛
فاستشر اللون الأسود إلا من تلك النقطة البيضاء قبل أن يُطفأ تمامًا، ومن ثم
سقط رأسها على الطاولة في خضوع تام.

دلف سامر وقد أخذته الحماسة مشيرًا إليها برأسه وقد تناول كأسًا من المياه
قائلًا:

- سييلي أنا المهمة دي يا فندم.

كاد يרטُم المياه بوجهها، ريثما أوقفته قبضة هشام الحديدية قائلًا بتهكم:

- إيه يا سامر؟ مالك بقيت عنيف كده؟! اهدا مش كده أومال.

تعجب سامر لردة فعله وقد استشف أن رئيسه سيقوم بأمر جديد قد يفاجئه، وأي مفاجأة كانت حينما أمره هشام:

- اطلب واحد ليمون.

حدّق به سامر مندهشاً، قائلاً باستهجان:

- واحد ليمون يا فندم؟

هشام بسخرية:

- عايز؟ نخليهم اتنين؟

سامر بتردد:

- لا يا فندم.. تمام.. واحد ليمون واحد ليمون.

بعد دقائق استأذن الساعي، ودلف واضعاً كأس الليمون على الطاولة بهدوء، وما زال سامر يراقب من الخارج متعجباً لموقف رئيسه، نَقَطَ هشام بعض قطرات المياه على وجهها وقد لمح به الأسى والشحوب، لا يستطيع نكران تلك القشعريرة التي سَرَت بجوفه حينها؛ فكان الأمر غريباً عليه، ربما ضميره ينبهه أنه مخطيء ويتوجب عليه التوقف عن ذلك لكنه لم يُعر كل ذلك اهتماماً على أية حال، أَجْفَلَت جنة لسقوط القطرات على وجهه، وراحت تطبّق عينيها بقوة، ثم فتحتها رويداً، تأخذ شهيقاً بالكاد يتّسع له صدرها المثقل بالخوف والهلع، أمسكت برأسها بين يديها؛ فقد كان يؤلمها كثيراً، وكانت تلك حالة طبيعية لتخبّط الصدمات والأفكار داخل عقلها ولا رتطامه بالطاولة أيضاً.

انتفضت جنة لما التقطت عينيها صورة هشام أمامها، وقد أظهر لين جانبه حينما هتف بنبرة عادية:

- اتفضل اليمون، واهدي عشان نقدر نتكلم.
حدقت به جنة بنظرات الشك والريبة تبدلها بينه وبين الكأس الموضوعه أمامها.

فرغ حاجبه، ثم التقط الكأس ورشف منها، ثم وضعها أمامها ثاني، وهو يقول بتلذذ:

- امم.. مافيه اش سم.. تقدري تشربي، وبالمناسبة انت في جهاز أمن وطني مش عصابة ولا مافيا.
صمت برهة ثم هتف بلهجة آمرة:
- اشربي!

تناولت جنة الكأس بيد مرتعشة وتجرعت منه القليل، ثم مسحت العصير المتناثر على شفيتها المرتجفتين حالما كان هشام جالساً على المقعد أمامها يتظاهر بقراءة ملفها، في حين أنه في واقع الأمر كان يدرس حالتها ويحلل ردود أفعالها.

وضع هشام الملف من يده وقد تبدلت لهجته قائلاً بهدوء:
- أظن دلوقتي نقدر نتكلم بهدوء.

هدأ روعُ جنة قليلاً تستمع إليه، وكل ما يجول بخاطرهما هو تساؤل واحد: كيف لها أن تقنع ذلك الشخص بأنه لا علاقة لها بما فيا أو غيرها وهو غير مستعدّ لسام تلك الترهات من وجهة نظره.

استأنف هشام حديثه:

- ها يا آنسة جنة.. مش ناوية تقوليلنا كارولين فين؟ طب بلاش السؤال ده أكيد زهقتي منه، نسأل سؤال تاني، مين اللى بيدّيكى الأوامر في المافيا ومرتبته إيه فيها؟

قلّبت جنة عينها بيأس؛ فتطرّق إلى ذهنها تلك العبارة الشهيرة التي طالما سمعتها في الأفلام في مثل هذه المواقف "مش هتكلم غير قدام المحامي بتاعي"؛ فنطقت:

- أنا عايزة محامي، وأظن من حقي أعمل مكاملة تليفون.

ضحك هشام هازئاً، ثم قال:

- محامي ومكاملة! انتِ مفكّرة نفسك فين؟!

ثم تبدّلت لهجته لتصبح أكثر صرامة:

- شوفي بقى، ولا محامي ولا غيره هيقدرُوا يطلّعوكي من هنا.. أنا بس

اللي في إيدي ده، فيا إما تقنعيني إنك بريئة وساعتها هخرّجك، يا إما هتفضلي هنا لغاية ما...

توقف لسانه فجأة عن النطق بتلك الكلمة، لا يدري لماذا؟ على الرغم من أنها ليست المرة الأولى التي يهدد بها مجرميه بتلك العبارة، ربما لأن بداخله ما ينبّه بأنها ليست مجرمة؛ فتابع تهديده مغيرًا كلماته:

- يا إما هتفضلي هنا لغاية ما تعترفي بكل حاجة بمزاجك أو غصب عنك.

عرفَ النحيب طريقه إلى عيني جنة؛ فصارت تبكي بحرقة وهي تقول من بين شهادتها:

- والله العظيم ما أعرف انت بتتكلم عن إيه.. طب.. طب فهمني مين كارولين؟ وليه أنا اللي بتتهموني بالحاجات الغريبة دي؟! هشام بنفاد صبر:

- انتِ هتستعبطي؟! جهاز التتبع ده (قالها وهو يريها إياه) كان في شنطتك، تقدري تقوليلي وصلّها ازاي؟ والمكاملة اللي عملتها كارولين لواحد من المافيا من تليفونك.. جنة باستذكار:

- شوف.. أنا معرفش حاجة عن قرص التتبع ده ولا ازاي وصل شنطتي.. آه المكاملة! المكاملة دي عملتها واحدة غلبانة كده كانت راكبة جنبي في الميكروباص، و...

قصّت عليه جنة حكاية تلك الفتاة التي كانت تركب بجانبها، بينما كان هشام يستمع إليها بعينين ثابتتين لا تعكسان أي شيء، ولا يبدو بهما التصديق من عدمه.

وبعد أن انتهت أردف هشام:

- أحمد حسن بدر، إيه علاقتك بيه؟

تعجبت جنة قائلة: اشمعني؟!

صاح بها ضجرًا: قولتلك أنا هنا اللي بسأل.

جنة: ده زميلي في الجامعة، مش أكثر.

هشام: هو اللي عرفك على المافيا؟

جنة باستهجان: وهو إيه علاقته بالمافيا دي؟!

زفر هشام متمنًا: امم.. دي بائنها غيبة.

حينذاك دلف سامر وهمس إلى هشام: سيادة اللواء عايزك يا فندم.

هشام: تمام، هروحله حالًا وكفاية كده النهاردة.

سامر: اللي تشوفه سيادتك يا فندم.

وما كاد هشام يخرج من الغرفة حتى هرعت إليه جنة متسائلة بلهفة:

- انت رايح فين؟

رفع حاجبه استنكارًا؛ فابتلعت ريقها تترجاه:

- أرجوك، ماتسببنيش هنا لوحدي، أنا عندي فوبيا من الأماكن

المقفولة والضلمة، ممكن يغمى عليّا.

رمقها هشام باستخفاف، ثم قال لسامر:

- خدّها تبات في مكّتي النهاردة.. أما نشوف آخرتها.

سامر: حاضر يافندم.

جنة بفرع:

- هو أنا هبات هنا؟! طب وأهلي؟ أكيد زمانهم قلقانين عليّا.

تقدم هشام نحوها مسافة قدمين في شيء من التهديد قائلاً:

- أنصَحِك في وقت زي ده تخافي على نفسك.. يلا يا سامر.

الفصل الثالث

"ارتياب"

في مكتب اللواء منير ثروت..

طرق هشام باب مكتب اللواء حتى أذن له بالدخول؛ فدلف ملقيًا التحية على رئيسه وهو يعلم جيدًا أنها ستردّ له توبيخًا، ولم يحبّ ظنه حينما أردف اللواء:

- أهلاً يا سيادة الرائد.. مش رائد برضه! ولا حضرتك اترقيت وأنا معرفش، أو يمكن الآية اتقلبت.

هشام مقاطعًا محاولاً الدفاع عن نفسه:

- يا فندم العفو، بس..

اللواء بحزم:

- ماتقاطعنيش، يظهر إني اتساهلت معاكوا عشان بعاملكوا بودّ زيادة عن اللازم، وكانت النتيجة إني أبقى آخر من يعلم بالتطورات اللي بتحصل في القضية.. مش كده؟! لولا إني بثق فيك وإنك ماخذلتنيش ولا مرة قبل كده وملفك نضيف أنا كان هيبقى ليّا معاك تصرف تاني، وهكتفي المرة دي بتحذيرك، مفهوم؟!

هشام مطأطئاً رأسه:

- مفهوم سيادتك.

اللواء: اتفضل اديني تقرير بكل الي حصل، ومين الي قبضتوا عليها؟
وفين كارولين؟

مد هشام يده ببعض التقارير، ومن ضمنها ملف جنة شارحا له الأمر
باستفاضة؛ فعقب اللواء مستفهماً:

- وانت شايف إن البنت دي ممكن يكون ليها علاقة بالمافيا؟

هشام بتفكير:

- بصراحة يا فندم اعتقادي ٩٠٪ إنها مالهش علاقة بيهم، وإنها مجرد
ضحية يشغلونا بيها عنهم.

اللواء:

- ولو ده حقيقي؛ فكده البنت دي هتكون معرضة للخطر، خاصة بعد
ما عرفت معلومات عن المافيا وكشفت وش كارولين.

هشام بأسف:

- للأسف يافندم، بس ماعندناش حل تاني غير إننا نحقق معاها، جاز
تكون ممثلة ممتازة واحنا مش لازم ننخدع في براءتها.

اللواء بتهكّم: براءتها؟!

قحّ هشام متابعا بتوتر:

- احم.. أقصد هيئتها يا فندم.. هيئتها.

ضحك اللواء قائلاً: مفهوم يا سيادة الرائد، بس يكون في معلومك البنت
دي لو طلعت بريئة، أمر حمايتها هيكون مسئوليتك.

هشام: أكيد سيادتك.. أكيد.
و بعد انتهاء حوار اللواء مع هشام، همَّ هشام بالمغادرة، وما كاد يخرج من الباب حتى استوقفه اللواء:

- هشام!
- تحت أمرك يا فندم.
- هو أنا ليه حاسس إنك شاكك في حد معين وإن ده اللي مخلّيك مستبعد الشبهات عن البنت دي.
- ابتسم هشام على ذكاء اللواء الذي اعتاد عليه؛ فلطالما تعلّم منه الكثير من أمور الدهاء؛ فلا عجب الآن أن يفهم المعلّم ما يجوس بخاطر تلميذه، ردّ هشام بعينين ماكرتين:
- ظن سيادتك في محله يا فندم.
- اكتفى اللواء بهذا الرد؛ فهو يدرك جيّدًا أنه ليس بوسع هشام إلقاء التهم جزافًا قبل أن يتأكد بجمع الأدلة، والتي لو كانت تحت يده لما صمّت حتى ذلك الحين.

في منزل جنة...

كانت الساعة تدق التاسعة مساءً، ولم يكن المنزل في حالة مستقرّة بالمرة، بل كان يجوبه الهلع والفرع؛ فجئته لم تعد إلى البيت منذ أن غادرت في الصباح، جاءت خالتها وولداها مالك وأحمد لمساعدة والديها في البحث عنها ومواساتهما، هتفت منال بقلق: ها يا طارق؟!

طارق بجزع: لسه موباييلها مقفول.

خالتها: طب سألتوا عليها في الكورس خلصته امتي؟

طارق: بيقولوا ماراحتش النهاردة.

خالتها: يعني إيه يعني؟ أو مال تكون راحت فين؟

حدجها ابنها أحمد بنظرة توّسل للكفّ عن كلام في غير محله ولا أوانه؛ فقالت: هو أنا قولت حاجة! أنا أقصد مثلاً تكون خرجت مع صحباتها، أو... منال وهي تأمل معرفة أي احتمال يوصلها بابنتها: أو إيه؟ أختها بتردد:

- يعني.. جنة مش صغيرة برضه وأكيد ليها زمايل.. شباب في الجامعة.. ممكن يعني، ممكن...

تدخل ابنها أحمد مقاطعاً:

- ماما! جنة متربية كويس، وأظن مش وقته أبداً كلام زي ده.. لو

سمحتي.

أحمد هو الابن الأصغر لسلوى _ خالة جنة _ ويكبر جنة بستين فقط، لم تكن جنة تمثّل له ابنة الخالة فحسب، بل كانت علاقتها أقوى من والدتيها بذاتها؛ فكان لها خير الأخ الذي لم تلده أمها، والصديق حافظ أسرارها، وكانت هي له بالمثل؛ لذا لم يكن بتأتًا على استعدادٍ لسماع كلمة سيئة بحقها وإن كانت من أمه، والتي لم تقصد هي الأخرى التجريح أو الإهانة، لكن عفويتها الزائدة أحيانًا لا تكون في صالحها.

أما عن مالك فهو الابن الأكبر لسلوى يعمل مهندسًا، وتزوَّج حديثًا من فتاة طيبة هي بالأساس صديقة لجنّة وتدعى "سارة"، هتف مالك:

- أنا ليا واحد صاحبي طابط في قسم الأزبكية، ممكن أكلمه يشوفلنا طريقة ندور عليها بيها.

طارق بلهفة:

- ياريت يا ابني، يبقى كتر ألف خيرك.

التقط مالك هاتفه وطلب رقمًا في انتظار الرد....

دلف هشام من باب عمارته ملقيًا السلام على البواب:

- سلام عليكموا يا عم رشوان.

- وعليكم السلام يا سعادة البية، حمدًا لله ع السلامة.

تتكوّن العمارة من خمس طوابق، أحدهم يقطن به هشام مع أسرته، والتي لم يتبقّ منها سوى زوجة والده منيرة بعدما تُوفي والده، وتزوَّجت أخته

الصغرى والوحيدة، وطابق آخر ليتزوج به، وطابقين قد قاموا بتأجيريهما،
والخامس هو سطح المبنى.

فتح هشام باب الشقة، وما كاد يدلف حتى وجد منيرة تقف عاقدة ذراعها
أمامها في امتعاض؛ فأغلق الباب وجلس إلى أحد مقاعد الصالون واضعاً
المفاتيح على الطاولة بقربه مستفهماً:

- إيه يا منيرة مالِك؟ البتّ حنين مزعلاكي ولا إيه؟ بس مش شايفها
هنا يعني، أومال فيه إيه؟

منيرة باستهجان: يعني مش عارف فيه إيه؟!
هشام: وحياتك عندي يا مونمون يا قمر ما أعرف.
منيرة: أيوااا... كل بعقلي حلاوة كل.

هشام: ماينفعش مربّي، أصلي جعان قوي...
لم تدعه يكمل حديثه؛ فقدفته بوسادة الصالون معقبة:
- ماتحاولش تقلّش تاني، أديني حذّرتك أهو.

هشام: يعني أبقى جدّ مش عاجب، أهزّر برضه مش عاجب!
استمرّت منيرة على موقفها متذمّرة؛ فنهض وأحاطها بحنوّ قائلاً:
- طب قوليل أنا عملت إيه زعلك؟

منيرة: لارا بتشتكي منك.

هشام بضيق: ييبه، وبشتكي ليه ست لارا؟ هو احنا لحقنا؟! أنا لسه
خاطبها من أسبوع.

منيرة:

- بتقول مطششها وبترنّ عليك طول اليوم ومابتدش عليها.
- أخرج هشام هاتفه من جيبه وتفقدّ المكالمات، وجد عدة مكالمات فائتة منها فقط عدد ١١٣، جحظت عيناه ثم تابع قائلاً:
- بقى بدمّتك يا منيرة، فيه واحدة عاقلة ترن فوق المية مرة؟! وبعدين أنا كان عندي شغل طول اليوم وبطارِد مافيا، هسيب المافيا وأركز مع ست لارا؟!!

- شهقت منيرة باندهاش: مافيا؟! وعملت إيه؟
- هشام بتكلف يسوّي من ياقة قميصه بطريقة مسرحية:
- انتِ عارفة مابحبّش أتكلم عن نفسي كثير.
- منيرة: اتوكس.. يبقى هربوا منك ورجعت إيدك فاضية.
- هشام: لا وانتِ الصادقة رجعت بحتة بت.. إنما إيه ملاالك.
- منيرة: نعم يا حبيبي؟!
- هشام باستفاقة: هاه.. انتِ مش هتأكلينا ولا إيه؟ أنا واقع من الجوع.
- منيرة: طب ادخل غير هدومك عقبال ما أحط الأكل.
- نهض هشام ليدخل غرفته، حينما نادته منيرة:
- هشام، عشان خاطري يا حبيبي.. ادّي لخطيتك ريق حلو.
- هشام: عشان خاطرِك أنا خطبتها أصلاً يا منيرة، إنما جو المَحَن ده أنا ماليش فيه.

هزّت منيرة رأسها بيأس تتمتم "ربنا يهديك يا ابني"، ثم اتّجهت إلى المطبخ لتعد له الطعام.

منيرة سيدة أصيلة وأم حنونة، في نهاية عقدها الرابع، ومع ذلك غطّى الشيب رأسها، وغادرتها نضارة البشرة، تجعّدت قسماتها قليلاً، وكأنها في الستينات من عمرها؛ وذلك لما جاهدته طيلة حياتها من متاعب، ومثابرتها على تربية أبنائها بمفردها، تتّسم بجسد بدينٍ قليلاً تتراكم به الشحوم لقلة حركتها، وبالرغم من كل ذلك تتمتّع بابتسامة حيّة مبعثها هو الرضا.

تزوّجت منيرة من محمد العجمي والد هشام بعدما تُوفيت زوجته بخمسة أشهر، في ذلك الوقت كان هشام يبلغ من العمر ستّ سنوات، وكأي طفل في مثل عمره كان متعلقاً بوالدته كثيراً، وبعد فقدانها تأثّرت نفسيته وساءت إلى حد كبير؛ فاضطر والده للزواج ليجد من يعتني بابنه في المقام الأول، وتعويضه عن حنان أمه الراحلة، وقد كان اختياره لمنيرة اختياراً موفقاً؛ فقد كانت نِعَمَ الأم لطفل لم تُنجبه، وخاصة أنها تأخّرت في الإنجاب مدة سبع سنوات حتى أنجبت حنين، وقد تركت أمر تسميتها لهشام كي تزرع به حبه لأخته، ومع ذلك ففي بادئ الأمر لم يكن هشام نِعَمَ الابن؛ فقد أرهقها كثيراً حتى اعتاد على وجودها وحنانها، لكنه أبى أن يعطيها لقب أمه، ولم تجاهد هي للحصول على ذلك؛ فقد كانت سعادته وراحته هما غايتها، وبعد رحيل والده لم تتزوّج منيرة مرة أخرى، واهتمّت به وبأخته، وذلك ما يقدره لها هشام؛ فأضحى يعتني بها أكثر من ذي قبل.

الفصل الرابع

"المهمة"

مَشَتْ جَنَّةٌ خَلْفَ سَامِرٍ، وَجَسَدُهَا يَتَقَلَّصُ مَتَفَضِّضًا مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى بَابٍ مُوَصَّدٍ لَغُرْفَةٍ مَا، فَتَحَهَا سَامِرٌ قَائِلًا بِسُخْرِيَّةٍ، وَاشْمُئِزَّازٍ يَعْتَلِي فَمَهُ:

- اتفضللي يا... برنسيصة!

طَالَعَتْهُ جَنَّةٌ بِنَظَرَاتٍ رِيَّةٍ وَتَوَجَّسَ، ثُمَّ دَخَلَتْ بِخَطَوَاتٍ وَئِيدَةٍ، وَمَا لَبِثَتْ أَنْ سَمِعَتْ صَوْتَ ارْتِطَامِ الْبَابِ مِنْ خَلْفِهَا قَوِيًّا يَعْصِفُ بِأُذُنَيْهَا كَرَعْدٍ ضَرَبَ السَّمَاءَ؛ فَانْتَفَضَتْ تَضَمُّ جَسَدُهَا بِذِرَاعَيْهَا النَّحِيلَيْنِ، فَقَدْ كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا، وَقَلَقَهَا يَزِيدُهَا بَرُودَةً؛ حَتَّى بَاتَتْ لَا تَشْعُرُ بِأَوْصَالِهَا.

انْتَهَى هِشَامٌ مِنْ تَنَاوُلِ طَعَامِهِ، وَدَلَفَ إِلَى غُرْفَتِهِ مُوَصَّدًا الْبَابَ مِنْ خَلْفِهِ.. اتَّجَهَ إِلَى أَحَدِ جُدْرَانِ الْغُرْفَةِ الْمُوَاكِهَ لِمَكْتَبِهِ، وَقَدْ ثَبَّتَ عَلَيْهِ لَوْحًا خَشَبِيًّا بِغِطَاءٍ خَشَبِيٍّ رُسِمَ عَلَيْهِ لَوْحَةٌ فَنِيَّةٌ، فَتَحَ الْغِطَاءَ لِيُظْهَرَ اللَّوْحَ الْخَشَبِيَّ مَكْسُورًا بِفَرْخٍ وَرَقِيٍّ مَثْبُتٍ عَلَيْهِ صُورٌ لِأَشْخَاصٍ يَرْتَبِطُ مَا بَيْنَهُمْ أَسْهَمٌ قَدْ رُسِمَتْ بِغَايَةِ مُحَدَّدَةٍ، وَعَلَيْهَا بَعْضُ الْمُلَاحَظَاتِ، أَخْرَجَ هِشَامٌ مِنْ جَيْبِهِ صُورَةً تَأَمَّلَهَا بِعُنَايَةٍ قَبْلَ أَنْ يَثْبِتَهَا بِاللَّوْحِ الْخَشَبِيِّ، كَانَتْ جَنَّةٌ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ تَتَمَتَّعُ بِحَيَوِيَّةٍ تَنْشُدُهَا ضَحْكَتُهَا وَأَلْقَى عَيْنَيْهَا الدَاكِنَتَيْنِ الْكَاحِلَتَيْنِ، وَبَعْدَ أَنْ أَحْكَمَ هِشَامٌ تَثْبِيتَ الصُّورَةِ التَّقَطُّ قَلَمًا مُلَوَّنًا عَرِيضًا، وَرَسَمَ سَهْمًا يَصِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

كارولين، وسهماً آخر بينها وبين شخص آخر قد وضعه هشام حديثاً في دائرة الاشتباه، ووصل بين الثالث بأسهم تحمل رمزاً هو وحده يدرك معناها مسترجعاً بذاكرته إلى ذلك اليوم الذي وكّلت إليه هذه المهمة.

عودة إلى الماضي

في أحد الأيام طلب اللواء منير ثروت حضور الرائد هشام العجمي، والنقيب سامر حسان، والنقيب جمال بشير في اجتماع عاجل، راح الثلاثة رجال اجتماعهم يضربون كفاً بكفٍ، لا يدرون مغزى الأمر الطارئ فجأة، لكن فضولهم البوليسي كان يحركهم بحماسة فيّاضة، حتى مثلوا أمام اللواء والتفوا حول طاولة الاجتماعات؛ فبادر هشام:

- خير يا فندم؟

اللواء بوجوم:

- للأسف مش خير أبداً يا هشام.. اتفضل شوف.

تناول منه هشام مظروفاً كبيراً به ملف وبعض الصور، تفحص هشام الصور بعناية تحوّلت بعد ذلك إلى الشدوه، ثم فتح الملف يقرأ ما به، وكان هناك صورة من جواز سفر لفتاة أسبانية تدعى هيلين روماني.

عبس هشام وأردف:

- دي.. كارولين!

هزّ اللواء رأسه موافقاً، ثم قال: بالظبط، كارولين.. دخلت مصر للمرة الثانية، بس المرة دي بباسبور أسباني وبشخصية ثانية تماماً.

سامر باستخبار: هي مين كارولين ولا هيلين دي؟

اللواء:

- دي بنت محترفة في الإجرام، بتستأجرها أي مافيا لتخليص مهمات في دول مختلفة، دخلت مصر من سنتين كسائحة عادي بباسبور يحمل الجنسية التركية، وبعد كده اكتشفنا إنها تابعة لتنظيم إرهابي ممول من الخارج، وكانت مهمتها تهريب السلاح، قدرنا نحبط العملية الإرهابية، لكن للأسف ماقدرناش نمسكها، وعلى الأغلب هربت عن طريق الأنفاق، الجدير بالذكر بقى إن البنت دي بتتكلم مصري كويس جداً، وكل دولة بتسافر لها بتتقن لغتها بلهجات مناطقها المختلفة باحترافية، وده بيخلي من الصعب الناس تتعرف عليها على إنها أجنبية.

هشام: طب وإيه هدفها المرة دي يافندم؟

اللواء: ده الي لازم نعرفه يا هشام في أسرع وقت، الملف الي معاك ده فيه تقرير عنها من ساعة ما خطت مصر لحد اللحظة الي بتتكلم فيها دلوقتي، وده شريط فيديو من كاميرات المطار.. اتفضل اعرضه.

وضع هشام الشريط في الجهاز الخاص بالعرض؛ فانتقل ما به إلى الشاشة الكبيرة يعرض تسجيلًا لكارولين في المطار بعدما تسلمت حقيبتها، واتجهت إلى الخارج لتستقل إحدى السيارات، حينذاك بزغ في الكاميرا شخص من ظهره يقف في انتظارها يرتدي تشيرًا يغطي رأسه، بدا أنها تعرفه، ومن ثم ركب السيارة سويًا، وانطلقا بها.

أوقف هشام التسجيل، بينما هتف اللواء بلهجة أمرة:
 - المطلوب دلوقتي تعرفولي هوية الشخص الي استقبلها في المطار،
 والهدف الي جات عشانه كارولين.

هشام: تحت أمرك يا فندم، هدرس الملف كويس وأبلغ سيادتك بالجديد.
 اللواء: تمام.. اتفضلوا.

طرقت منيرة باب الغرفة؛ فأغلق اللوح، وفتح لها الباب:

- خد يا حبيبي الشاي أهو.. أنا هدخل أنام بقى.

- تسلم إيدك يا حبيبتى، تصبحي على خير.

- وانت من أهله يا حبيبي.

أغلق على نفسه الباب مرة أخرى، وأطفأ نور الغرفة إلا من الضوء الخافت للأباجورة بجانب سريريه، وأشعل سيجارًا جديدًا، ومدد جسده على فراشه مستندًا بظهره إلى الوسادة يفكر في الأمور الطارئة حديثًا على قضيته، وعلاقتها بالأمور المعروفة سابقًا، ينفث دخان سيجاره، ويلحقه بجرعة من الشاي الساخن، انتهى من الشاي واستكمل سيجاره ممسكًا بقفل الأباجورة، يغلقه ويفتحه مرارًا، وفي كل مرة يضيئها يظهر له في الأفق مشهدًا استدعاه من عقله الباطن، وبالمزيد من التفكير والتدبير حول نظرية المؤامرة استطاع أن يربط بعض الخيوط ببعضها، لكن ما زال هناك البعض الخفي غير قابل لوضوح العلاقة بينهم، ومع ذلك اكتفى بما أدركه بعدما شعر بألم حاد في رأسه كاد يفتك به جرّاء بحرٍ من الأفكار يخفق فيه؛ فاستسلم إلى نوم عميق.

في تلك الأثناء في مكتب هشام، كانت تقبع جنة على أريكة جلدية، لم تتحرك عنها مُد أن دلفت إلى تلك الغرفة، تتفقد بعينها محتوياتها من قطع الأثاث كالمكتب، وخزنة الملفات، والأريكة التي تجلس عليها، إلى جانبها مقعد وثير، ثم راحت عيناها تجول بين النافذة الوحيدة بالغرفة، والتي كانت خلف المكتب تمامًا، والديكور الأزرق للغرفة مطعمٌ ببعض القطع الأنيقة.

بعثت الغرفة بعض الهدوء والسكينة بقلبها؛ فكانت على خلاف تلك الغرفة المقيتة المظلمة للتحقيقات، والتي كانت أشبه ما يكون بالكهف المظلم، أخذت جنة نفسًا عميقًا تهدئ به جوارحها، ونزلت عن أريكتها تجرّ قدميها المثلجتين بلا هدى، فقط أرادت أن تتعرف على المكان الذي أرغمت على زيارته، وليتها تدري إلى متى ستطول إقامتها به.

وجَّهها فضولها نحو المكتب المرتب؛ فسارت نحوه تتلفت حولها لا إراديا خوفاً من أن يراها أحدهم بغتة؛ فتلبس قضية أخرى لا تدري مغزاها، لم يكن بينها وبين المكتب سوى قدمٍ واحدة تجوس سطحه بعينها، لم يكن هناك سوى حامل الأقلام، وهاتف، وقداحة فضية نُقش عليها صورة بارزة لمحارب مغوار، وطفاية سجائر، ودرع يحمل اسم صاحبه بتعالٍ وكبر، مدَّت يديها المرجفتين وحملته تنطق ما كُتب عليه "الرائد / هشام العجمي".

زمت فمها غيظًا وكمدًا، تستذكر لحظات قسوته وعنفه بدءًا من قبضه عليها بالمحطة وحتى انتهاء التحقيق الذي لم ينته بعد على حدّ قوله، تمتّ لو

بإمكانها تفريغ شحنة غضبها ولو بالسباب، لكنها خشت رهبة المكان المتواجدة بداخله؛ فوضعت الدرع مكانه بحق، كاد ينزلق من بين يديها، لكنها لحقته بقلب خافق وعدلت من وضعيته.

اتجهت بعد ذلك إلى الشرفة خلف المكتب تطالع من خلف زجاجها الفضاء، ثم لفت نظرها تلك الإطارات على الحائط المجاور؛ فراحت تتفقدّها وجدتها شهادات تقدير؛ منها الأكاديمية، وأخرى رياضية، وبعض الصور مع القامات المهمة في الدولة.

راحت تحدّق في ذلك كله بانبهار لا شعوري، تظن أن شابًا مثله لا بُدّ وأنه فخور بنفسه، وربما ذلك ما يجعله ينتهج سلوك الطاووس؛ فهَمَّهَت بداخلها بغيظ: "طاووس".

عادَت إلى أريكتها تدبُّ الأرض من تحتها حتى استقرّت في جلستها، تضم ركبتيها إلى صدرها، مستندة برأسها عليهما؛ فباغتتها دمعة هاربة على خديها؛ فجاء على بالها أوّل من يظهران في الأفق حينما تداهما مشكلة؛ وهما والداه، اللذان تلتجئ إلى حضنيهما في السراء والضراء؛ فهما ملاذها الوحيد في تلك الحياة، ومن ثمّ فاضت عيناها بمياه بحرهما، لكنها سرعان ما اعتدلت في جلستها ومسحت دموعها بإصرار، تحدّث نفسها بعزم: "لازم تبقي قوية يا جنة، ماينفعش تضعفي، كده هيشكّوا فيك أكثر.. انت أصلاً مش عارفة انت هنا ليه! بس انت متأكدة إنك ماعملتيش حاجة غلط، وربنا مايرضاش بالظلم، إن شاء الله هتخرجي من هنا في أقرب وقت".

أملت برأسها على كتفها تدعو ربها أن يخلصها مما هي فيه ويصبر والديها على فقدها، ويهدئ من روعهما، ثم أخذت تستغفر ربها آملة أن يفرج كربها كما أخرج يونس من بطن الحوت، حتى نامت وشفتها تتمم دعاءها.

في مكان آخر..

منطقة نائية ملحقة بالمنيل، أيضًا لا يسكنها الكثيرون، كان ثمة منزل مؤلف من طابقين يقع على ضفة نهر النيل بعيدًا عن الأنظار، طرّق بابه شخص ما، انتفضت كارولين ونهضت بتوجّس، واستقرت بأذنها خلف الباب القديم متسائلة:

- مين؟

أتاها صوت مألوف:

- افتحي يا كارولين.

فتحت له الباب، ودلف مغلقًا إياه من خلفه، كانت عيناه تشعّ غضبًا، يطالعهما بسخط، ثم قال بلهجة حازمة:

- أظن أنا كده عملت الي عليّا، ومش مسئول عن الي هيحصل من بعد اللحظة دي.

ابتسمت كارولين بتهكم قائلة:

- مش بعد الي حصل، الأوامر جات إنك تساعدني لحد ما أنفذ مهمتي وأخرج من مصر بأمان.

- وصل مسامعها احتجاجاً فظاً:
- نعم؟! وأنا مالي، دي كانت غلطتك انتِ لما كلمتيني من تليفون الفندق، ومن ساعتها وأنا بلمّ من وراكي.
- كارولين بلا مبالاة:
- مش مهم غلطة مين، المهم هو إنك تساعدني أخلص الي جيت عشانه، وإلا حسابك مش هيدخل فيه دولار واحد.
- رمقها باحتقار واستشاشة قائلاً:
- والمفروض إني أعمل إيه دلوقتي؟
- ردت عليه كارولين متسائلة:
- قولّي عملوا إيه في البنت الي قبضوا عليها بدالي؟

الفصل الخامس

"أمر غير متوقع"

في صباح اليوم التالي.. دلف طفلٌ صغير في عمر الأربع سنوات إلى غرفة هشام متسلقياً سريره حتى استقر بجانبه، ورفع عنه الغطاء هاتفاً بطفولة تآكلت معها بعض حروفه:

- يا هشام.. يا هشام اصحى.. أنا جيت.

تململ هشام بفراشه واضعاً الغطاء فوق رأسه؛ فتلك المهمة هي أصعب ما تكون على الإطلاق، وهى إيقاظ هشام، إلا من اثنين؛ اتصالاً من عمله أو ذلك الطفل الذي لا يكَلّ من إيقاظه ولا يستسلم لعناده؛ فصرخ بأذنه:

- يا هثاااااام.

نهض هشام فزعاً، على الأغلب قد خسرَ طيلة أذنه، جلس على فراشه يستمع إلى ضحكات ذلك الطفل المشاغب؛ فحمله بحركة مباغته يضربه بخفة مداعباً، ثم صاح به:

- ياض يا ابن ال... خرمتلي ودني يخرب بيتك.

صرخ الطفل متضحكاً:

- خلاث خلاث، والله يا خالو آخر مرة.

هشام: دلوقتي بقيت خالو!

أفلته هشام من بين يديه، ثم قال: إيه اللي جابك ع الصبح كده يا عمر باشا.

- عدل عمر من هيئته قائلاً:
- ماما يا ثيدي اتخانقت مع بابا بالليل، وقالتله أول ما يطلع الشُّبح همشي وأثيبلك البيت.
- هشام وهو يضرب كفاً بكف:
- الله يخرب بيت جنانك يا حنين.. مجنونة أمك دي.
- هز عمر رأسه مؤكداً: آه.
- ضربه هشام على رأسه برقة يشد وجنتيه قائلاً:
- آه! يا ض احترم أمك شوية، أنا أقول انت ماتقولش.. ده جيل إيه المهيب ده!
- خرج هشام من غرفته مشعث الشعر متثائباً، سمع صوت قرقرة الأطباق والطناجر يتردد في المطبخ؛ فوجد منيرة منشغلة بتجهيز طعام الإفطار بين المطبخ والسفرة، وفي المنتصف ابنتها تذرّع الطريقة ذهاباً وإياباً تبكي وتشكي:
- شُفتي بقى يا ماما، كان لازم أسبيله البيت عشان يعرف إن الله حق، يورّيني هيعمل إيه النهاردة من غيري.
- منيرة: ولا أي حاجة، هيبقى مبسوط وفرحان ٢٤ قيراط، على الأقل خلص من زنك وأنا اللي لبست فيه.
- امتعضت حنين وضمت ذراعيها بتذمر، حينذاك سمعت صوت أخيها معاتباً: يا بت انت مش هتتهدي بقى؟! كل يوم والتاني سايبة بيتك وغضبانة!

حنين بدفاع:

- وهو أنا يعني بَغْضَبٍ من غير سبب، انت ماتعرفش هو عمل إيه؟
لوى فمه متسائلًا: عمل إيه؟

حنين:

- البيه امبارح بعد ما اتعشينا وعملتله الشاي، وبعدها دخلت بقى
أغسل المواعين ونشّرت هدومه و...

هشام بملل:

- انجزي يا حنين مش كتب كتاب أمك هو.
في تلك اللحظة تلقى حبة خيار قذفت موجهة بعناية إلى وجهه، لحقتها
منيرة قائلة:

- أمها يا ابن... المرأة الجاية هيبقى غطّا الحلة مش الخيار.

ضحك هشام ملطفًا الأجواء، ثم قال مجازًا:

- وهي بتتك هتجيبه من برّة.. انطقي يا ست حنين غضبانة ليه المرة دي؟

حنين بامتعاض:

- البيه بعد كل ده واحنا داخلين ننام كانت الساعة ١١ بالليل، تتصل
عليه الست سها سهوكة وقعدوا يرغوا عشر دقائق بحالهم.

هشام بحاجب مرتفع:

- مين سُها سهوكة دي؟

حنين بطريقة: قال إيه زميلته في الشغل.

هشام بمكر: حلوة؟!

حنين: يخرب بيتك هو ده وقته! هلاقيها منين ولا منين يا رب؟!

هشام: خلاص يا فضيحة، طب إيه يعني؟ زميلته في الشغل وأكيد كانوا بيتكلموا في الشغل.

حنين: والله؟! وحبك الكلام الساعة ١١ بالليل! ويقولي شغل مهم.

هشام بحاجب مرتفع: هو كان بيتكلم قدامك ولا من وراكي.

حنين: قدامي، بس...

هشام: مفيش بس، جوزك أنا عارفه كويس مالوش في الشمال، والراجل اتكلم قدامك.. يعني عداه العيب.

حنين:

- هو انت كده على طول تقف في صفه، لو مضايقين من وجودي أنا ممكن أمشي آه، آه يا حنين ياللي مالتيش حد ياني.

ضربها هشام على مؤخرة رأسها بهزار، ثم أحاطها بذراعه قائلاً بحنو:

- ما أسمعكيش تقولي الكلمة دي تاني، أنا سنديك وفي ضهرك دائماً، وربنا يخليلنا منيرة.. يا هبله أنا خايف عليك وعلى بيتك وابنتك اللي هتضيعيهم بطيشك ده، ماينفعش ابنك يشوفك بتتخانقي مع أبوه كل يوم والتاني.

صمتت هنيهة، ثم طغت الكآبة على صوته وهو يضيف:

- الأطفال ماينسوش الحاجات دي يا حنين.

استذكر هشام لحظات نزاع والده ووالدته المستدام، تلك اللحظات التي كانت تؤلّف من الفزع موجة عارمة تعتري قلبه؛ فتتزع منه الطمأنينة والسكينة كلما سمع صوت والديه عاليًا والشجار لا ينتهي، حتى في أحد الأيام سمع والده يدعو على أمه بأن يأخذها الله ليرتاح منها، وكأن السموات قد فُتحت في ذلك الحين خصيصًا لاستجابة دعوته، فحينما استيقظ هشام وراح يداعب وجنة أمه ليوقظها لم ترد عليه البتة، وقد راحت في سبات عميق طويل إثر السكينة القلبية، ومنذ ذلك الحين وهشام يحمل والده ذنب فقدانها وحرمانه منها.

استفاق هشام من ذكريات الماضي على صوت منيرة تقول:

- يلاً الفطار يا ولاد.

وبينما كانوا منهمكين في تناول الطعام، أردفت منيرة:

- هشام، ضروري ترجع على الغدا النهاردة.

هشام باستغراب: اشمعنى؟

منيرة وهي تتناول حبة من العنب:

- أصلي عزمت لارا واماتها النهاردة.

تباطأ في تناول طعامه إثر شعاع من الكآبة تسلل إليه، بينما نهضت منيرة لتُحضّر المياه؛ فمالت عليه حينئذ قائلة بصوت منخفض:

- الله يكون في عونك.. لسه أول أسبوع خطوبة وتعمل كده، أو مال

بعدين هتعمل إيه؟

- طب تحيّلِي هي بنت خالتكِ وبتقولي كده، أنا أعمل إيه؟
- ما هي عشان بنت خالتي وعارفاها بقولّك الله يكون في عونك..
- وانت الغلطان! سمعتُ كلام منيرة ليه وخطبتها؟
- انتِ يعني مش عارفة زَنّ منيرة وقمصتها.
- إيه يعني! كنت سيبها تزَنّ شوية مش تدبّس نفسك التدبيسة الهباب دي.

جاءت منيرة فجأة هاتفة:

- انتوا بتتودّودوا بتقولوا إيه؟
- هشام بيكّش:
- لا أبداً، بقول طبعاً جايّ، دي لارا ومامتها جايّين.
- منيرة بلهجة تحذير:
- هشام!
- هشام: خلاص بقى يا مومنون، هاجي إن شاء الله، وانتِ يا حنين اتّصلي على عماد خليفه ييجي يتغدا معنا النهاردة..
- ثم أخفض صوته قائلاً:
- وينقذني من الحوار ده.
- حنين: لا مابكلمش...

هشام بحزم: حنين، قولتلك كلميه وخليفه ييجي، وأنا يا ستي هقرّضلك ودنه وهخليهولك يعمل بلوك لكل الستات زمايله في الشغل، ارتاحتي كده؟

حنين بتعالٍ مصطنع:

- أصلاً أنا عملتلها بلوك امبارح.
- مرر هشام أصابعه بشعره بعنف هاتفاً بغيط:
- صبرني يا رب.. هي مرارة واحدة.

في منزل جنة:

لم تمر دقيقة نوم واحدة على آل البيت، بل كان يزداد فزعهم مع الوقت وهم لا يدرون أمراً عن ابنتهم المفقودة، تؤرّهم الوسوس أزا بلا رحمة، تُرى هل أصابها مكروه؟ أم اخطفت؟ أم.. أم.. أم... إلخ، حتى أحمد لم يسعه الانتظار، ونزل يبحث عنها، أين؟ لا يعرف، لكنه لم يستسغ فكرة المكوث والتواكل.

عاد مالك من قسم الأزيكية بخفي حُنين، هرعَ إليه طارق متشبّثاً بذرة أمل تنفي ما تعكسه ملامح مالك من الخيبة متسائلاً بانفعال:

- ها يا ابني عملتوا إيه؟ الظابط صاحبك ده وصل حاجة؟
- هز مالك رأسه قائلاً:

- للأسف يا عمي، قال إنه عمل تحرياته في خط سيرها للمركز اللي كانت رايحاه وشاف كاميرات المترو، بس مظهرتش في أي حاجة ولا حد شافها.. بس...

منال بانهيّار: بس إيه يا ابني قول؟

مالك بعدم تأكد:

- مش عارف، حسيت كده من كلامه إنه بينيني، كأنه عارف حاجة ومش قادر يقولها.

منال: يعني إيه؟ بنتي جراها حاجة؟
مالك:

- لا يا خالتو مش كده، مش عارف.. بس هو كان بيحاول يطمّني كأنه عارف مكانها، ومع ذلك قالّ احنا مكملين في التحريات وأظن قربنا نوصلها، وإنها أكيد بخير..

لم يكمل حديثه حتى رن جرس الباب؛ فهرع مالك لفتحه، فوجئ بشخص لم يره من قبل؛ شاب في بداية العقد الرابع، يرتدي بذلة أنيقة باللون الرمادي، تعكس ملامحه الثقة وكأنه يتمتع بسلطة ما، بادر مالك متسائلاً:

- مين حضرتك؟

في جهاز الأمن الوطني:

دلف هشام إلى المبنى ماراً عبر الأروقة يحيطه الضباط والمخبرون والعساكر، اتجه مباشرة إلى مكتبه، وفتح الباب لا إرادياً كما العادة دون استذكار أنه هناك فتاة تسكن مكتبه، انتفضت جنة إثر فتحه للباب محدثاً صوتاً قوياً؛ فنهضت متسارعة تعدّل من ثيابها وتسوّي حجابها، شعرت فجأة بالدوار لنهاوضها

المفاجيء؛ فسقطت جالسة مكانها ثانية، اتجه نحوها هشام بخطى ثابتة، واضعاً
 كلتا يديه في جيبي سرواله، ثم حمم قائلاً:
 - أكيد مش مستنيّة آخذ إذن عشان أدخل مكتبي.
 هزت رأسها نافية، ثم طالعتة بعينين محمرتين:
 - في الحقيقة عايزة أشكر حضرتك إنك سمحتلي أنام هنا ومباتش في
 سجن.

رفع حاجبيه يدرس ردود أفعالها، ثم قال بتؤدة وكبر:
 - ماتاخدّيش على كده يا آنسة ااا.. آه جنة، مش كده؟
 طالعتة جنة بازدرأ حاولت أن تخفيه، ثم نظقت بانفعال:
 -طب ممكن أعرف أنا هفضل هنا لحد امتي؟ أنا ماعملتش حاجة، و..
 - عمليتي ولا ماعملتش دي هنعرفها، سواء دلوقتي ولا بعدين..
 عامّة عندي شغل أهمّ منك دلوقتي، بس أخلصه وهرجلك، بس... أتمنى
 ماتكونيش لسه عند موقفك عشان ماتندميش.

ثم صاح منادياً: يا مؤمن!
 دخل رجلُ برتبة عسكريّ قائلاً:
 - تحت أمرك يافندم!
 أشار له بأن يأخذها؛ فصاحت جنة متوسّلة:
 - أرجوك يا حضرة الظابط، أهلي ماهو مش ذنب، أكيد زمانهم قلقانين
 عليّ دلوقتي ومايعرفوش عني حاجة، أرجوك بس حتى أكلمهم.

- قالت كلماتها الأخيرة بصوت مخنوق بالبكاء؛ فقال هشام بتحدٍ:
- ما انتِ الي مش عايزة تساعدي نفسك وتساعديهم.
- جئة: انتِ ليه بس مش عايز تصدّقني؟ أرجوك.
- أشار هشام للعسكري بأن يأخذها غير أبيه لتوسلاتها، في ذلك الحين دخل سامر يرمقها بتعالٍ، ثم قال:
- هتكمل تحقيق معاها امتي؟
- هشام: شوية كده، أهّي مشرفانا.
- سامر بتعجب: ناوي على إيه؟
- هشام: أبداً، بس كده كده هي هنا عشان تعطلّنا عن هدفنا الحقيقي؛ فتضييع وقتنا معاها مالوش لازمة.
- سامر: ارّاي بس يا هشام بيه؟ يعني يبقى تحت إيدنا دليل ممكن يوصلنا لكارولين ومانستغلوش.
- هشام: مفيش أدلة، كارولين مش هبلة عشان تسلّمنا حد يعرف عنها كتير.
- سامر: بس على الأقل هنعرف هدفها ونقدر نتحرّك على أساسه.
- رمقه هشام بنظرة مطوّلة غير مفهومة، ثم قال:
- ده لو كان جئة هي الشخص الي مستنيّ كارولين عشان يساعدها في عمليّتها الي مش عارفينها لحد دلوقتي.
- سامر باضطراب:
- قصدك إيه؟ إنه فيه حد تاني؟

هشام:

- تالت.. الظاهر إن ذاكرتك ضعيفة اليومين دول يا سيادة النقيب،
نسيت إن الي استقبل كارولين في المطار كان راجل مش بنت.
سامر: بس احنا ماشوفناش وشّه يا فندم.
هشام: ده حقيقى، بس برضه لو عندك قوة ملاحظة فالشخص ده كان
طويل وعريض..

ثم نظر إليه نظرة فاحصة متابعًا:

- زَيْك كده.

سامر باستنكار:

- زيي؟! ربنا يسامحك.

ضحك هشام مضيئًا:

- وجتّه دي بقى ماتجيش في طولها تَلْتَيْن الشخص ده.

سامر باستنتاج: طب كده من السهل إن كارولين تنفّذ اللي جات عشانه
واحنا قاعدين.

هشام:

- ماتقلقش.. كارولين هتكنّ اليومين دول ومش هتقدر تعمل حاجة،
باختصار هي زي الفار المستخبّي في جُحره؛ لأنها أكيد عرفت _من نفس
الشخص_ إن أوصافها في كل حِتّة، ورجالتنا في مصر كلها عرفوا إنها مطلوبة
وسهل نعرف مكانها بمجرد ما تخرج من جُحرها.

سامر:

- امم، تمام، طب... هو حضرتك عندك خطة تانية؟

هشام بحزم:

- انسَى الخطة دلوقتي وخد دول، عايز التقارير دي في أقرب وقت.

سامر وهو ينهض متناولاً منه ملفاً قائلاً:

- تمام يا فندم.

خرج سامر مغلقاً الباب من خلفه، بينما رفع هشام سماعة الهاتف وطلب قدحاً من القهوة، ثم اضطجع في مقعده مستديراً به يمنة ويسرة بهداوة، يفكر بتمعن في خطواته التالية.

أخرجه من تفكيره رنين هاتفه؛ فالتقطه يرى هوية المتصل، قلب عينيه بحنق، ثم ضغط زر الفتح مبادراً:

- أيوه يا لارا؟

- هشام حبيبي ازيك؟ إيه فينك بكلمك من امبارح مش بترد عليّا؟ هو أنا ما وحشتكش ولا إيه؟ ولا شغلك....

أبعد الهاتف عن أذنه يضغط على أسنانه، ثم قاربه إلى أذنه ما إن سمعها تهتف:

- ألو.. الو، هشام انت سامعني؟

هشام بعجلة:

- لارا معلش أنا مشغول دلوقتي..

- صمت فجأة حينما سمع صوت شاب يناديها:
- لورا.. يلاً مستنيكي.
- هشام بعصبية: لورا؟! انتِ اتهلتي ولا إيه، مين ده؟
- لارا: فيه إيه يا هيشو؟ ده سعد زميلي، رايحين نصوّر ملازم و..
- هشام وقد نفذ صبره: إيه سعد يعني! كان من بقيّة عيلتك.
- لارا باندفاع: إيه يا هشام التفكير ده؟
- هشام وقد تملّكه الانزعاج:
- أنا تفكيري كده إذا كان عاجبك، ولما تبقي تحترمي الدبلة اللي لابساها تبقي تكلميني.
- ومن ثمّ أغلق الخط زافراً بسخطٍ رافعاً ساعه هاتفه صائحاً:
- فين القهوة يا ابني؟
- بعد دقائق دلف الساعي حاملاً فنجان القهوة خاصته، ووضع أمامه على مكتبه باحترام، في ذلك الحين دلف سعيد وغادر الساعي، مدّ سعيد يده إلى هشام بملف قائلاً:
- تقارير المراقبة اليي حضرتك طلبتها يا فندم.
- هشام: على الله تكون نصفتيني المرة دي يا سعيد.
- سعيد: ماتقلقش سيادتك يافندم، ماسبتش المكان ولا لحظة و...
- هشام: ما انت قولتلي كده المرة اليي فاتت والبت هربت من الكنيسة وانت واقف.. على العموم هنشوف، اتفضل انت.

أشعل هشام سيجارًا وسحب نفسًا، ثم أخرجته وهو يتناول فنجان القهوة، فتح الملف بحماسة يتمنى لو أن يجد دليلًا يفيدته ويرشده إن كانت ظنونه واستنتاجاته على حق أم أنها مجرد ظنون واهية طبقًا لشخصيته واسعة الخيال، كان الملف يمثل تقريرًا لمراقبة ذلك المنزل الذي وجدوا به الهاتف من قبل؛ فقد كان هشام شبه متأكد من أن صاحب الهاتف سيعود إلى المكان ثانية بعد معاينة الشرطة للمنزل، وقد كان يتوقعه شخصًا بعينه، لكن ما وجدته في الصفحة الثانية في التقرير أصابه بالدهشة؛ فاعتدل في جلسته معيدًا فنجان قهوته إلى سطح المكتب.

أمر غير متوقع!

- إيه ده؟! وده كان بيعمل إيه هناك؟!

هكذا قُلبت الأمور رأسًا على عقب تترنح بين زوايا عقله، ترى هل كل توقعاته راحت سُدى؟!

الفصل السادس

"استنتاج"

في مكتب سامر، كان سامر قابعًا خلف مكتبه، يحلل بعض الأوراق، ويكتب البعض الآخر، حين طُرق باب مكتبه ودخل منه شابٌ في أواخر العشرينيات ملقيًا التحية بمرح:

- باشا مصر.
- نهض سامر مصافحًا زميله:
- جمال باشا بنفسه في مكنتي!
- جلس الرجلان يتبادلان الحديث، أردف جمال:
- ها إيه الأخبار؟
- تمام والله الحمد لله.
- هو أنا بسألك عن صحتك؟ ما انت في وشي طول اليوم وكل يوم.
- قذفه سامر بعلبة الأقلام الفارغة:
- يا أخي!
- ضحك جمال ملتقطًا العلبة قائلاً:
- مستواك بقى ضعيف في النشان.
- سامر بتحذير:
- ما بلاش بقى بدل ما أقوم أتدرب فيك.

جمال: لا وعلى إيه، العمر مش بعزقة.

ضحك سامر ثم عقّب:

- ها ما قولتليش جاي تسأل على إيه؟

جمال: مفيش... كنت عايز أعرف القضية وصلت لإيه؟

سامر مشددًا على كلماته:

- ولا.. أي.. حاجة.

جمال بتعجب: أّزاي؟! انتوا مش حَقّقْتوا مع البتّ الي اتمسكّت امبارح؟

سامر: لسه هشام بيه ماكملش تحقيق معاها، بصراحة مش عارف ناوي

على إيه.

جمال بغباء: مش فاهم.

مط سامر شفّتيه قائلاً بتفكير:

- مش عارف.. سألتُه نفس السؤال النهاردة، قالّي سيّك من التحقيق

دلوقتي، وطلب مني شوية تقارير.. طب ما طلّش منك حاجة جديدة؟

جمال: أبدًا، هو طلب شوية تقارير عن أهل جنّة، ووصلنا إخبارية من قسم

الأزبكية إن أهلها بيدورّوا عليها وبلّغت القسم بالي قاهولي بالظبط.. ده كل

الي حصل.

هز سامر رأسه، ثم قال:

- يا خبر النهاردة بفلوس بكرة يبقى ببلاش.

وافقه جمال، ثم نهض قائلاً: طيب مش هعطلّك بقى، هروح أكمل الشغل الي ورايا.

سامر: تمام.

ثم تابع ضاحكاً: كان الله في العون.

جمال: اتّزّيق ياخويا اتّزّيق.

ما كاد جمال يستقر على مكتبه حتى بلغه اتصال هاتفيّ، وفوجئ عندما دعاه هشام، ذهب إليه في الحال، وكانت دهشته حينما أمره هشام بضبط وإحضار المدعو "أحمد حسن"؛ فتساءل مستفهماً:

- فيه جديد يا فندم؟

هشام وهو يشير إلى أحد التقارير على مكتبه:

-بسلامته راح امبارح شقة المنيل الي كان فيها التليفون الي انت لقيته.

جمال باستنتاج:

- ده معناه إن هو الشخص الي كان المفروض نقبض عليه، ولما اطّمن

بعد ما مشينا رجع تاني.

هشام: ده الظاهر لحد دلوقتي.

جمال بعد فهم: مالهش معنى تانى يا فندم كده، أكيد هو الشخص نفسه

الي شُفناه مع كارولين في المطار.

هشام: هيبان كل حاجة في التحقيق يا جمال، ماتستعجلش.

كان هشام رافضاً تلك النظرية لعدة أسباب؛ ومنها أن احتمالاته وفرضياته الأوليّة ستكون هباءً، وكيف يحدث ذلك؟ فتلك الاحتمالات كان قد وضعها بناءً على أدلة وأحداث منطقية، تربط الخيوط فيما بينها بدقة ترتقي إلى شبه يقين، فقط كان يبقى إثبات تلك الأدلة على المشتبه به في وضع التلبس، وسبب آخر يتمثل بشعور يتسلل إلى قلبه باليأس؛ لأن هذا سيعني أن جنة متورّطة بالفعل في تلك القضية، كم كان يتمنى لو أن تكون بريئة من ذلك العبث، وتكون تورّطت به بمحض صدفة كما تدّعي.

نفّض تلك الأفكار عن رأسه، ثم تابع حديثه إلى جمال:

- نفذ الأمر يا جمال.

جمال: تمام يا فندم، في أقل من ساعة سيكون عند حضرتك.
خرج جمال، وعاد عقل هشام يطوف في هاوية لا قرار لها.

كانت تجلس جنة في غرفة مظلمة تضيق عليها جدرانها؛ فكادت تشعر بالاختناق: "اجمدي يا جنة.. مش هيحصلك حاجة، تخيلي إنك قاعدة في مكان مفتوح وإن السقف ده سما، والجدران دي مش موجودة".
شرعت في تمرين التنفس لتهدي من روعها، كما أن لتخيلها ذاك فضل لا يُنكر في صمودها حتى ذلك الحين.

كان الطعام موضوعاً أمامها، لكنها لم تكثرث لأمره؛ فالذعر كان ينهش قلبها ومعدتها على حد سواء.

فُتِحَ الباب الحديدي فجأةً محدثاً صريراً تجفُّل له الآذان، ودلف منه الرجل ذاته الذي دفعَ بها في تلك الغرفة قبل ساعات، وقال بصوت أجش:

- قُومي يلاً.

زاغ شعاع خوف بعينيها قائلة:

- هتاخذني على فين؟

مؤمن بنبرة أقل حدة:

- ماتخافيش.. هشام باشا هيكمِّل تحقيقه معاكي.

اطمأنَّ قلبها قليلاً ونهضت معه؛ فعلى الرغم من الرعب الذي يحيطها في ذلك المكان لما سمعته وعرفته عنه من الناس منذ كان اسمه أمن الدولة بدلاً من الأمن الوطني، ولم تكن لها أية خبرة في الامتثال أمام عسكري دورية لا ضابط أمن وطني، لكن كان قلبها يجنح إلى الطمأنينة حينما يكون هشام إلى جوارها، رغم أنها تعتبره سبب وجودها في ذلك المكان المقيت، لكن ربما ألفتته كالمثل الذي يقول "من نعرفه أفضل ممَّن لا نعرفه"، أو ربما لأنه كان رؤوفاً بها عدة مرات، وهذا ما لم تكن تتوقعه منه البتة.

دخلت جنة غرفة التحقيق بخطى مرتجفة، وجلست في انتظار مجيء هشام، يعلو صدرها ويهبط باضطراب لم تعرف سواه خلال هاتين الليلتين، أخذت نفساً عميقاً تهدئ من روعها ولو قليلاً.

فُتِحَ الباب بغتة محدثاً هَسْهَسَةً فانفضت، دلف منه هشام وقد لاحظ انتفاضتها؛ فابتسم بنصر؛ فأول الطريق إلى الانتصار هو قذف الرعب بقلب المجرم كما يعتقد ويتتهج دائماً.

سحبَ الكرسي وجلسَ عليه بثقة، وأردف بتؤدّة يزِين شفّتيه شبح ابتسامة:
 - ازيك يا آنسة جنة؟ أتمنى تكون الخدمة عندنا عاجبة حضرتك.
 رmqته جنة بنظرات محتطفة تعبث بيديها بتوتر بالغ قد درسه هشام بمهارة؛ فتابع:

- بس لو فضلتني ثابتة على موقفك، أوعذك الخدمة عندنا مش هتعجبك بالمرة.
 انهمرت الدموع من عينيها الداكتين تحاول مسحهم وإظهار شيء من القوة، لكن عبثاً.

استمعت إلى هشام يقول وهو يفتح ملفاً بيده:

- أحمد حسن بدر.

جنة بانفعال يتخلله البكاء:

- حضرتك ذكرت اسمه امبارح بس مافهمتينيش السبب.

رمقها هشام بخبث قائلاً:

- بصي.. أنا عارف إنك ممكن تكوني ضحية وهتفهم ده، بس مش في

صالحك تبقي.. غبية.

جنة بتوسل: أرجوك تصدقني.

قاطعها هشام:

- تاني؟! أنا عايز أساعدك، وأحسنك تستغلي الفرصة دي، عشان لو راحت منك ما أضمنلكيش فرصة ثانية للخروج من هنا.

جنة بانهار:

- صدقني والله، كل الي أعرفه هقولُه بس حضرتك توضّحي.

هشام: حلو.. قوليلي بقى.. إيه مدى علاقتك بالمدعو أحمد حسن بدر.

جنة باضطراب: علاقة سطحية، مجرد زميلي في الجامعة.

هشام:

- الإجابة دي ماترُضينيش.. بس معلش خَلّيني معاكي، هل مثلاً أحمد

بدر ماسك عليكى حاجة.. بيهددك بحاجة؟

جنة باستشاطة:

- حضرتك قصدك إيه؟ لا يا سيادة الرائد أنا ماسمحلكش.

هشام بسخرية:

-تسمحيلي! طيب هنشوف حتّة السباح دي بعدين لما يشرف جنبك هنا.

جنة بدّعر:

- يا حضرة الظابط أرجوك أنا مش عايزة أكون سبب لحد في مشاكل،

ده واحد علاقتي بيه سطحية جدّا، هيبقى شكلي إيه لما ألّبسّه مصيبة زي دي!

هشام بعصبية:

-انتِ الي مش قادرة تفهمي إن النبي آدم ده هو أكبر سبب لوجودك هنا.

حدقت به جنة من خلف دموعها، وردت بعدم فهم: مش فاهمة.

هشام:

- البيه امبارح كان في البيت الي كانت بتصدّر منه مكالمات لكارولين، ده غير إنه لهُ ملف عندنا بيقول إنه هاكل محترف لمواقع أمنية، وإنه بيجنّد شباب لجماعات وتنظييات، وكونه تواجد في البيت ده فده معناه حاجة من اتنين؛ يا إما هو الي مُكلّف باستقبال كارولين وتوجيهها لهدفها، يا إما عارف مين هو.. وفي الحالتين هيكون هو الي كلّفك بتهريب كارولين منّا، صح كلامي؟!

صاحت جنة غير مصدقة ما تسمعه:

- لا طبعًا مش صح.. كل ده ماعرفش عنه حاجة، والله العظيم الي قولتهولك هو كل الي أعرفه، حتى أحمد ده معرفش عنه أي حاجة، حتى عمرنا ما وقفنا لوحدنا مع بعض في الجامعة، أرجوك تصدقني.

قالت توسلها الأخير وقد خارت قواها الذهنية والجسدية، لم تعد تستوعب ما يحدث لها، ولا يدري هشام لم اجتاحتته رغبة عارمة لتصديقها! لكن تُرى هل كل هذا الارتباط بين الأشخاص والأدلة يحدث بمحض صدفة، ولم تريد الصدفة توريط تلك المسكينة؟!

في خارج الغرفة كان سامر وجمال يستمعان إلى التحقيق ويشاهدانه عبر النافذة الزجاجية، حينما حضر اللواء قائلاً: ها، فيه جديد؟
جمال: للأسف لسه يا فندم، البنت لسه عند إنكارها، مع إن الأدلة الجديدة مش في صالحها.

بينما أردف سامر:

- اعتقد لما ناخذ أقوال المتهم الثاني الوضع هيفتختلف.

هز اللواء رأسه بضيق قائلاً:

- جاتلنا أوامر بإنهاء المهزلة دي والقبض على كارولين في أسرع وقت.

دلف اللواء إلى غرفة التحقيق ومن خلفه جمال وسامر، كان لهيئتهم أثرٌ مربعٌ لجنّة، خاصة حين نهض هشام قائلاً:

- سيادة اللواء!

في ذلك الحين نهضت جنّة عن مقعدها باضطراب وتوتر بالغ، كادت تتعثرّ بقدم الكرسي لكنها تداركت نفسها، سمعت اللواء يحدّثها بحزم:

- بقى اسمعي.. كده ولا كده سكوتك مش هيفيدك، وشريكك

مسيره يعترف عليكى أو يلبسك القضية لو حدك؛ فأحسنلك تعترفي وتقوليلنا اللي تعرفيه، كارولين لو نفّذت اللي جاية عشانه وهربت انتِ اللي هتشيلي القضية لو حدك.

دبّ الذعر بقلبيها، لا تدري ماذا تفعل كي يصدقونها؟! صاح اللواء:

- انطقي أحسن لك.

لم تدرك جنة نفسها سوى وهي تختبئ خلف هشام ودموعها تغرق الأرض،
من خلفها تحاول إخراج الكلمات المتعثرة على شفيتها يخلجها نحيبها:
-والله.. أنا قولت.. كل الي أعرفه لسيادة الرائد.. صح؟ قول له أرجوك.

كانت ردة فعلها غريبة للجميع، وأولهم هشام الذي أدهشته فعلتها حينما
اتخذت من ظهره حصناً منيعاً تتوسلّ الدفّاع عنها، وكأنها طفلة تخمي بظهر
أبيها، في تلك الأثناء تحبّط مشاعره مع أفكار عقله؛ ففي حياته المهنية لم
يسبق أن رأى مثل ردود أفعالها على المجرمين، العتاة منهم والجبناء، لكنها
بكل أحوالها تحيط بها هالة من البراءة؛ فكانت حصونها تشكّل لهشام زجاجاً
شفافاً يستطيع سبر أغوارها، ورؤية ما بداخلها بوضوح من ألم ورعب وبراءة
شابة لم يتجاوز سنّها الحادية والعشرين، نطق هشام أخيراً:

- كل شيء تمام يا سيادة اللواء، فاضل نستجوب أحمد بدر و.. بإذن الله
نطلع بمعلومات مهمة.

اللواء بحقن: شوف شغلك يا سيادة الرائد، والتقارير تكون على مكتبي في
أقرب وقت.

هشام: تحت أمرك يا فندم.

خرج اللواء وتبعه جمال وسامر، بينما التفت هشام إلى جنة المنكمشة بنفسها
خلف ظهره، وأمسك بيدها برفق، ثم أجلسها وقد تهاوى عن وجهه قناع
الحدة والإرهاب واستحال مكانه الرقة واللين، يُحثّ شفّيته على الإفراج عن
كلماته قائلاً: اهدي.

جذب المقعد، وجلس بجانبها بعدما تأكّد من ذهاب جمال وسامر مع اللواء، وما من أحد يسمع الحديث القائم بينهما، فأردف:

- أنا عايزك تهدي وتحاولي تساعدينا، وأنا بوعدك هطلّعك من هنا في أقرب وقت.

طمأنها حديثه قليلاً، لكنها صاحت بخفوت:

- بس أنا فعلاً ماعرفش حاجة.

كان هشام شبه متيقّن من كلامها، لكنه لم يشأ إظهار ذلك حتى يتيقّن من ذلك بالأدلة كما اعتاد؛ ففي عمله ليس هناك مجال للشعور والأحاسيس التي ربما تخدع أحياناً، لكن هناك أيضاً أدلة خادعة حينما يلفّقها أحدهم باحترافية بالغة.

استطرد هشام:

- طيب.. أنا هطلبلك واحد ليمون تشربيه في مكتبي عقبال ما أحقق مع أحمد بدر، بس خلّي بالك الساعي بيشتكي إنك خلّصتي ع الليمون اللي عنده.

فلتت ابتسامة باهتة عن شفيتها من بين بكائها؛ فبدت له فاتنة، تأملها قليلاً بعينين عميقتين قبل أن ينادي مؤمن ليأخذها إلى مكتبه.

الفصل السابع

"انهيار"

بعد ذلك خرج هشام ملتقيًا بسامر وجمال، محاولًا عدم إظهار التشوّط الرهيب الذي يعجّ برأسه، اعتصر عينيه في محاولة ابتلاع آلام رأسه قائلاً:

- ها يا جماعة، شايفين إيه؟

اندفع سامر قائلاً:

- بصراحة يا فندم أنا شايف إن القضية كل مدّى بتوضّح زيّ الشمس، يعني الهدف تتكلّم من تليفون واحدة وتسيب معاها جهاز التتبع، وزميلها يروح الشقة الي كان المفروض نقبض فيها على الهدف الثاني، ويطلع أصلاً له ملف عندنا آخر حاجة فيه اشتباه في تهريب سلاح، مش معقولة كل ده صدفه يا فندم.

طالعه هشام منصّتاً إليه بعينين فاحصتين، مطّ شفتيه بدون تعبير، وانتقل بنظره إلى جمال الذي قال:

- وأنا موافق سامر في الرأي يا فندم، لو شدّينا على البتّ دي شوية هتتعترف بكل حاجة.

وافقه سامر قائلاً: بالظبط يا فندم، اللين مش هينفع مع الأشكال دي.

ارتفع حاجب هشام الأيسر بتحذير، ثم أردف:

- هتعرفني أعمل إيه وماعملش إيه يا سيادة النقيب.

سامر: العفو يا فندم، بس..

هشام بعصبية:

- مفيش بس، أنا داخل أشوف البيه الثاني، وياريت تتعلم إن مش كل حاجة بتيجي بالهمجية.

طأطأ سامر رأسه بخجل من قائده عن انفعاله، بينما دلف هشام إلى غرفة التحقيق ثانية حيث يقبع المشتبه به الثاني، كانت لخطوات هشام من خلفه وقع مخيف أثار الرجفة بقلبه، كاد يقف قبل أن يضع هشام كفه على كتفه بقوة وأجلسه مكانه قائلاً:

- لا لا، خليك مستريح.

هتف هشام بلهجة جامدة:

- انت صاحب مكان يا راجل، مش جديد عليك يعني.

جلس على المقعد المقابل ممسكاً بيده ملفاً، وأردف:

- أحمد حسن بدر مخلوف، طالب في كلية الألسن.

هز رأسه متابعاً:

- بقالك ٧ سنين في الكلية، ليه كده يا أحمد.. مابتذاكرش ولا إيه؟

ظل أحمد جامد الوجه محافظاً على صمته؛ فاستأنف هشام:

- ولّا ليك هدف تاني من وجودك في الكلية؟

في تلك اللحظة خرج أحمد عن صمته مستخبراً:

- مش فاهم، حضرتك تقصد إيه؟

- ضحك هشام بصوت مجلجل، ثم قال:
- عيب يا أحمد، قدّر ذكائي شوية أكثر من كده يا أخي، مش انتَ برضه بتسقط وتدبّر عشان تستغل شباب الجامعة وتعملهم غسيل مخ وتدخلهم جماعات إرهابية ومنظمات سرية؟
- انفعل أحمد بتلجلج:
- حضرتك بتقول إيه؟ لا طبعًا ما حصلش.
- ارتفع حاجب هشام قائلاً:
- شكلك مش مدرك انتَ فين.. ماتعرفش إن هنا لو مش عايز تعترف بمزاجك هتتعرف غصب عنك.
- ارتسم على شفة أحمد ابتسامة هازئة قائلاً:
- يا باشا لو كان معاك دليل ماكانش زمانكوا ساكتين عليّا، وماكانش زمان حضرتك قاعد تحقّق معايا كده.
- طالعه هشام بنظرة ثاقبة يسنّ أسنانه، يمرّق من خلفها لسانه في حركة تحذيرية، ثم قال:
- مش بعد النهاردة يا ظريف، قولي.. يا ترى إيه الي وذاك شقة المنيل امبارح الساعة ١ بالليل.
- ظهر الارتباك على وجهه، ثم قال باستنكار:
- شقة إيه ومنيل إيه؟ أنا.. أنا كنت نايم في الوقت ده يا باشا.

- هشام بعصية:
- ولا ، مش عايز استهبال، انطق! انت الي مكلف باستقبال كارولين في مصر.. صح؟ مين الي انت شغال لحسابهم؟ يالا ه اتكلم.
- أحمد بعناد:
- ما عنديش كلام أقوله.
- أمسكه هشام من تلاييه قابضاً على رقبته حتى كاد يختنق صارخاً:
- هتنطق ولا تحب تشوف جهنم بتاعتي؟
- هز أحمد رأسه بعنف موافقاً؛ فتركه هشام، قحّ حتى استعاد أنفاسه، وراح هشام يلقي عليه أسئلته:
- مين الي مكلفك بمرافقة كارولين، وإيه هي مهمتها؟
- مش عارف.
- ولاه، هستهبل تاني؟
- يا باشا والله ما أعرف، كل الي حصل إن واحد ماعرفوش كلمني وقالّ بس استقبلها في المطار وأنفذها كل الي تطلبه، وأأمن لها مكان تقعد فيه، مقابل خمسين ألف يدخلوا حسابي أول ما تخرج من مصر.
- وكان فين المكان ده؟
- شقة المنزل، لكن هي سابتها في نفس اليوم، ولما كلمتها قالتلي مالكش دعوة.. مش من مصلحتك تعرف مكاني.

أدرك هشام أنها انتقلت إلى أحد الفنادق المتطرفة بمدينة السادس من أكتوبر والذي صدرت منه المكالمات الهاتفية.

- امم، والي كلمك ده جنسيته إيه؟ يعني أكيد عرفت من رقمه.
- لا يا فندم، هو كلمني من إيميل fake، وطبعًا مسحت الإيميلات أول بأول.

- طب على الأقل عرفت من لغته.
- هو كان بيكلمني عربي مكسر كده، بس فيه كلمات أسباني قالها في نص الحوار.

حك هشام ذقنه بتفكير، ثم أردف: طب وجنة؟
أحمد باستفهام: جنة مين؟
اعتصر هشام عينيه بضيق قائلاً:
- يا أحمد خليك دوغري معايا كده، جنة طارق زميلتك في الجامعة.
أحمد بغباء: مالها يا باشا؟

هشام بعصبية: انت هتستعبط يا ابني، هي مش دي شريكتك اللي هربت كارولين من البوليس؟
أحمد باندھاش:

- أوبابا!! هي كمان طلعت معاهم.. يا بنت اللعية، ولا بيان عليها، بصراحة يا باشا معرفش حاجة بخصوصها، ولا حتى كارولين من بعد ما سابت شقة المنيل.

هشام وقد بدأت الأفكار تعصف برأسه:

- طيب انت مشرفنا شوية.. أما نشوف آخرتك إيه.

نادى هشام العسكري من الخارج ليأخذ أحمد من أمامه، وقد كان.

وبعد خروجها أمسك هشام رأسه بكلتا يديه مستنداً بمرفقيه على المنضدة، محاولاً كبج لجام آلام رأسه يفكر بداخله "يا ربي! ليه كل ما أفكرها هتتحل بتتعد أكثر؟ معقولة يكون توريطها ده كله صدفة؟ مين العبيط اللي يصدق كده بس! بس الحسنة الوحيدة إن الواد ده برّأ جنة، بس يا ترى هي بريئة فعلاً ولا الواد ده بيعمل كده عشان يخرجها لسبب تاني؟!"

قطع حديثه مع ذاته دخول جمال، جلس أمامه مستبشراً:

- أظن كده الأمور وضحت يا فندم.

هشام:

- مفيش حاجة وضحت يا جمال، كارولين لسه هربانة ومش عارفين

هدفها، والمشتبه فيها مش عارفين نثبت توريطها من عدمه، والأهبل ده كمان كل اللي قاله مش هيفيدنا في اللي جاي... آه.

أمسك هشام برأسه متأوّهًا؛ فقد أطاح بها الصداع؛ فمد له جمال علبة خضراء تحوي أقراصاً مسكنة قائلاً:

- اتفضل يا هشام بيه، الدوا ده مفعوله سريع وبيخلص على الصداع

بسرعة.

تناوله منه هشام، وابتلعه ملحقاً به بجرعة من المياه، ثم أعاده إلى جمال ثانية؛ فأردف:

- لا خليه معاك، أنا معايا علبة ثانية.

أوماً هشام شاكرًا، ثم نهض وذهب إلى مكتبه، فتحه فوجدَ جنة تقفز من مكانها متجهة نحوه بلهفة متسائلة:

- سيادة الرائد، عملت إيه، حققت معاه؟

لم يُجدِ الدواء مفعوله بعد؛ فطالعتها بعينين مثقلتين قائلًا بوجه متصلب:

- نعم؟! مين إذاً الحق تسألني في اللي مالكيش فيه؟

تركها وذهب متجهًا إلى مكتبه، وقبع على مقعده دون الالتفات إليها، بينما ظلّت متسمرة مكانها تتفحصه بنظرات العجب والدهشة تحدث نفسها: "ماله ده؟! لا مجنون رسمي، شوية يتعامل بحنية وشوية يقلب ويطلع دخان من ودانه، يا رب خرّجني من اللي أنا فيه ده على خير".

مضت قدمًا، ومثلّت أمام مكتبه قائلة:

- ازاي يعني ماليش فيه! أنا من حقي أعرف هو كان معاهم ولا لأ وقال عني إيه.

نهض هشام بهيئته المهيبه، ولف حول المكتب حتى صار قبالتها ينظر إليها من الأعلى ويديه بجيبه، ثم قال بلهجة باردة:

- ومحموقة عليه قوي كده ليه وعازرة تطمّني عليه، هو الـ... يهكم في

حاجة؟!!

تقدّمت نحوه خطوة باستشاطة التهبّت لها وجتيتها، ورفعت سبابتها لا إرادياً قائلة:

- لو سمحت.. أنا بحذرک تطاول معايا بالأسلوب ده، أنا..
باغتها ممسكاً بأصبعها بين قبضته حتى كاد يكسره؛ فصارت تتأوّه، بينما قال:

- حسّك عينك ترفعي صباeck في وشي تاني، ثانياً تحذري مين؟ انت مجنونة؟! وإيه لو سمحت أنا بحذرک دي كمان، لا ياختي ماسمحلکيش.
صرخت من بين تأوهاتھا:

- آه، صباعي هيتكسر، سييني.
أفلت يدها من قبضته؛ فصارت تفرك أصبعها بألم صائحة بقلة حيلة:
- على فكرة بقا ربنا مش هيسامحك.
باغتته ضحكة لم يستطع كبتها، لكنه أرغم نفسه على ذلك محدّجاً إياها بنظرة حادة، ثم نادى على العسكري ليأخذها؛ فصاحت بخوف:
- إيه ده انت هترجعني الحجز تاني؟ طب ليه؟ أكيد أحمد قال لكم إني ماليش دعوة، ليه هفضل هنا؟

رمقها هشام بنظرة ثاقبة متسائلاً: وعرفتني منين بقى إنه قال كده؟
جنة بانهيّار وبكاء:

- لأنني فعلاً ماليش دعوة ومعرّش أي حاجة، أرجوك بقى أنا تعبت والله، محدش حاسس بيّا، أنا بموت كل لحظة من الرعب وأنا شايقة نفسي

لبس قضايا عمري ما سمعت عنها غير في الأفلام، ومكان ضلّمة ومقفول،
وعسكري بيعاملني كأني مجرّمة، وظابط يديّ نفسه الحقّ يُخوّفني عشان
أعترف بحاجة ما عرفهاش، وأهلي الي ما يعرفوش عني حاجة وهموت
وأطمّن عليهم، لو حصلّهم حاجة مش هسامحك... وانت.. وانت وعدتّني
إنك هتخرجني من ه..نا..

حينذاك بدأ صوتها يتخافت ولا يُسمَع منها كلمات ذات معنى، وراح
بصرها يزوغ حتى سقطت مغشياً عليها.

لحق بها هشام قبل أن يرتطم رأسها بطرف الطاولة خلفها؛ فارتدّ رأسها إلى
صدره، حملها بلهفة ووضعها على الأريكة، ربّت على وجهها عدة مرات برفق
لكن دون استجابة؛ فنهض وأحضر كأساً من المياه وقطّر القليل منه لكن
عبثاً؛ فأخذ بيديها بين كفيه يدلّكهما منادياً بصوت جهوري: "مؤمن! يا
مؤمن!"

دخل مؤمن فزعاً:

- خير يا هشام بيه؟
- اتصل بالإسعاف بسرعة.

الفصل الثامن

"العزيمة"

في المشفى:

كان يقف هشام خارج إحدى غرف الفحص يرافقه أحد العساكر، يدّعي الثبات، لكنه في حقيقة الأمر كان عالقاً بين أمور شتى وأحاسيس غريبة راحت تداهم بين الفينة والأخرى.

خرج الطبيب؛ فتوجّه نحوه هشام بوجه خال من التعابير:

- ها يا دكتور، إيه حالتها؟

الطبيب:

- انهيار عصبي وضغط عالي مع خلل في ضربات القلب، أنا أدّيتها أدوية مهدئة وعلّقْتُها محلول، على بكرة الصبح إن شاء الله تكون بقت كويسة.

هشام: تمام، العسكري ده هيفضل حراسة هنا لبكرة الصبح.

أوما الطبيب متفهّمًا الإجراءات ثم غادر، حينذاك دلف هشام الغرفة بقدمين متثاقلتين، توقف أمام فراشها، كانت نائمة بلا وعي وقد حُلَّ عنها حجابها، حين وقعت نظرته الأولى عليها أخذت به إلى ملكوت آخر وكأنه بإحدى الجنان، تستلقي أمامه حورية فاتنة الجمال، لوحة فنيّة مكتملة رغم غيمة الأسى التي تكسو وجهها النورانيّ، شعرٌ بهزيز يختلج قلبه حتى بات

يسمع دقات قلبه بوضوح وكأن العالم من حوله بات سَرَّابًا، وسرعان ما أنهى تلك النظرة المطوّلة وأشاح بوجهه بعيدًا، وقد أدرك أنه لو كانت بوغيها لما أرادت أن يراها بتلك الهيئة، صحيح أنه لم يأبه يومًا لموضوع الحجاب؛ فأخته ارتدته والتزمت به ولم يتدخل بشأنها، أما عن خطيئته فلم تقتنع يومًا بارتدائه، وهو بدوره لم يكن ينوي التدخل بهذا الأمر، لكنه في تلك اللحظة شعر بضرورة المغادرة، ومع ذلك لم يستطع منع نفسه من استراق نظرة أخرى عليها قبل أن يغادر.

عاد هشام إلى منزله مثقل الرأس، تعجّب بها الأفكار المتلاطمة، وما إن فتح باب الشقة حتى سمع أصوات جلبة تصدر من الداخل، تذكّر حديث منيرة عن عزيمة أختها وابتنها، ومالبت أن يغلق الباب حتى أتاه عمر يهتف ببراءة:

- خالوجه.. خالوجه.

ثم تابع بلمحظة:

- اتأخرت كده ليه يا هشام، مِثْ لاقى حد ألعب معاه، ولا لا دي لحمة قوي، عمالة تِثدني من خدودي.

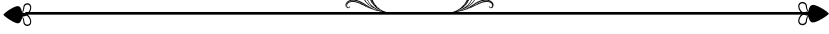
حملة هشام ضاحكًا:

- يخرب بيت لماضتك، بس تصدّق عندك حق، انت عيّل وماستحملتهاش، أنا أعمل إيه.

رد الطفل لا شعوريًا:

- ألعب باليه.

- هشام بحاجيين مرتفعين:
- أَلْعَبْ بِأَلِيهِ! أَمِّم..
- ومن ثم تركه من بين يديه ليسقط على الأريكة؛ فصرخ عمر متضاحكًا، بينما اتجه هشام إلى المطبخ حيث كانت منيرة وحنين وفوزية ولارا؛ فألقى عليهن التحية: السلام عليكم.
- رد الجميع التحية، وبادرت فوزية: ازيك يا حبيبي؟
- هشام بابتسامة جافة: الحمد لله يا طنط، منورة.
- فوزية:
- ده نورك، وبعدين إيه طنط دي بقي؟ انتَ هتبقى جوز بنتي، يعني أنا زي والدتك تقولي يا ماما.
- تجهم وجه هشام؛ فلكرتها منيرة تحدجها بتحذير؛ فتمتت فوزية باضطراب:
- أو.. الي انتَ عايزه يعني.. كل الي يطلع منك حلو.
- فرد هشام بابتسامة مصطنعة:
- بعد إذنكوا هدخل أغير هدومي.
- لارا بعصبية:
- شوفتوا دخل ازاي وماعبرنيش.
- حنين بمكر:
- طب ما تقرّي انتَ وتقولي عملتي إيه خلاه قلب وشه كده.



لارا باضطراب:

- أنا.. أنا ما عملتش حاجة، هعمل إيه يعني!
- وقفت حنين تضع يدها بجانبها تقول غامزة:
- يا بت! ده أخويا وأنا حافظاه، ومستعدة أحلفلك إنك عاملة مصيبة.
- لارا بدفاع:
- ولا مصيبة ولا حاجة، أخوكي اللي أوفر ويكبر المواضيع، إيه يعني سمع واحد زميلي بيناديلي وهو بيكلمني في التلفون.
- ابتسمت حنين قائلة: بس كده؟
- لارا: آه بس.. يعني هي كل مشكلته إنه قالّي يا لورا، ما كل أصحابي بينادولي كده.
- ضحكت حنين بانتصار، بينما قالت فوزية:
- انتِ هبلّة يا لارا؟ ده خطيبك وبيغير عليكِ، حقه يعمل أكثر من كده كمان.
- وَأردفت منيرة:
- هشام دمه حامي يا لارا انتِ عارفاه، يلا يا حبيبتِي ربنا يهديكي، النهاردة تراضيه بكلمتين وماتعانديش معاه.
- هزت لارا رأسها موافقة، بينما ظلّت حنين واقفة تقلّب الطعام على النار، تفرك ذقنها بأصبعيها تفكر:
- يا نهار مش فايت، هو هشام بيغير عليها بجد ولا إيه؟!

طَرَقَتْ لارا غرفة هشام عدة مرات، لكن ما من مجيب، قالت في نفسها:

- يمكن واقف في البلكونة ومش سامع.

فتحت الباب برفق ودلفت إلى الغرفة تجوب بها بعينها؛ فلم تجده، بل وجدت باب النافذة مغلقاً، فوَجِئَتْ بعد ثوانٍ بخروجه من المرحاض يَحْفَفُ وجهه وشعره بالمنشفة، ولم تكن دهشته أقل حينما أنزل المنشفة عن عينيه ووجدها أمامه، تَجَهَّم وجهه وبادر متسائلاً:

- انتِ دخلتي هنا اَزَّاي؟

اضطربت ملامحها، ثم رَدَّت بتوتر:

- من الباب.

هشام بسخف:

- لا كنت فاكِر من الشباك، أيوَه دخلتي اَزَّاي من غير إذنِي، يقولوا

علينا إِيه دلوقتي لما يشوفوكي في أوضة نومي؟!

لارا:

- ما أنا خَبَطْتُ كثير وانتَ مارَدَدْتش، قلت أكيد في البلكونة كنت

هدخل أقف معاك.

ثم أضافت ابتسامة رقيقة على شفثيها، وأضافت:

- وأصالحك على الي حصل الصبح.

قدف المنشفة على سريره، وراح يجلس عليه قائلاً بغضب:

- وأنا بقى عيّل وبريالة وهتضحكي عليا بكلمتين، صح؟

- جثت لارا أمامه قائلة بلمهضة:
- فشر، ده انت باشا قلبي وباشا مصر كلها يا سيادة الرائد.. خلاص بقى، بليز.
- افتّر عن ثغره ابتسامه، للحظة تذكر نداء جنة له بتلك الصيغة حالما كانت تتخذ من ظهره حصناً منيعاً، عاد بنظره إلى لارا قائلاً:
- خلاص، سماح المرة دي.
- ردت بهزر: سماح ماتت محروقة.
- عبس وجهه ثانية وقذفها بالمنشفة هاتفاً:
- اطلعي برّه يا لارا.
- قاطع حديثهما صوت ذكوري؛ فألفيا رجلاً لدى الباب المفتوح يقول ممازحاً:
- احم، جوز كناري ياخواتي، آسف لو أزعجتكوا.
- هشام باستغاثه:
- لا كده كتير علياً، ارحمني يا رب.. تعالى عايزك.
- أخذ هشام زوج أخته عماد وخرجا إلى النافذة، بينما عادت لارا إلى المجتمع النسوي.
- أردف عماد مشاكساً: بس ماتنكرش إني أنقذتك.
- هشام بجديّة:
- سيبك من الكلام ده، عايزك في موضوع مهم.

تراجع عماد إلى الورا قائلًا:
 - آااا، أنا مش برتاح للجملة دي.. يبقى قضية معقّرة معاك
 وهتصدعني.

لكزه هشام هاتفًا بجدية: اسمع بقى!
 نظر عماد إلى السقف مستغيثًا، ثم قال بمرح:
 - اتفضل.. معاك المايك.

في المطبخ:

عادت لارا منفرجة أساريرها؛ فرمقتها حنين بنظرة مطولة، ثم قالت:
 - شكلكوا اتصالحوا.
 اتسعت ابتسامة لارا قائلة بثقة:
 - طبعًا، عيب عليكى، مايقدرش يصمد قُدام لارا.
 لوت حنين شديها متممة بسرّها:
 - آه طبعًا، انتِ هتقوليلي!
 استأنفت لارا:
 - على فكرة جوزك جِه.
 لم تُعر حنين الأمر اهتمامًا، أو هكذا اصطنعت، فقالت لارا بمشاكسة:
 - امهم، شكلكوا متخانقين.

عرفت حين أن الأدوار انقلبت، وستفعل بها لارا مثلما فعلت معها؛ فلم ترد، لكن لارا لم تصمت:

- انتِ الي عملتي في نفسك كده، كنتي متصبّرة على الجواز، ومش بس كده لا.. خلفتي بسرعة كمان، يا بنتى سنك ده كان المفروض تعيشي فيه حياتك وتتنطّطي وتسافري انتِ وجوزك من مكان لمكان. حين وقد فاض بها الأمر:

- جوازي مش مانعني من إني أعمل حاجة بحبها، وبحمد ربنا على عمّر ابني حبيبي، ده أحلى حاجة في حياتي، وجوزي ربنا يخليهولي بنسافر وبتتنطّط...و..

لارا: ارّاي بقي؟ ومسئولية عمر وعمّيل الأكل والشرب وتنظيف البيت وغسيل وغيره..

حين بامتعاَض: ومين قالك إني مَضّايقة من الحاجات دي؟ لارا بسخرية:

- الهالات السودا الي حوالين عينك دي الي قالتلي، وجسمك.. جسمك مابقّتش مهتمة بيه خالص، مش شايقة تحنتي ارّاي! جوزك نفسه هيزهق ويبص برّه بعد كده.

بدأت حين تنظر إلى جسدها بتمعن، تتساءل في نفسها: "هو أنا تحنت بجد؟"، لكنها بدلاً من أن تجد جواباً لسؤالها، تفاجأت بذراع حانية تضمها، وقبل أن تلتفت إلى صاحبها سمعته يقول:

- مرااتي في عيوني ملكة جمال العالم، عمري في حياتي ما يملاهم واحدة غيرها، وبالمناسبة هي بتتغير آه.. بس للأحلى.

أخرست لارا كلمات عماد، بل وأشعرتها بالحرج، بينما حدثت حين بزوجه بعينين لامعتين بهما الكثير من القول أجَلته حين عودتهما إلى عشهما الصغير.

بعد تناول العشاء... خرج هشام يحتسي الشاي بنافذة الصالة برفقة عماد، لم يستطع هشام فصل عقله بأفكاره المتصارعة عن واقعه؛ فكان يشرد بذنه بعيداً مغلقاً حواسه عن حوله، حتى راح عماد يائساً يصرخ بأذنيه:

- هشام!!!

أجفل هشام لصراخه قائلاً:

- إيه يا عم فيه إيه؟ انت بتنادي عليّ من الآخر!

- أنا اللي فيه إيه؟ انت سافرت فين بقالي ساعة بكلمك.

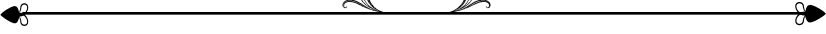
فرك هشام جبهته، واحتسى رشفة من فنجانه قائلاً من بين أسنانه:

- هتجنن.. هتجنن!

تنهد عماد قائلاً: يا عم انت الي عامل كده في نفسك، القضية واضحة زي عين الشمس، بس هقول إخي.. ما أنا عارفك، رُوح المفتش كرومبو الي بتتقمصها دي، هي دي الي بتتعبك.

هشام بحاجيين مرتفعين مع نبرة إصرار:

- طب تنكر إني كل مرة بيطلع عندي حق؟



- عماد: ماشي.. بس مش للدرجة دي.
- هشام وقد تثاقَلت عيناه من فرط التفكير:
- هي قضية معقّبة أصلاً.. أنا عندي إحساس قوي إن جَنّة مالهاش علاقة بكل ده، واتلَطّ فيه بالصدفة.
- رمقه عماد بعينين نصف مغمضتين قائلاً: واد يا هشام.
- هشام باندھاش:
- واد؟! إيه واد دي يا بَقْف انت.. تعرف انت لو ما كُنُتْش جوز أختي كنت حبستك.
- عماد ببيكش: سيبك من الشويتين دول، وقولّي إيه حكاية جَنّة دي؟
- استند هشام بكلّتي ذراعيه على السور مطرقاً برأسه إلى الناحية الأخرى قائلاً:
- حكاية إيه يعني.. مش فاهم؟
- عماد بجديّة:
- لا انت مش غبي فماتستغباش.
- ارتفع هشام بجسده عن السور ملتفتاً إليه:
- ما تلم لسانك يا جدع انت فيه إيه! عادي يعني.. هي بس بنت صغيرة ما أعتقَدُش تتورّط في حاجة كبيرة زي دي، وحتى لو.. فأكيد هي ضحية ابتزاز أو اتضحك عليها، دي ما كَمَلُتْش ٢١ سنة وشكلها بريء.. ورقيقة و..

- تنهد عماد مشاكساً:
- وإيه كمان يا حنين.. وربنا أندھلك خطيبتك من جوّه.
- ما كاد يكمل كلمته حتى سمع صوتاً مرخاً:
- وأهي خطيبته جات، كنت هتندھلي ليه؟
- طالعه عماد بشماتة، ثم قال:
- لا أبداً، كنت عايزك تيجي تسمعي الشعر اللي هشام بيقوله فيكي.
- تهللت أساريرها، بينما حدّجه هشام بنظرات نارية يأكل شذقيه أكلاً، بينما تساءلت لارا فرحة:
- بجد؟! كان بيقول إيه يا عماد؟
- عماد بتبرة حاملة:
- كان بيقول إنك بريئة ورقيقة وجميلة، وببخاف عليكِ ومش مستحمل عليكِ الهوا.
- عاد هشام بنظره إلى الشارع يتوعد عماد بسرّه، حالما شعر بلمسة لارا على كتفه؛ فنظر إلى وجهها الباسم متسائلة:
- بجد يا هشام قولت عليا ده كله؟
- كاد ينطق، لكنها أكملت:
- طب ليه مابتقوليش الكلام الحلو ده؟ ما أنا على طول بتحايل عليك
- تسمّعي كلام حلو، وكل اللي عليك أنا ماليش في الحُسن ده، أنا مش فاضي
- للتفاهة دي، طب ما انتَ طلّعت رومانسي أهو، مش بتقولِي ليه بقى؟ هو..

- كان عماد يضع أصابعه في آذانه، بينما هتف هشام صائحًا:
- بااااا، ما هو عشان ده، افصلي شوية، اديني فرصة أقول حاجة..
- إييه؟ دودودودودو مابتفصليش؟
- ردّت بغنج: عشان بحبك يا شيمو.
- استحالت ملامحه إلى مزيج من الدهشة والاشمئزاز صائحًا:
- شيمو مين يا حبيبتى؟ انتِ بتكلمي واحدة صاحبك؟ ما تطبطي كده.
- ضحكت قائلة:
- بدلّك يا بيبي، طب خلاص انتِ اختار.. شيمو ولا هيشو ولا ميشو ولا هوشو.
- يا حلاوة شوشووو، بقيت هوشو يا إتش؟
- كان ذلك صوت حنين ضاحكة، أغمض هشام عينيه مستجيرًا، بينما همس له عماد ضاحكًا بشماتة: كده بقت حفلة رسمي.
- غادر الضيوف المنزل وحلّ المساء بليل مقمر ونسمة هواء باردة منعشة، همّ هشام بالخروج من المنزل؛ فسألته منيرة:
- رايح فين يا هشام، ده الساعة داخله على ١٢؟
- ضحك هشام بخفة يترأى له أن منيرة ما زالت تعامله وكأنه طفل ما زال يجبو في نظرها رغم تجاوزه سن الثلاثين، وكونه ضابطًا لم يشكّل لها فارقًا، فسيظل الابن الذي تخاف عليه ويتعاضم شعورها بالأمان في وجوده.

ردّ هشام بحنوّ:

- هنزل أتمشى شوية، مش هتاخر، نامي انتِ ماتقلّيش.

خرج هشام من عمارته متخذًا اليسار سبيلًا، وبدأ السير بخطى واسعة واضعًا كلتا يديه في جيبي السترة الرياضية يغطّي رأسه بغطاء الرأس الملحق بالسترة، حتى بدأت الأفكار تتدفق في رأسه بهرج ومرج محاولًا ترتيبها بشكل منطقي، زاد من حركته حتى أخرج يديه من جيبه وراح يركض مستعرضًا بمخيلته ما حدث خلال هذين اليومين، وما يتنافى مع فرضياته الأولى، راح يتخيّل أولًا مشهد كارولين في المطار وذلك الشخص الذي استقبلها، وقد كان يدرك شكلها مسبقًا، وهي بالمثل، حتى أنه كان لا يحمل أية لافتة، استقلّت معه السيارة.. الحدث الثاني في الفندق، وكانت مكالمة غير محسوبة العواقب من هاتف الفندق إلى مُرافقها تخبره بأنها تريد ملاقاته ليعرفها الجوانب المنتقصة للمهمة، حتى تستطيع إصابة هدفها المزعوم.. الحدث الثالث إعادة ملابسها من الدراي كلين الملحقة بالفندق، لكن بقرص مراقبة دقيق لا يمكن ملاحظته، ومع ذلك فطنت إليه.. ومن ثم هربت من المُخبر الذي يراقبها حتى التقت بجنتّة..

في تلك اللحظة راح خفقان قلبه يتضاعف فضلًا عن الركض، لكنه واصل عدوّه مستمرًا في استذكار الأحداث؛ كيف كانت مذعورة ينهشها الرعب مما وقعت به منذ لحظة القبض عليها؟ وحتى انهيارها واستلقائها في المشفى بوداعة تكشف جليًا عن براءتها.. ثم راح يتذكر ذلك أحمد بدر وذهابه إلى

شقة المنيل وما أفرَّه بالتحقيق، حينئذ توقف مكانه يجوس بعينه بتفكر، ثم انفرج عن شفّتيه ابتسامة خبيثة مهمهما: "أنا كنت صح، الغبي كل مدى بيكشف نفسه أكثر، وعشان نقدر نوصل لكارولين لازم نكشفه الأول".

الفصل التاسع

"إخلاء سبيل"

في صباح اليوم التالي، في مكتب اللواء:

- يعني الولد اعترف على نفسه وبراً البنت؟
- بالظبط يا فندم.
- أنا شايف يا سيادة الرائد إنك ناوي على إطلاق سراحها.
- وجودها هنا مالوش داعي يا فندم.
- إيه الي مخلّيك متأكد كده إنه مش بيداري عليها؟ أو إنه عايزها تخرج
- تساعد كارولين من تاني؟
- لأني متأكد يا فندم إن ولا هي ولا هو ليهم علاقة بالقضية، ولا من قريب ولا من بعيد سعادتك.
- ازّاي؟! انتَ مش بتقول إنه اعترف؟
- اعترف يا فندم بس مش باللي عمله، باللي حفظ إنه يقوله.
- انتَ تقصد إنه مجرد طعم تاني لتعطيل سير القضية وتعقيدها.
- بالظبط سيادتك، كل حاجة بتقول إنه مش هو الي استقبل كارولين
- ولا عمره شافها حتّى.
- أطال اللواء في النظر إليه متسائلاً منتظراً منه تفسيراً؛ فاستطرد هشام:

- أولاً يا فندم الشخص الي شوفناه في الفيديو كان هيئة جسمه وحجمه أكبر من أحمد، ثانياً لو كان هو المتهم بجد ماكانش هيروح شقة المنييل تاني بعد محاولة القبض عليه؛ لأنه هيكون عنده شك إنها متراقبة، تالت حاجة يافندم إني واثق من إن كارولين عمرها ما راحت شقة المنييل، وإن الشقة دى كان مستخبي فيها العنصر المجهول، أو بمعنى أدق تليفونه، المكالمة الوحيدة الحقيقية الي صدرت للرقم ده كانت من الفندق، ولما عرفوا إننا كشفناهم سجلوا مكالمات وهمية وسابوا التليفون في الشقة دي، واللي هي بالمناسبة ولا متأجرة ولا متباعة، أصحابها هجروها من ١٠ سنين وعاشين حالياً في فيلا في الشيخ زايد، والعنصر المجهول استغلّ ده كويس.

- امم، تحليل منطقي، أفهم من كده إن شكك الأولاني لسه قائم؟
- وأكثر من الأول يا فندم.

رد اللواء بروح فكاهية:

- طب يا أخي افصحلي عنه يمكن أقدر أساعدك.
- ابتسم هشام قائلاً:
- حضرتك علمتنا ما نرميش التّهم جزافاً بدون دليل، وطول ما أنا مش معايا الدليل مش هقدر أتّهم الشخص ده، وخاصة...
- اللواء: وخاصة إنك شاكك في خاين من الجهاز، مش كده؟
- اندهش هشام لذكاء اللواء قائلاً:
- ده معناه إن حضرتك عندك نفس الشك!

- إلى حد ما، بس حابب أعرف أسبابك للشك ده.
- شكّي بدأ من ساعة ما كارولين عرفت بوجود المخبر الي بيراقبها وهربت منه بالشكل ده، مع إنها داخلة مصر بشخصية جديدة ماعليهاش أي حاجة، والمفروض تكون متأكدة إنها مش مشكوك فيه، بعدها شكّي اتأكد لما عرفت بقرص التتبع الي اتخيّط داخل هدموها، ازاي قدرت تكتشفه؟ تالت حاجة بقى ودي الأهم ازاي عرفت إن الرقم الي كلمته من الفندق بقى متراقب؟ وبناءً على كده سجّلوا مكالمات مزيفة كان مقصود بيها تضليلنا، محدش ممكن يمدّها بكل المعلومات دي غير واحد منّا، وبالتحديد من الي شغالين على القضية.

نهض اللواء عن مكتبه يحكّ ذقنه بأصبعيه يفكر في الأمر، ثم قال:

- بس ده كلام خطير يا سيادة الرائد، لازم تاخذ بالك كويس قبل ما تتهم أيّ حد، وإلا العواقب هتكون وخيمة.
- أوما هشام بإدراك: مفهوم يا فندم ... مفهوم.
- طب والبت دي لو هتفرج عنها لازم تبقى عارف إن حياتها هتكون في خطر، وأظن إني من البداية لفتّ نظرك للنقطة دي.
- اطمّن سيادتك يا فندم، أنا أكيد عامل حسابي وهيكون عليها مراقبة مشددة.

- ممتاز، تقدر تتفضّل وتوافيني بالتقارير أول بأول.

- أكيد يا فندم، بعد إذن سيادتك.

في مكان آخر صحراوي تمتلئ التلال على جانبيه في شموخ، أخذت جنة تركض وحيدة تبحث عن شبح إنسان يساعدها في ذلك المكان المقفر، لكن دون جدوى، واصلت ركضها بين المرتفعات حتى وصلت آخر الطريق؛ لتجد نفسها أعلى جبل على شفا هوة على ارتفاع بعيد مرعب، والأكثر فزعاً هي تلك النيران المشتعلة بالأسفل، حاولت جنة التراجع، لكن كان هناك رياح خفية تزجّ بها، تدفعها بقوة وقسوة، صرخت بأعلى صوتها، بينما كان نصف جسدها مائلاً إلى السقوط وقد استسلم جسدها للجاذبية من أسفلها وأعلن قلبها الخضوع، وفي لحظة يأسها فوجئت بذراعها تجذب ثانية إلى المرتفع وقد تشابك بيدها يدٌ أخرى أكثر قوة، استعاد قلبها خفقه السريع وهي تعاود الحياة ثانية بارتفاع نصف جسدها العلويّ مرة أخرى محاولة رؤية منقذها من تلك الرؤية الضبابية المعبّقة بالرياح والرمال، حتى ظهرت لها ملامحه، أسود العينين حليق اللحية، كثيف الشعر قاسي البنية، عرفته على فورها تحدّق به بعينين فاغرتين دهشة، ومن ثمّ شهقت مستعيدة وعيها المفقود ليلة كاملة؛ لتجد نفسها بغرفة بيضاء لم تعرفها من قبل، وحوّلها أسرتها؛ أبوها وأُمها.

انفضت جالسة وهرعت إليها والدتها تحتضنها بلهفة:

- بنتي.. بنتي حببتي، حمداً لله على سلامتك يا قلبي.

بينما ما زالت جنّة في حالة من التيه والضياع تجاهد لاستيعاب ما يحدث حولها متذكّرة أحداث اليومين السابقين، ثم هتفت بصوت ضعيف تستشعر الأمان من عناق والدتها:

- ماما! إيه الي حصل؟ وانتوا عرفتوا مكاني ازاي؟
- ربت والدها على رأسها مقبلاً جبهتها هاتفاً:
- حمداً لله على سلامتك يا حوريتي.
- ابتسمت بوهن وقالت:
- الله يسلّمك يا حبيبي.. ما قولتوليش برضه عرفتوا مكاني ازاي؟ وإيه الي جابني هنا؟ احنا في مستشفى، صح؟
- كاد والدها يرد، لكن منعه صوت طرق على الباب فنهض، فتحه، وما لبث أن تجهم وجهه؛ فسمعت جنة صوتاً ألفتة في هذين اليومين:
- صباح الخير يا باشمهندس طارق، إيه هتسيبنى واقف ع الباب؟
- أشار له طارق بالدخول على مضض قائلاً:
- اتفضل يا حضرة الطابط.
- كان لدخول هشام أثرٌ مفرغٌ في قلب جنة، تُرى هل أتى ليعيدها إلى ذلك السجن المقيت أم غرفة التحقيق البغيضة؟! تعلقت أنظارها الفرعة به منتظرة انطلاق لسانه المعتاد لتعرف سبب مجيئه؛ فسمعته يقول موجهًا حديثه إليها:
- ألف سلامة يا أنسة جنة.

أشاحت بناظرها بعيداً، ولم ترد؛ فتدخّل والدها قائلاً بضيق:

- الله يسلمك يا سيادة الرائد، ويكون بمعلومك بنتي هترجع معنا على بيتها، انت جيتلي امبارح وطمّنتنا عليه مشكوراً ووعدتنا إنكوا مش هتمسّوا شعرة منها، وإنك واثق في برائتها، وقولتلنا مفيش داعي للمحامي،

و..

هشام مقاطعاً: وأنا عند وعدى يا باشمهندس.

كانت جنة ترقب الوضع بدهشة كبيرة، هل كان والدها يعرفان مكانها؟ أذهب إلى بيتها ليطمئنّها عليها.. بل ويثق في براءتها أيضاً؟!

رد والدها بانزعاج:

- ما هو واضح بدليل إن بنتي في المستشفى من امبارح بانهيّار عصبي.

أوشك هشام أن يرد، لكن بادرته جنة قائلة:

- بابا، حضرة الطباط مالوش ذنب، بالعكس كان بيعاملني كويس جداً، أنا بس الي كنت مخضوضة شوية من الموقف.

حدجها هشام بنظرة غير مفهومة، ثم قال:

- ومع ذلك بعذر لحضرتك يا باشمهندس طارق، وزى ما وعدت حضرتك جنة.. أقصد الآنسة جنة هتخرج النهاردة وتمارس حياتها بشكل طبيعي جداً، كل الي عليها بس إننا وقت ما نحتاجها نلاقيها.

جنة باضطراب:

- يعني إيه؟! أنا لسه مشتبه فيّ؟

مطّ هشام فمه قائلاً:

- أنسة جنة، القضية كبيرة وكل شوية بيظهر فيها تطورات، أنا عارف إنكوا مش هتستوعبوا ده بس دي إجراءات وقوانين، كل اللي أقدر أقوله إني واثق من براءتك، ولحد ما أمسك المجرم الحقيقي ممكن يكون فيه خطر عليكي، والـ... برجو إن وقت مانحتاجك نلاقيكي عشان ماتزيدش الشبهات حواليك، لكن بشكل رسمي انت مش عليكي أي حاجة، وتقدر ترجعي جامعتك بدون أي مشاكل، ومع ذلك يُفَضَّل ترتاحي في البيت اليومين دول.. ده أأمن ليكي.

زمت فمها بسخط، وأطرقت برأسها الناحية الأخرى، بينما ظل نظره مثبتاً عليها، ونادى العسكري من الخارج؛ فدلف إليه ومعه دفتر أعطاه لجنة لكي توقع به؛ ففعلت، حينذاك وصل مسامعهم صوت شاب مرح:

- ها؟ فاقت ولا لسه بتدلّع؟

ارتسمت البسمة على محياها، ما إن أبصرت أحمد ابن خالتها وأخاها الروحي، لاحظ هشام ابتسامتها؛ فالتفت بحاجب مرتفع إلى صاحب الصوت، والذي اتجه إليها مباشرة، وجلس قبالتها على فراشها مبتهجاً وأمسك يديها يشد عليها قائلاً:

- إيه بقى يا ست چيني؟ مش كفاية دلّع بقى ونطلع من هنا! انت عارفة أنا مابطيقش جو المستشفيات ده.

رمقه هشام بنظرة جامدة يفكر في نفسه "ويطلع مين حيلتها ده؟ التقارير بتقول إنها وحيدة أبوها وأمها، ومش مخطوبة كمان، أو مال مين ده؟!". قطع تساؤلاته صوت طارق قائلاً:

- من بعد إذنك يا سيادة الرائد ممكن كلمتين برّه؟

رد هشام وما زال نظره مثبتاً على جنة وأحمد:

- آه طبعاً، اتفضل!

خرج هشام مع طارق، واستقرّا أمام الغرفة، حيث ابتدر هشام متسائلاً:

- خير يا باشمهندس؟

طارق بقلق:

- أرجوك يا سيادة الرائد تقولي الحقيقة، بنتي فيه خطر عليها؟ يعني

هي ممكن تبقى متهمة بقضية زي دي؟

هشام بلامح هادئة: ما تقلقش يا باشمهندس، كل حاجة هتبقى تمام وبتتك مش هيمسّها أي ضرر.

طارق: طب لو سمحت أنا كلمت محامي صديقي، أرجوك تطلّعه على القضية وموقف بنتي منها.

هشام: صدقني حضرتك مفيش داعي لكل ده، ولو احتاجناها تاني في أي استجواب ممكن نسمح لوجود المحامي، ثِق فَيّا.

هز طارق رأسه باطمئنان يشوبه بعض القلق، واستأذن منه هشام مغادراً المشفى.

في الغرفة:

رن هاتف أحمد؛ فهمهم قائلاً:

- ده الاتصال العشرين يا مالك، صبرني يا رب.
- أيوه يا عم مالك؟
- مابتدش على طول ليه يا ابني انت؟
- ماسمعتوش يا عم، كنت بخلص أوراق المستشفى.
- طب ها؟ جنة عاملة إيه دلوقتي؟ فاقت ولا لسه؟
- فاقت يا عم وزيّ القردة أهيه.
- قرد لما ينططك يا بعيد، طيب سلّمي عليها، وأنا هخلص شغل وأجيلكوا على طول.
- على طول ولا عرض؟
- تيت تيت تيت
- يا ابن ال....
- ضحكت جنة قائلة: مستني منه إيه بعد القلشة الرخيصة دي؟! أحمد متصنعاً التبرّم:
- حتى انت! لعلمك أنا عملت كده بس عشان أضحكك.
- ربتت جنة على ذراعه قائلة بامتنان:
- ربنا يخليك ليّا.

استقلَّ هشام سيارته جالسًا خلف المقود، يتسلَّل إلى قلبه شعور بالحنق والضيق لا يدرك مغزاه، ألقى نظرة أخيرة نحو المشفى، ثم انطلق بسيارته بعيدًا مخلِّفًا عنه سحابة من السخط والانزعاج غير المبرر.

في منزل طارق كانت سلوى خالة جنة وزوجة ابنها سارة في انتظارهم يعدّان الطعام والشراب لاستقبالهم، وما إن فرغت من أعمالهما حتى سمعتا صوت الباب يُفتح، ودلف منه طارق متمثِّمًا:

- تعالي يا حبيبتى، نورتي بيتك.

هرعت إليها سارة بقلق، ودّها لو تطمئنَّ عليها ليرتاح قلبها؛ فهي صديقة طفولتها وأعز الأقربين إليها، احتضنتها بلهفة، ثم ابتعدت عنها قليلًا وأمسكت بكفيها هاتفة:

- جنة، حبيبتى انتِ كويسة؟

تألّمت جنة؛ فقد كانت سارة تضغط على مكان الكانويلا بيدها؛ فرفعت سارة يدها معتذرة، بينما ردّت جنة ببسمة واهنة:

- أنا بخير يا سارة ماتقلقيش.

جاءهم صوت خالتها بعدما حمّمت حرجًا من ظنونها السابقة:

- حبيبتى، حمداً لله على سلامتك.

جنة: الله يسلمك يا خالتو.

سلوى: إيه! هتفضلوا واقفين ع الباب كده؟! ادخلوا كمّلوا سلامات جوّه، الأكل هيبرد، عملتلك بقى يا حبيبتى الحمام المحشي بالفريك زي ما بتحببيه، عشان تتغذّي كده وتحفّي بسرعة.

جنة: تعبتي نفسك يا خالتو، ماكانش له لزوم كل ده.

سلوى: ازاي بقى؟ احنا عندنا كام جنة!

منال: ربنا يخليكي لينا يا سلوى.

تدخل أحمد بمرحه المعتاد: طب إيه؟ أنا واقع من الجوع، لو هتفضلوا تتكلّموا كده فأنا مضطر...

سلوى بلهجة تهديد: مضطر إيه يا ابن سلوى؟!

أحمد: مضطرّ أستنى يعني هعمل إيه؟

سلوى: آه بحسب.

تمتم بسرّه: ده أنا ابنك على فكرة، أومال لو كنت ابن ضرتك!

لاحظته جنة؛ فقالت مشاكسة:

- بتقول حاجة يا أحمد؟

حمحم قائلاً:

- احم، بقول هو.. أومال مالك اتأخر ليه؟

لم تستطع جنة كبت ضحكاتها، بينما ضيقّ أحمد عينيه متوعدًا إياها معيّدًا إلى روحها القليل من البهجة التي فقدتها في اليومين السابقين.

الفصل العاشر

"عودة"

فرغت العائلة من تناول الطعام، وانتقلت إلى غرفة المعيشة يتناولون الفاكهة والمشروبات الساخنة، ثم استأذنت جنة وسارة ودلفتا إلى غرفة جنة، جلستا على الفراش حيث تستريح جنة، وتستمتع بالثروة قليلاً مع صديقتها؛ حيث ابتدرت:

- يعني هو الواحد لو ما حصلتلوش مصيبة مايشوفكيش؟!
- فال الله ولا فالك، أعمل إيه بس ما انت عارفة مالك وطلباته الي مابتخلصش، عايز واحدة تمشي تلم وراه.
- ده حقيقي أنا عارفاه، ماشي يا ستي خليكى جنب سي مالك وانسيني كده.
- طُرق الباب طرقتين؛ فأذنت جنة بالدخول للطارق؛ ففتح الباب ليظهر منه شاب وسيم رافعاً أحد حاجبيه، ثم قال:
- كنت سامع اسمي، خير؟!
- ضحكت سارة باضطراب قائلة:
- لا أبداً، وبعدين هو مفيش غيرك عشان نجيب في سيرته، هه!
- حلق بها بخبث قائلاً:
- امم، بأماره طلباته الي مابتخلصش، ماشي ماشي.. لينا بيت يلّمنا.

- شفق وجه سارة حياءً، وضحكت جنة؛ فاقترب منها قائلاً بنبرة حانية:
- طمني عليكي، عاملة إيه دلوقتي؟
 - أومات جنة مطمئنة:
 - أنا كويسة الحمد لله.
 - ربت بيده على رأسها، ثم قال:
 - طب اسمعيني يا جنة وبلاش عناد، خروجك الفترة الجاية ممكن يعملك مشاكل، فلو سمحتي تاخدي ريس كده شوية، على الأقل تستردي قوة أعصابك، أولك؟
 - افتر عن ثغرها ابتسامة تهكمية، ثم قالت:
 - بابا الي قالك تكلمني في الموضوع ده، مش كده؟
 - مالك بحزم:
 - آه كده، ولازم تسمعي الكلام يا جنة، محدش عارف ممكن يحصل إيه، سواء من الشرطة والي أكيد هيكونوا مراقبينك خطوة بخطوة، أو من الناس الي اتلطّيتي معاهم بالغلط دول.
 - تساءلت جنة بخوف:
 - قصدك إيه؟ إنهم ممكن يؤذوني؟
 - جلس قبالتها وربت على يدها قائلاً:
 - محدش يقدر يمسّ شعرة منك، بس الاحتياط واجب.
 - طب والجامعة؟

- أي حاجة ممكن تتحلّ، وسيبيها عليّا، المهم تبقي في أمان.
هزت جنة رأسها موافقة؛ فقال:
 - تمام، يلا أنا هطلع أفعد مع عمي شوية وانتوا كمّلوا كلامكوا، بس
طلّعوني من دماغكوا أحسن أشرق وأفطس ولا حاجة.
ضحكت جنة، بينما قالت سارة بلهفة:
 - بعد الشر.
 - فرد مالك مداعبًا:
 - بتخافي عليّا قوي يا بت.
- ابتسمت سارة بخجل، بينما ضحكت جنة من قلبها، فرحة بوجودها وسط عائلتها يحيطونها بالرعاية والحب، ويرسمون البسمة على صفحة وجهها الشاحب بعدما كادت تفقد الأمل في لقائهم مرة أخرى، أو بالأحرى لم تكن تعرف للوقت نهاية، وكأن الزمن توقف بها في بؤرة مظلمة غير واضحة الملامح، إلا من نقطة بيضاء واحدة تمثلت أمامها حينها لاحت في الأفق صورة هشام، والذي كان يبتّ بقلبها بعض الاطمئنان متذكّرة وعده لها بأن يساعدها على الخروج من تلك المحنة شريطة أن تكون صادقة معه، ثم طرق باب ذاكرتها ذلك الحديث بينه وبين والدها في المشفى، والذي استشفّت منه أنه طمأن والديها عليها، بل ووعدهم برعايتها؛ فتساءلت لماذا لم يخبرها بهذا الأمر رغم أنه كان يدرك جيدًا خوفها عليهم، هل كان يشك بها فلم يرد طمأنتها لإجبارها بالاعتراف؟! لكنها لم تكن تعرف شيئًا على أي حال.

لفت انتباهها صوت طقطقة سارة أصابعها أمام عينيها قائلة:

- إيه روحتي فين؟

فقال جنة بشرود:

- كنت بفكر في اللي حصل الأيام الي فاتت، والظابط الغلس ده كمان مش عارفة مفكر نفسه إيه، مغرور كده وعنده هسهس، شوية يعاملك كويس ويجييلك عصير ليمون، وبعدها يموتك من الرعب، مجنون، برج الجوزاء تلاقيه...

قاطعتها سارة:

- إيه؟! حيلك حيلك، وده إيه حكايته ده اللي شاغل عقلك يا جميل؟! رمتها جنة باستخفاف قائلة:

- ماتبتديش يا سارة بالله عليكي، بقولك مش طايقاه.

ابتسمت سارة في نفسها، ثم أردفت:

- آه ما هو واضح إنك مش طايقاه، طب قوليلي هو كبير ولا شاب؟ صمّت جنة برهة تحديق بصديقتها معترفة أنها لن تتركها وشأنها إلا بعدما تجيبها وترضي فضولها وكأنها عائدة من مغامرة طريفة، فردّت بهدوء:

- مش ههرب منك أنا عارفة، هو يا ستي شاب، شكله في بداية الثلاثينات كده.

- امم طب وشكله إيه؟ اوصفيهولي.

تنهدت وراحت تُبحر في أعماق ذاكرتها، وأسندت ظهرها إلى الوسادة تنظر إلى الأعلى، وبدأت تسهب في سردها عليها ما تذكرته:

- يعني هو كان شاب عادي.. طويل شوية وعريض وبشرته قمحية وشعره أسود، وعينه.. عينيه غامقة بلون السماء بالليل، تحسّي إن فيها عمق.. عمق يخوّف، بس رموشه هه.. كانت أحلى ما فيه، تحسّيها كأنها حصن على عينيه بتمنع أي حد يبص جواهرهم ويكتشف الي فيهم، لدرجة إني كنت بشوف ضلّهم تحت عينيه.. شكله كله كان بيدّي إحساس بالقوة وإجبار الي حواليه يخافوا منه.. والبدل الي كان بيلبسها شيك قوي، حتى وهو بيحقق معايا كان بيبقى جذاب قوي و...

قاطعتها سارة بابتسامة عريضة:

- هيسح وإيه كمان؟

اعتدلت جنة في جلستها محاولة إخفاء البسمة اللائحة على ثغرها؛ فضحكت سارة قائلة:

- طب قوليلي هو رتبته إيه؟

تذكرت جنة ذلك الدرع بمكتبه بينما كان بين يديها، وقالت:

- رائد.. الرائد هشام العجمي.

سارة ببكش: امم، لا اسم مميز ورتبة عال العال.

قطبت جنة جبينها، وقالت بتجهم:

- يا بنتي هو انت مفيش في دماغك غير الحاجات دي؟!

ردت سارة بمرح:

- بهزر معاكي يا بيبي عشان تفكّي.. بس ده مايمنعش يعني إني متأكدة من إعجابك بيه.

جنة باستنكار: معجبة بيه؟! بعد اللي عمله معايا.. انتِ هبلّة؟
سارة:

- معلش ما هي بتبتدي كده، كتيي تعالي اقعدي مكاني وشوفي نفسك وانتِ بتحكّي عليه.. وبعدين عمل إيه؟! الراجل كان هاريكي عصير ليمون وجه طمّن أهلك عليكي، ووعدهم إنه يطلعك، أنهي ظابط بيعمل كده مع واحدة في وضعك المهبّب ده؟

حاولت جنة كبت تلك الفرحة التي تسلّلت إلى قلبها خفية، تزمّ قسماتها في ضحكة مختنقة؛ فارتأت أن الهروب هو الحل الأسلم، وطلبت من سارة أن تتركها تنام قليلاً، وعلى حين غرّة ظهر أمام ناظري ذاكرتها ذلك المنام الذي رآته صباح ذلك اليوم؛ فانتصبت في جلستها وأمسكت بيد صديقتها صائحة:
- أنا حلمت بيه النهاردة.

في جهاز الأمن الوطني:

كان هشام جالسًا في مكتبه، يدرس أبعاد القضية وما طرأ عليها من أحداث قد انتهت بأنها لا تفيد ولا تنفع.

عاد بجسده إلى ظهر الكرسي مطلقًا عضلات ظهره، أسند رأسه بتلاقي ذراعيه إلى الخلف، وأغمض عينيه طلبًا في الراحة قليلًا لاستعادة حيويته، وترتيب أفكاره في خلايا دماغه من جديد، حتى استحضر ذهنه صورة ذلك كبش الفداء منذ أن قبضَ عليها وحتى سلّمها لوالديها، لكن.. تُرى من كان ذلك الشخص؟ وكيف جرّء على لمس يديها، وهنا صاح لنفسه:

- أوبا!! لا اوقف كده يا عم هشام مش عايزين هبل، يكون زي ما يكون دي مجرد مشتبّه فيها في قضية، مش من بقية عيلتك يعني.. وبعدين صلّ على النبي كده انتّ لسه خاطب من مفيش أسبوع.

طرق ذهنه أن يتلفّت إلى لارا، ربما تطرد من ذهنه تلك الجنيّة التي تسلّطت على فكره فتطرّق بابّه بين الحين والآخر، التّقطّ هاتفه وضغط على اسم لارا ثم زر الاتصال، وانتظر حتى أتاه الرد:

- ألو.
- أيوّه يا لارا، ازّيك؟
- حلوة يا بيبّي، وانت؟
- تمام، انتّ فين دلوقتي؟
- أنا؟!..! اشمعني؟



- هو إيه اللي اشمعني؟ بسألك تردّي.
 - أنا في الجامعة.
 - طيب أنا مروح دلوقتي، هعدّي عليكّي أخدك.
 - .. بس أنا لسه عندي محاضرة.
 - نظر في ساعته، ثم قال:
 - محاضرة الساعة ٣؟!
 - آه عادي، أنا بخلص ٤ ونص.
 - طيب ماشي.
 - أوك يا بيبى.
 - سلام.
 - باي.
- أنهى هشام مكالمته، أخذ سترته والتقط قداحته وهاتفه وعلبة سجائر، وغادر مكتبه، بل والجهاز بأكمله.
- استقل سيارته، وانطلق مغادرًا إلى بيته، متخذًا طريق ميدان لبنان، ذاك ما ندم عليه بعد أن علّق بالزحمة التي تعجّ بها الطرق فلم تترك له مجالًا للعودة واتخاذ مسارٍ آخر، توقّف بسيارته في إشارة مرورية يتأفّف سخطًا، حتى فتحت الإشارة وبدأت الأبواق تصدر ضوضاءها، وخاصة تلك السيارة خلفه، لم يرفع صاحبها يده عن مزمار سيارته؛ فأخرج هشام رأسه صائحًا بحنق: انت أهبل؟! إيه هتطير فوق العربيات اللي قدامي يعني؟!

لم يسمعه السائق على الأغلب، يبدو وكأنه كان منشغلاً مع رفاقه وصوت الأغاني، أو بالأحرى المهرجانات الشعبية يقرع آذانهم.

استشاط هشام غضباً؛ فنزل من سيارته بهيئة لا تبشر خيراً، واتجه إلى السيارة خلفه وجد سائقها ينظر إلى رفاقه بالمقعد الخلفي ضاغطاً على بوق سيارته غير متبهِ لوجود هشام؛ ففتح هشام باب السيارة وبغت الشاب بإمساكه من تلايبه، وفي غمضة عين كان يقف أمامه وجهاً لوجه؛ فصاح به الشاب:

- إيه يا عم انت؟ انت مجنون؟
كانت النيران تشتعل بمقلتي هشام:
- مين ده اللى مجنون يا ابن...، انت مش مركّز في أم الطريق ونازل
تزمير، انت حمار؟

- انت ازاي تكلمني كده يا حيوان؟ انت مفكر نفسك مين؟
أخرج هشام مسدسه في لحظة انفعال قائلاً:
- هعرّفك أنا مين يا روح أمك....
في تلك اللحظة نزل من السيارة شابٌ آخر لا ينبئ مظهره أنه أفضل من صاحبه؛ فقال:

- خلاص يا جدعان الموضوع مش مستاهل.
لم يكن هشام يسمعه؛ فكان نظره معلقاً على أنظار هلعة بداخل السيارة..
نعم في المقعد الخلفي.

- "لارا؟!"

أعاد هشام مسدسه إلى خلف بنطاله، وفتح باب السيارة الخلفي وجذبها منه، أخرجها بقوة وسحبها خلفه ضاغطاً على رسغها حتى أدخلها سيارته عنوة غير أبه لصيحات الشباب من خلفه، وانطلق حيث فتحت الإشارة ثانية، قاد بسرعة جنونية والغضب يتجلى على وجهه المحمرّ؛ حيث أخرجت به الدماء مندفعة بسخاء، حتى توقف أمام منزل لارا محدثاً صريراً عاليًا بمكابح السيارة، صمت هنيهة ثم قال:

- بصي بقي يا بنت... الناس، أنا ولا مغفل ولا عاش الي يستغفلني، فمش هتيجي حتة بتّ زيك تفكرّ تقررطسني، فوقني لنفسك.. أنا الرائد هشام العجمي يا ماما، غلطتيّ إني وثقت في واحدة زيك، انتِ ماتعرفيش واحدة غيرك كان زمانها بيتكتلي فيها تقارير عن الهوا الي بتنفسه..

حاولت لارا الدفاع عن نفسها بمزيد من دموع التماسيح:

- يا هشام انتِ فاهم غلط صدّقني...

صرخ بها هشام؛ فانتفضت:

- اخرسي بقي، انتِ إيه؟! معجونة بمياة كذب؟!!

ومن ثمّ خلع الدبلة من يده وقذفها بوجهها قائلاً:

- كده تنسبي إن كان فيه بيننا حاجة من الأساس، وبيتنا طبعاً مفتوح في

أي وقت، بس الي ليكي فيه هما خالتك وبنت خالتك، غير كده ماشوفش

وشك تاني.. أصلاً لولاهم ما كُتِّش رحمتك ولا شفتي يوم عدل بعد النهاردة.

انهارت لارا بعد سماعها تلك الإهانات كلها؛ ففتحت السيارة ونزلت منها راكضة إلى بوابة منزلها، بينما غادر هشام مخلفاً وراءه سحابة من الغضب والانفعال.

دلفت لارا إلى منزلها، دخلت مباشرة إلى غرفة والدتها والتي كانت تتحدث عبر الهاتف، وما إن شاهدت هيئة ابنتها الباكية قالت لمن تحدثها:

- طيب يا هبة، هكلمك بعدين، سلام دلوقتي.
- تطلّعت إلى ابنتها، وتساءلت بلهفة:
- إيه يا بنتي مالِك؟ فيه إيه؟
- هشام يا ماما..
- ماله هشام؟ انطقي، حصل إيه بينكوا تاني؟
- روت لها لارا ما حدث بينهما؛ فشهقت والدتها قائلة بغضب:
- انتِ يا بنتي مش هتَعْقِلِي بقي؟! قولتلك تصرفاتك دي هتخرب عليكِ وأهو حصل.. انسي بقي خلاص.
- لا خلاص إيه يا ماما؟! اتصرفي بليز.

- أتصرف يعني أعمل إيه؟! واحدة خطيبها شافها مع شلة شباب بايظة وكديت عليه قائلته إنها في محاضرة، ما عنده حق يعمل أكثر من كده كمان.

- يا ماما أولاً دول صحابي، وكان معايا بنات وكنا مرتبين للخروجة دي من فترة، كنت هلغيها أزاى بس؟!

قاطعتها والدتها بنفاد صبر: خلاص، خليهم ينفعوكي بقى. نهضت باحتجاج تتوسلها:

- لا يا ماما أبوس إيدك، انت مش فاهمة جوازي من هشام يعني قَدْ إيه، ماشوفتيش صحباتي بقوا أزاى بيعاملوني من ساعة ما عرفوا إننا اتخطبنا، يقولوا عليّا إيه لو عرفوا إننا فسخنا بالسرعة دي.. هشام بالنسبالي فرصة، فرصة إني أبقى لارا مدام الرائد هشام العجمي، وهبقى ضامنة مستوى حياتي الاجتماعي، وأنا مش هضيّع الفرصة دي يا ماما.

- هه! ما انت ضيعتيها والي كان كان.

- لا يا ماما، أكيد لأ.

- تقصدي إيه؟

- أقصد إنك تكلمي خالتو وتعاتبها على اللي هشام عمله، وكام كلمة من عندك يخلوها تجربته إنه يرجعلي.

فكرت فوزية قليلاً، ثم قالت:

- أمري لله.. بنتي بقى هعمل إيه! ناوليني التليفون.

الفصل الحادي عشر

"إخبارية جديدة"

عاد هشام أدراجه، ولم يكن مدرِّكًا لحجم نيران الغضب المتأججة في انتظاره، فما إن فتح باب الشقة حتى تراءى له منيرة في قمة سخطها تُردد لغطًا حانقًا، تحاول حنين تهدئتها دون جدوى؛ فأطلق زفيرًا غاضبًا يعرف جيدًا ما حصل في فترة وصوله إلى المنزل، فلا بد وأن اتصلت بها أختها تشكوه، ومن المؤكد أنها روت لها من الحكايات ما يبرزه شيطانًا لعينًا بطش بملاكها البريء، كان أسلم حل فكر به من وجهة نظره هو الانسحاب إلى غرفته دون خوض نقاش لن يجدي، وخاصة أن منيرة لن تسمع له في حالتها تلك، لكن منيرة لم تدعه ينفذ خطته؛ فاستوقفته بصوتها الجهوري وانطلقت نحوه في هياج، ولحقت بها ابنتها؛ فصرخت منيرة به:

- استنّي يا حضرة الظابط، رايح فين؟ ولا انت كبرت علينا خلاص وما بقتش مستعينا؟

أجفل هشام لحديثها المرير، وردّ بانزعاج:

- منيرة، أنا فيا الي مكفيني ومش ناقص.

وهمّ بالمغادرة، لكنها أمسكت به من ذراعه؛ فالتفت إليها، وأردفت:

- كل الي بتقوله ده مش هيفيد بحاجة، انت ازاى تعمل كده في بنت

أختي؟ حد قالك إنها جاية من الشارع عشان تهينها بالشكل ده وترميلها

الدبلة في وشها؟ لازم تخرجني وتخليني في نص هدومي قدام الناس؟ عايز
 تخسرنى أختي الي مابقاليش غيرها في أهلي؟
 تدخلت حنين: إيه يا ماما الكلام ده واحنا رُحنا فين؟!
 صاحت منيرة:

- انتوا! انتوا إيه! البيه الي ربّيته وكبرّته واعتبرته ابني وسندي! لكنه
 مايشوفنيش غير مرات أبوه الي جات خدت مكان مامته ولا بيعملّي خاطر
 في حاجة.

كاد هشام يرد، لكن حنين أوّمأت له بأن يتحكم بزمام غضبه أمام غضب
 منيرة حتى لا تزداد الأمور سوءاً، فشدّ قبضته وتركها مغادراً إلى غرفته حتى
 لا يفقد أعصابه؛ فمهما قال في ذلك الوقت لن تستمع إليه منيرة، ومع ذلك
 استمرت هي في صياحها حتى شعرت بالغثيان، وبدأت تترنّح، تتّسع مقلتيها
 أقصى مداهما في محاولة لتثبيت رؤيتها المنقلبة رأساً على عقب، وفجأة سمع
 هشام صوت صرخة حنين وارتطام شيء ثقيل بالأرض، فتح باب غرفته
 بفزع؛ فألقى منيرة مسحية على الأرض تحرك رأسها يميناً ويساراً محاولة فتح
 عينيها المتشبعتين باللون الأحمر القاني، تلهث وتترنّجف أوصلها، والألم يكاد
 يفتك برأسها وقلبها، يدك صدرها دكاً بنبضاته المستغيثة، بينما تصرخ حنين
 هلعاً:

- ماما! ماما! مالك يا ماما؟ هشام، الحق ماما بسرعة.

هرع هشام إليها والقلق يعتصر قلبه، يمرّر يده بفزع على وجهها تارة وكتفها تارة أخرى، مضّت حنين تزيد في بكائها، بينما حمل هشام منيرة وأدخلها الغرفة قائلاً في عجلة:

- جيبيلها مياه بسرعة وخليكي جنبها، هطّلع أنا دي لدكتور إيهاب.
بعدما فحصها الطبيب وأعطاهما الأدوية المطلوبة، خرج ليلتقيها هشام متسائلاً بوجل:

- ها يا إيهاب، ماها؟
- اهدا يا هشام جات سليمة الحمد لله، ضغطها كان عالي، كانت بداية جلطة بس الحمد لله قدر ولطف، أنا أدّيتها أدوية هتخليها كويسة على الصبح إن شاء الله، بس حاولوا تبعدوا عنها الضغط النفسي قدر المستطاع.
تنهد هشام بارتياح مستطردًا:

- إن شاء الله، شكرًا يا إيهاب تعبناك معانا.
- العفو، ده واجبي.
أوماً هشام بامتنان، وودّع الطبيب، ثم عاد إلى حنين القابعة بجانب أمها تبكي؛ فضمّها إليه مرتبًا على رأسها، وقال بنبرة حانية:
- ماتخافيش الدكتور طمني، هتبقي كويسة بإذن الله، قومي يلا انت روعي لبيتك، وأنا هفضل جنبها.
ردت باحتجاج:
- لا، أنا مش هسيب ماما...

قاطعها هشام بحزم:

- حنين! أبوس إيدك، مش مستحمل عنادك انتِ كمان، يلا يا حبيبتى قومي رّوحي، وأنا هطمّنك عليها كل شوية.
لم يكن أمامها سوى الرضوخ لطلبه؛ فنهضت وقبّلت جبهة والدتها ثم غادرت.

ومن ثمّ امتثل هشام على المقعد بجانب فراش منيرة، يتأملها بندم، يلوم نفسه على حالتها وينقم على لارا أيضًا، ويسأل منيرة لم لا تفهمه؟! ولماذا لم تناقشه وتأخذ بأسبابه؟ فهو ليس بطائش ولا معتوه كي يفسخ خطبته بلا سبب أو داع، ظلّت الأفكار تراوده، وتعاوذه من كل حدبٍ وصوب حتى باغته النوم فخنق لسلطانه.

تسلّلت أشعة الشمس عبر النافذة؛ فأيقظت منيرة محاولة فتح عينيها بوهن، تُصدرُ آناتٍ خفيفة استيقظ على إثرها هشام فزعًا؛ فتبينت أنه كان نائمًا بجوارها طيلة الليل على كرسي خشبي من شأنه تهلّكة وإيلام ضلوع من يمكث عليه طويلًا، فما بالك بمن نام عليه.
انتصب رهبة هاتفًا بصوت يُضنيه النوم:

- منيرة انتِ كويسة؟

وهمّ بمساعدتها على الجلوس، واضعًا الوسادة خلف ظهرها، لكنها أبعدت يده بجفاء وتجلّت أمارات الضيق على وجهها؛ فنذت عنه تنهيدة

أسى، وجلس إلى جانبها، وأمسك يدها برفق؛ فبادرت بسحبها، لكنه أمسكها بين كلتا يديه مرتبطاً عليها بحنوّ، فعلى الرغم من أنها بمثابة أمّه إلا أنها في غضبها لا تمثّل له فارقاً بينها وبين حنين أخته الصغيرة، فعلى كل ما هي سوى نسخة مصغرة عن والدتها، رفع هشام وجهه وقابل نظراتها اللائمة قائلاً:

- منيرة، انتِ اللي ربّيتيني وكبرتيني زي ما قولتى امبارح، يعني أكثر واحدة أدرى بيّا وعارفاني كويس، هل أنا ممكن أظلم حد؟ ردّي عليّ لو سمحتي!

هزت رأسها نافية؛ فاستكمل حديثه:

- طب مستنيّة إيه منّي لما تكذب عليّ وتقوليّ إنها في محاضرة، وأكتشف إنها وصاحبيتها مع شلة شباب فاسدة في عربية لو حدهم.
- بس مامتها ماقالتليش كده.
- وأنا مابكذبش يا منيرة، ده اللي حصل بالضبط.
- طب مش يمكن انتِ فهمت غلط؟
- دي مافيهاش سوء فهم يا منيرة، وحتى لو.. أنا أسلوب حياتي مختلف عنها، ومش هينفع نكمل..

قاطعته منيرة بحزم:

- وبنت أختي مربيّة كويس يا هشام، ومش هيهون عليّ تكسر لها قلبها ويطلع عليها سمعة وحشة بسببك، الناس تقول إيه؟ اتفسخت

خطوبتها بعد عشر أيام من خطوبتها ليه؟ مش هسمحلك تدمر لها مستقبلها، انت فاهم؟

كاد هشام يطلق العنان لانفعاله، لكنه أمسك عن ذلك حين لاحظ الرعشة تسري في أوصالها، بيد أن انفعالها أثر عليها، وذاك ما حذر منه الطبيب؛ فأخذ نفساً عميقاً، ثم قال: طب اهدي والي انت عايزاه هعملهولك.

أوشكت منيرة على التحدث، لكن أسكتها صوت رنين هاتفه؛ فتناوله ليجدها مكالمة من سامر:

- أيوه يا سامر؟
- صباح الخير يافندم، أنا آسف إني اتصلت، وحضرتك أجازة النهار..
- انجز يا سامر فيه إيه؟
- جالنا إخبارية عن مكان واحدة ساكنة فيه بأوصاف كارولين.
- انتفض هشام من مكانه وقال:
- أنا جاي حالاً.
- أغلق الخط، وعاد إلى منيرة بتوسّل:
- معلش يا منيرة، أنا آسف، لازم أنزل حالاً، هكلم حين..
- في تلك اللحظة، سمعا باب الشقة يفتح لتدخل منه حنين وابنها عمر، فقال هشام:
- جيتي في وقتك، خليكى جنبها ولو احتاجتوا أي حاجة كلموني، أنا مش هتأخر.

وغادر مسارعًا إلى غرفته، ومضى عشر دقائق حتى غادر المنزل إلى عمله في حماسة، لكنه كان يفكر طيلة الطريق في أمر الإخبارية؛ فقد تهدم شكوكه أو تؤكدوها، هذا سيتوقف على مدى صحة الإخبارية، وهل هي صحيحة أم عملية تمويه ليس إلا؟

انطلق هشام وسامر إلى المكان المستهدف، وقد أخبره سامر أنه قد تم التعرف على كارولين من قبل أحد الضباط حين جاء للقبض على شباب يسكنون على بعد أمتار قليلة من مسكنها، وقد بلغ عنهم رجل يدعي أنهم يصورونه وزوجته من النافذة، وحينما ألقوا القبض عليهم وجدوا بحوزتهم أسلحة؛ فكانوا تابعين لجمعيات إرهابية، وفي ذلك الحين كانت الفتاة عائدة من الخارج، وارتاب فيها الضابط بسبب ملامحها الأجنبية وهيئتها التي لا تلائم تلك المنطقة، وما لبث أن قارنَ أوصافها بالفتاة المطلوبة، ومن ثم وصلتهم منه الإخبارية.

وصل هشام وسامر البناية المستهدفة منطلقين إلى الطابق الثاني، حينذاك أدهشهما أن باب الشقة مفتوح؛ فقام هشام بتلقيم مسدسه وتحرك بخطوات تحذيرية، وسامر من خلفه يحمي ظهره، ومن ثم فتح هشام الباب فجأة يُشهر مسدسه تحسبًا لوجود أي شخص، لكنه ما من أحد في الصالة؛ فأشار لسامر بأن يبحث في جهة وهو من الجهة الأخرى، وبعد دقائق عادا إلى الصالة خاليا الوفاض.

لا بد وأنها هربت.

اعتصر هشام قبضته، وشدَّ فكَّه بقوةٍ ساخطاً؛ فقد تأكدت شكوكه الآن، لكن ما باليد حيلة؛ فهو لا يملك دليلاً لإدانة من هو بصدد اتهامه، وبينما كانا على أهبة الذهاب لمح هشام أقصوصة دعسها بقدمه؛ فانحنى والتقطها، حينذاك كان سامر مصدوماً مسبهلاً، يحملق بتلك الورقة، ثم بادر قائلاً:

- فيها إيه الورقة دي يا فندم؟

في منزل طارق عمران.. خرجت جنة من غرفتها تجترُّ قدميها بنعاس ما زال يسيطر عليها، رغم أن الوقت قد مضى ظهراً، ألقت التحية بتشاوب على والديها، ومالبثت أن سمعت صوتاً ثالثاً يرد عليها:

- نموسيتك كحلي يا هانم، لو أعرف إنك هتصحي الظهر ماكنش ضيِّعت يوم من الشغل، وماكانش اتخصملي.. روحى يا شيخة ربنا.. يخليكي ليا.

دمدمت جنة وما زالت تحملق بآبن خالتها:

- يا ربي! ما أنا كنت مستريحة من جنانه.

فجاءها صوته: بتقولي حاجة؟

ردت بثقة:

بقول وإيه اللي خلّاك تغيب من شغلك؟ بتاخدني شماعة تعلق عليها كسلّك؟

تقدم منها أحمد قائلاً بعتاب مصطنع:

- تصدقي أنا غلطان إني شايل همك وقولت آجي أسليكي بدل ما انت محبوسة في البيت كده زى الققط.. لا اخس.

قال كلمته الأخيرة وهو يلتقم بفمه فصاً من البرتقال الطازج؛ فهزّت جنة رأسها متضحكة وتركته ودلفت حيث تأخذ حماماً ساخناً ينعش يومها.

في مكتب اللواء "منير ثروت"...

كان هشام ماثلاً أمام قائده بوجلٍ، مطأطأ الرأس يتلقّى توبيخاً من معلمه الذي لم يفتأ يهدأ حتى يُلقّن تلميذه النابغ درساً لن ينساه بعمره:

- ارّاي يا سيادة الرائد تغلط غلطة زي دي؟ ده انت ماعملتھاش وانت ملازم تعملها دلوقتي! ترفع مسدسك على المواطنين وترهبهم؟! حاول هشام إحكام رباطة جأشه، مدرّكاً لجسامة خطئه؛ فلم يكن بموقف يمكنه به أن يبرّر فعلته تلك؛ فأثر الاعتذار وتلقّي العقاب الذي سيُفرض عليه.

- أنا عارف يا فندم إني غلطان، وأوعِد حضرتك إن الي حصل ده مش هيتكرر تاني، وجاهز لأي عقاب حضرتك تشوفه حتى لو هتحول للتحقيق.

- تنهّد اللواء بحقن، ثم أردف:
- أنا هكتفي المرة دي بلفت نظرك، وبنصحك تسيطر على انفعالك مرة ثانية، القضية محتاجالك ومفيش وقت نضيعه.
 - متشكر يا فندم، وإن شاء الله أكون عند حسن ظن سعادتك.
 - تقدر تتفضل، وعازب أشوف تقدّم في القضية يا هشام؛ ماعندناش وقت!
 - ماتقلقش سعادتك.
- خرج هشام من مكتب اللواء يسبّ ويلعن في لارا التي جعلته يستمع إلى تلك الإهانات بسبب أشخاص تافهين.
- غادر إلى منزله، وما لبث أن فُتِحَ الباب حتى وصل مسامعه حديث منيرة تشكوه لزوج ابنتها عماد بلا كَلَل أو ملل من تكرار الحديث، وهو يصطنع الإنصات والاهتمام، بينما كان عمر نائمًا على الأريكة وحين تشاهد زوجها من المطبخ بشماتة، لقد أصيب المسكين بالصداع.
- ألقي عليهم هشام التحية، ثم قال لعماد بنبرة متناقلة:
- عماد، تعالى عازبك شوية جوّه.
 - نهض عماد فرحًا مهللاً:
 - يااه نسيبي حبيبي، ماتعرفش قدّ إيه وحشتني الجملة دي.

ضحك هشام رغماً عنه؛ فكان يدرك تماماً ما تُكنه سريره؛ فقد كان منقذاً له في تلك اللحظة لا أكثر، فرد هشام مداعباً:

- دلوقتي عجبتيك الجملة دي!

ما لبث أن قفز عماد متجهاً إلى النافذة بغرفة هشام قبل أن يتورط قائلاً:

- أنا جوّه بقي، لو عايزنى ماتجيش.

هز هشام رأسه ضاحكاً بأسى؛ فقد تناقّلت عليه الهموم لم يعد يعرف مَنْ يُرضي؛ بيته أم عمله، وكلّ عليه عاتٍ ملوم؛ فلحق بعماد مغلقاً عليهما باب الغرفة، وأوماً لعماد أن يدخل من النافذة؛ فلا ينبغي أن يستمع أحد لحديثهما الخطير.

الفصل الثاني عشر

"الأقصوصة"

جلس عماد بأريحية على سرير هشام فضربه هشام على فخذه قائلاً:

- مش وقت نوم، عايزك تفوق معايا كده.
- يا عم حرام عليك، مش كفاية حمايتي الي كليت دماغى من ساعة ما جيت.

حدجه هشام بنفاد صبر؛ فاعتدل عماد في جلسته قائلاً باهتمام:

- لا شكله الموضوع مهم وفيه ساسينز، قوللي إيه الجديد؟
- لم يتفوه هشام بحرف، بل أخرج من جيب سترته ورقة مكرمشة، نعم تلك الأقصوصة التي وجدها في شقة كارولين ولم يُعرب عمّا بها لسامر زاعماً أنها ليس بها شيء مهم، فردّها وناولها إياها، تعجّب عماد لتلك الورقة يتفحص ما بها بعناية، أرقام متراصة لا معنى لها، أو هكذا تبدو؛ فسأله:

- إيه الورقة دي؟ ومعناها إيه الأرقام دي؟!
- جاتلنا إخبارية النهاردة عن مكان كارولين، ولما روحت أنا وسامر قلّبنا الشقة ومالقناهاش، عارف مين الي بلّغني بالإخبارية؟

- مين؟

- صاحبنا.. سامر.

- امم، عايز تقول إن شكك كان في محله، هو أول واحد عرف مكانها وأكيد قالها تسبب المكان قبل ماتوصلوها.
- بالضبط.
- طب مش النقيب جمال معاكوا في القضية دي؟! وإيه دخل جمال في الموضوع؟!!
- جرا إيه يا حضرة الضابط هو أنا اللي هقولك برضه؟ طالما بدأت تشك يبقى ماينفعش تستثني حد من دائرة الشك.
- معاك في ده، بس كل الشبهات من البداية كانت بتحوم حوالين سامر.
- وده اللي مخليني مش مرتاح، ماعتقدش ضابط بذكاء سامر يبقى صيد سهل لشبهات زي دي.
- بس جمال كان مشغول في مأمورية تانية، إنما اللي عرف بمكان كارولين هو سامر.
- طيب كمل... إيه حوار الورقة دي؟
- دي لقيتها في شقة كارولين، سامر أول ما شافها اضطرب ووشه جاب مية لون، بس ماخليتوش يشوفها.
- والأرقام دي معناها إيه؟
- كان ذلك هو محتوى الأقصوصة: (٦-١٠ ٢ ٥ ٨٦٢١).

هتف هشام يحك ذقنه بتفكير:

- مش عارف، بفكر فيها من ساعة ما شوفتها ومش لاقى لها تفسير،
ليه مثلاً فيه مسافات بين بعض الأرقام وأرقام تانية على بعضها، والشرطة الي
بين ٦ و ١٠ كأن ليها دلالة معينة.

فكر عماد بتؤدة، ثم قال:

- بص.. هو تحس أول رقمين دول تاريخ، بس الي بعد كده مش
مفهوم، ممكن مثلاً يكون كود سرّي لحاجة معينة؛ إيميل مثلاً أو لاب توب.
- مش عارف.. حاسس إن الأرقام دي مألوفة ليا، ليها دلالة معينة
بس مش قادر أجمعها.

أوشك عماد على الرد، لكن حنين طرقت الباب وأبلغتهم بأن الغداء جاهز،
فقال: طب تعالى نتغدا الأول ونفكر واحنا بنشرب الشاي.

في منزل جنة:

كانت تقبع جنة وابن خالتها في الشرفة، يتبادلان الحديث ويرتشفان من
القهوة بالحليب طيبة المذاق، ران الصمت عليهما للحظات شردت بها جنة إلى
تلك الغرفة المظلمة؛ فاقشعر بدنهما محدثاً انتفاضة خفيفة لم يلحظها أحمد الذي
نهض ليسقي النباتات حولهما تفوح بأريجها الخلاب، لاح بذهنها صورة هشام
حتى باتت تتجسد أمام عينيها، لقد ضاقت ذرعاً من استحضاره الدائم
بذهنها؛ فتشعر بفراشات ترفرف بأجنحتها مداعبة قلبها؛ فيزداد خفقانه

ويتسع فمها بابتسامة حاملة رغبًا عنها، وما إن تدركها حتى يتّضح لها أن الوقت قد فات، حيث أردف أحمد مشاكسًا:

- هيبّيح يا بخته!

اعتدلت جنة في جلستها ورشفت من فنجانها باضطراب، وحمحت تقول:

- هو مين ده؟

- اللي واخذ عقلك ياختي، سرحانة في ملكوت تاني والابتسامة اللي

بتترسم على وشك فجأة، نهارك مش فايت لو طلعتي مخبية عليّا حاجة يا جنة، أنا بقولك أهو.

ضحكت جنة من قلبها، ثم قالت:

- انت عارف لو خبيّت على العالم كله مابعرفش أخبّي عليك، عارف

ليه؟

عدل من هندامه بتصنع قائلًا:

- عشان بتحبيني طبعًا.

واصلت جنة ضحكها، ثم تابعت:

- لا.. عشان مش بتبطلّ زن غير لما تعرف، وزيّ ما يقولوا الزن على

الودان أمّر من السحر.

لوى أحمد فمه قائلًا بعتاب:

- كده برضه يا چيني! طيب انسي بقي إني أقولك على آخر التطورات

في علاقتي الواعدة.



ضحكت جنة على طريقته المسرحية، ثم قالت:

- صحيح.. عملت إيه مع ريهام؟

- انسي.

- كده برضه يا أحمد...

قاطعها صوت رنين هاتفها؛ فأجابت المتصل، وكانت صديقتها في الجامعة، وبعد أن أغلقت معها حلّ الوجوم على ملامحها؛ فجلس أحمد أمامها وقد نسي أمر المزاح متسائلاً:

- مالك يا جنة وشك اتقلب كده ليه؟

زمت فمها بامتعاض، وقالت:

- امتحانات الميد ترم قَرَبت، خايفة الوضع ده يستمر ومعرفش أروح الامتحانات.

ابتسم أحمد وأطبّق بعينه بقوة يستحثّها على الاطمئنان مردفاً:

- ماتقلقيش إن شاء الله خير، وفداكي مليون امتحان، ولو حكمت

أودّيكى وأجيبك مفيش مشكلة.

طالعه بامتنان وراحت تلوذ بالصمت يعصف بذهنها ثانية ضابط الأمن

الغامض، تُرى هل ستراه مرة أخرى؟!

في تلك اللحظة، كان هشام يتناول طعامه ببالي شارد بعيداً، تتخبط به أمور شتى في محاولة لاتخاذ كل منه موضعه ليحلّ اللغز وينتهي بسلام، لكن توقّفت ذاكرته عند مرور صورتها بها، ولم تشأ الانتقال إلى غيرها، هل وجدت به أماناً تلوذ به حينما أخافها اللواء، هل استنجاها به ليخرجها من تلك التهمة اللعينة هو أهل ثقة له، لم تخف منه إلى حد خوفها من اللواء؟!

بم تهذي بالله عليك؟ أستقارن بينك أيها الرائد وبين اللواء؟! لكنك على كل كنت تدمر ثقتها بك في كل مرة.. ومع ذلك كانت تلجأ إليك، وما الذي جعلها تدافع عنك أمام والدها؟! ثم صاح هاتفاً بغير انتباه:

- يووووه، وده وقته؟!

انتبه حينها لصمت الملاعق وتحديق الأنظار به بتعجب، في حين سمع صوت عمر: فيه إيه يا هشام؟ أنت بتكلم نفسك ولا مِث لاقى الأميرة صاحبة الدزمة؟

- أميرة إيه يا سي عمر وجزمة إيه؟

- أصل انت فكرتني بالأمر.. لما شاف دزمة سندريلا كان بيكلم نفسه زيّك كده.

- امم والله! طب كل بقى بدل ما أقوم أقطّعتك زغزغة.

ضحك الطفل وانكبّ على صحنه بنهم؛ فضحك هشام مداعباً شعر ابن أخته المدلل، ونهض عن المائدة؛ فهتفت منيرة:

- يا ابني اقعد، انت لحقت تاكل؟

- شبعَت الحمد لله.

تنهَّدت منيرة تهز رأسها بقلة حيلة، بينما أمسك هشام بهاتفه، وجدت أنامله طريقها إلى تطبيق الواتساب، وما لبث أن قام بإطلاق سراح رسالة يحملها سؤال أخذ يؤرّ قلبه منذ أن غابت عن ناظره، ينتظر جواباً يهدّئ من ثورة عقله وقلبه في خضمّ تلك المشاكل كلها.

حينذاك كانت جنة تذاكر بغرفتها بعدما غادر أحمد، لم تغب عن كتبها سوى أيام قليلة، لكنها في هول تلك الأحداث شعرت بأنهم سنين طوال؛ فأخذت ترتب كتبها الأهم فالهم، وبينما كانت منهمكة في دراستها حتى رن هاتفها بوصول رسالة واتساب، تعجّبت لذلك الرقم الغريب، لكنها فتحتها على أي حال، وكان هذا نصها:

"آنسة جنة، عاملة إيه دلوقتي؟ أتمنى تكوني بخير."

أخذت جنة ثوان تحاول تذكر من يكون هذا، ولما أخفقت في تكهنه أرسلت له: "شكراً، بس مين حضرتك؟"

بعد لحظات أتاها الرد صادمًا: "معاكي الرائد هشام".

تسمرت أوصالها هنيهة، يتخبط فيها قلبها بضلوعها، تنفّص رأسها وتعود بعينها لتقرأ اسمه مرة أخرى كي تتأكد أن عقلها الباطن لا يوهمها، لكنها كانت الرسالة بذاتها؛ فتمتعت بغیظ مصطنع:

- الرائد هشام، واخدي في نفسه مقلب قوي.. انتِ هبلة! أومال عايزاه

يقول لك إيه؟!!

أخذت أناملها تعبثُ بالحروف المتراسة على شاشة هاتفها، حتى أرسلت له جواباً مفاده "أهلاً يا سيادة الرائد، وحضرتك بقى متعود تسأل على المتهمين بتوعك؟!".

لم يكن هشام بمزاج يسمح له تقبّل تلك المزحات الاستفزازية؛ فرد بدون تفكير " أولاً أنت مش متهمة، ثانياً بقى وانت متعود تردّي على أي رقم غريب؟! ما هو ده اللي بيودّيك في داهية".

وبعد لحظة أعاد بها قراءة رسالته قال لنفسه: إيه اللي بتقوله ده انت كمان؟! يعني كنت هتبقى مبسوط لو ماردتش؟!!

ألقي بهاتفه بحنق على سطح الطاولة أمامه، وأمسك بالأقصوصة يتدبّر الأرقام للمرة الألف، قبل أن ينهض فجأة في هلع ساقطاً الكرسي من خلفه، وكاد يدخل من النافذة؛ فاصطدم بعماد الذي تعجّب لهيئته قائلاً:

- إيه مالك، رايح فين؟
- عرفت معنى الأرقام.
- طب إيه قولي؟
- ده عنوان جنة، ٦-١٠ يعني ٦ أكتوبر، ٢ يعني الحي الثاني، ٥ المجاورة الخامسة، ٨٦٢١ دي أصلها ١٢٨٦ رقم العمارة.
- يا خبر أسود، يعني حياتها في خطر.
- مش هسمح بكده.

خرج مسرعاً، وأخذ سترته مغادرًا المنزل؛ فتعجبت منيرة وحين
متسائلتين؛ فأجابها عماد:
- ماتقلقوش.. عنده شغل مستعجل.

شهقت جنة فور قراءتها رسالته؛ فكادت تردّ هي الأخرى، لكنها فوجئت
باتصال منه؛ فضغطت زر القفل بدون تفكير بفعل اضطرابها؛ فاتصل ثانية
فأخذت نفسًا عميقًا وأضرجت الدماء بوجهها، ثم ردت بخفوت:
- ألو!

جاءها صوت لاهث يقوم بحزم:
- اوعي تخرجي من باب البيت ولا تطلعي البلكونات.
ردت بهلع:

- إيه ده! إيه؟!!

قاطعها بحسم:

- سمعتيني؟! أنا جاي حالًا.

أخذ ذهنها يدور ويطوف، هل سيقبض عليها ثانية، هل يأخذ منها الإذن
قبل أن يفعلها؟! ما هذا بحق الله!

الفصل الثالث عشر

"صدمة"

في غضون ربع ساعة من القيادة المتواصلة قد تعدّى بها هشام حدود السرعة القانونية، وصل إلى إحدى الشقق بعمارة مأجورة لدى بعض العائلات، وطرق الباب بعنف حتى فتح له أحدهم، منطلقاً بصوته:

- أهلاً يا فندم..

دلف هشام مسرعاً إلى نافذة إحدى الغرف وهو يتحدث باضطراب:

- ها يا سعيد حصل أي حاجة غريبة؟ أو أي حد غريب شفته في المكان؟

- لا يا فندم، مفيش غير ابن خالتها اللي جه زارهم، ومفيش أي حد أثار شبهة حواليه بأي فعل في المنطقة.

كان هشام يرقب منزل جنة من خلف النافذة عبر منظار مثبت بحامل متحرك الأذرع يستطيع من خلاله رصد الشارع بأكمله، ثم عاد بنظره إلى سعيد قائلاً:

- كملوا مراقبة مش عايز عينيكونا تغفل لحظة، والآنسة جنة ممنوعة من الخروج وممنوع حد يزورها غير قرايبها من الدرجة الأولى، أظن مفهوم.

رد سعيد وفريقه: مفهوم يا فندم.

خرج هشام من الشقة، وأطلق زفيراً كاد يخنقه، وما كانت سوى خطوات خطاها حتى كان بعمارة جنة، وصعد إلى شقتها بعدما كسب ودّ كلب الحراسة

في مدخلها، طرق الباب في انتظار مجيبه، وبعد ثوانٍ فتح له طارق تبدو على وجهه علامات القلق والانزعاج، وبعدما رحبَّ به باضطراب وأجلسه في الصالون أردف:

- خير يا سيادة الرائد؟ جنة بتقول إنك قولتلها ماتخرجش من البيت....
- اطمئن يا بشمهندس، كله تحت السيطرة، بس..
- بس إيه؟! أرجوك قولِّي وماتخبش عليّا حاجة، دي بنتي.
- أدخل هشام يده بجيبه وأخرجها بالأقصوصة ومدّها إليه، تناولها طارق وعيناه تحمل من علامات الاستفهام، والتي تحوَّلت إلى علامات تعجب ما إن رأى محتوى الأقصوصة؛ فبادر هشام:
- الورقة دي لقيناها في بيت كارولين قبل ما تهرب منه، والي في الورقة ده عنوان بيتكوا، وده معناه.. إن الأنسة جنة ممكن تبقى مستهدفة.
- شهقت والدّة جنة وربّت على صدرها فزعًا، وراحت تحضن ابنتها التي بدا الشحوب على وجهها، ذلك ما ألم هشام كثيرًا، ودَّ لو بإمكانه طمأنتها بطريقته الخاصة، لكنه سرعان ما نفّض عن رأسه تلك الأفكار التي باتت تداهم بين الحين والآخر؛ فحمحم وقال:
- مش عايزكوا تقلقوا، كل المطلوب منكم إن الأنسة جنة ماتخرجش من البيت ولا تطلع بلكونات، وممنوع حد يزوركوا غير الأقارب من الدرجة الأولى، وممنوع أى حد من بتوع الدليفري ييجي هنا.

- هز طارق رأسه بعنف موافقًا، وقال:
- كل الي حضرتك هتقوله هنعمله، بس أرجوك خلصونا من الموضوع ده في أقرب وقت، مش هنفضل في القلق ده كثير.. أرجوك.
- أوما هشام مواسيًا، ثم استأذن، وغادر بعدما اختلس نظرة إلى جثة حملت بها عيونها الكثير من الكلام؛ فحين يُلجم اللسان وتتعرثر الكلمات على الشفاه تتولى العيون الحديث بجدارة.
- عاد هشام إلى منزله، ولم ينتبه إلى اتصالات حنين المتكررة، وكان مثواه ما ألفيه بمنزله؛ فقد علت أصوات ضيوف بمنزله، وما أثار عصبيته وحنقه هو أن ضيوفهم لم يكونا سوى لارا ووالدتها اللتين ما إن ارتأى لهما هشام حتى أشاحتا بناظريهما بعيداً عنه باشمئزاز وعجرفة.
- ألقي عليهن السلام بلا اكتراث، ودلف إلى غرفته، لكن ما لبث أن لحقت منيرة في أعقابه وأغلقت باب الغرفة خلفها، نهض عن سريره بعصبية قائلاً:
- منيرة، ضيوفك على عيني وعلى راسي، بس..
- قذفت منيرة بوجهه قبلتها الموقوتة، وقد اتخذ أسلوبها مسارًا حازمًا لا يقبل الردع:
- هشام! أنا جبتهم هنا عشان حاجة واحدة.. حاجة واحدة بس؛ وهي إنك تلبس دبلة لارا تاني وتلبسها دبلتها، غير كده قسماً بالله لساني عمره ما هيخاطب لسانك تاني، وهسيب البيت وماfish أي حاجة هتربطني بيك بعد كده.

لم تكن كلماتها الجلادة مجرد صدمة لهشام، بل إنها استطاعت قذف الرعب على حصون قلبه لتتهشم، وتصبح خطامًا، نعم هو الرائد هشام المتحلي بقوة الذئاب ودهاء الثعالب، لكن قلبه كقلبٍ مُهرٍ صغيرٍ يخشى الضلال عن أمه وسط الأدغال الموحشة؛ فتبتلعه ظلمتها وتفترسه وحوشها، كانت منيرة تعلم جيدًا نقطة ضعفه تجاهها ومُحسن استغلالها، وكان ذلك جليًا في صمته، إلى أن قرر إطلاق سراح لسانه قائلاً باستعطاف مغلف بعصبية:

- منيرة! مش هتعملي كده.

أبعدت يديه عنها بقسوة جاهدت لإتقانها قائلة:

- لا ده الي هيحصل يا هشام، أنا هطلع دلوقتي أقعد معاهم وهستنى قرارك، يا إما ترجع دبتك يا إما هاخذ شنطتي وأمشي معاهم.
خرجت منيرة من الغرفة، وتركته يزفر زفيرًا شيطانيًا كاد يحرق به ما يلفحه،
ما كان ينقصه سوى ذلك!

دلفت حنين تواسيه وجدته في حالة من انفلات الأعصاب لم ترأهاها بها من قبل، حتى صاح بها بعدما قذف بعلبة سجائرة ومفاتيحه عرض الحائط:

- عاجبك الي منيرة بتعمله ده؟

ربت حنين على كتفه بجزع قائلة:

- مش عارفة أقولك إيه، لو قولتلك ماتسمعش كلامها الأمور هتتعقد

أكثر، بص.. مفيش قدامك غير تسمع كلامها دلوقتي وبعدها ابقى سيبها.

- هي لعبة يا حنين؟! أوف!

مرت تلك الليلة بكثير من الأحداث المرهقة، وانتهت بانصياع هشام لرغبة منيرة؛ فكان النصر لها بتلك المعركة المصيرية، واضطر هشام إلى ارتداء خاتم الخطبة من جديد، تلك الحلقة المعدنية التي يمقت ملمسها حول أصبعه وكأنها ألسنة من لهيب حارق.

وأخيرًا.. خنع هشام لرغبة النوم والهروب المؤقت من اضطرابات الواقع المرير مسارعًا في إغلاق عينيه وكأنها باتت أقصى طموحاته.

وحالما أوشك على الانخراط في عالم يمزج بين الخيال والواقع، وقد بدأت ترتخي أعضاء جسده المنهكة استعدادًا للرحيل في غياهب النوم حتى باغته هاتفه برنين رسالة جديدة؛ فانتفض متيقظًا يطلق زفيرًا كاد يلحقه بوابل من السباب، حتى رأى اسم صاحبة الرسالة على الشاشة الخارجية "جنة!"، فتح هاتفه مسرعًا، وضغط على رسالتها حتى تبينَ له، وجعل يقرأها "شكرًا يا سيادة الرائد على اهتمامك، وكم إن شكرًا لثقتك فيّ".

أرسلت جنة تلك الرسالة بعد ساعات من التردد الطويل، وأخذت تطرق بأطراف أناملها شاشة هاتفها، قلقه من الرد والذي توقعته سيكون فحواه لا شكر على واجب أو هذا عملي وما شابه ذلك، وحينما أصدر هاتفها رنينًا معلنًا وصول رده، انتفض قلبها يقرع على باب صدرها إلحاحًا في طلبه للقفز منه، فتحت رسالته بيد مرتجفة، وقرأت ما بها:

"لو حابة تشكريني بجد، يبقى تخلي بالك من نفسك وتعملي كل اللي طلبته منك".

اتَّسَعَتْ ابتسامتها وما عادت تسيطر عليها، حتى انطلقت أناملها تكتب
 "تمام يا فندم.. تصبح على خير"

شَقَّتْ البسمة أخيراً درباً من النور على وجه هشام في خِصَمِّ أحداث ذلك
 اليوم الباهت، وردّها لها "وانتِ من أهلي".
 وما إن ضغط زر الإرسال حتى لاحظ خطأ لوحة المفاتيح، عضّ لسانه
 وكتبها مرة أخرى "أهله".

ضحكت جنة، وتدثّرت بغطائها تستدعي النوم، لكن في كل لحظة كان
 هشام يداهم ذاكرتها فيقشعر قلبها، ويتنفّض معطياً بذلك إشارة ترغمها على
 الضحك غير المبرر.. إنها السعادة التي حينما تطرق باب القلب تسلبك
 الإرادة والتحكم على انفعالاتك.

وما حدث لهشام لم يكن بالشيء الجيد بتاتاً! فقد هرب النوم الذي تتوّق إليه
 كثيراً، ولم يعد يستجيب ثانية إلى كل المغريات، أخذ هشام يتقلب بفراشه
 يتذكّر نظرات جنة التي تطلق سهاماً حانية تبعث دائماً به شعوراً غريباً لم يعتده
 من قبل، لكنه يسعده على أي حال، وتلك البراءة التي تغلفها يتخلّلها شيء
 من الشراسة المفتعلة؛ فتثير مشاعره وتجذبه لمجادلتها أكثر فأكثر... ظل يفكّر
 حتى داهمه النعاس وغلبه؛ فذهب ليراها في أحلامه.

وبعد مرور يومين من البحث الدؤوب والتحقيق المستمر لم يصل هشام إلى شيء جديد، سوى أن المستأجر للشقة التي كانت تقنطها كارولين هو شاب في نهاية العشرينات، وأوصافه لم تؤكد له شيئاً تجاه شكّه في سامر؛ فتلك الأوصاف التي ذكرها الخفير وصاحب الشقة لم تنطبق عليه البتة سوى عمره، أما عن منزل جنّة فلم تجرؤ قطّة على الاقتراب منه.

في تلك الأيام كان هشام يتذرّع الحجج للتحدث معها، والاطمئنان عليها؛ فيطول بينهما الحديث دون إدراك، أو استيعاب للوقت الذي يمر بهما، فهكذا تكون الأوقات السعيدة، تمر على عجلةٍ لُتمنينا بالمزيد منها، وتبعث اللهفة عليها في القلوب؛ لذا تكون غالية ولا تقدّر بثمن.

كان هشام ينسى نفسه وعمله بأعبائه، ويتحرّر من كل ذلك في كلمات تلك الرسائل التي لا تنتهي سوى بنومهما، أو المكالمات التي يتذوق بها عذوبة صوتها ورقتها ومرحها، لم يكن راضياً في حياته في مثل هذين اليومين، أما هي فذلك الاحساس الذي يرسل به قلبها المتلهف إلى سائر أوصالها بقشعريرة عالية يزيد من إحساسها بالسعادة المخيفة؛ فبداخلها تعرف كأي أنثى سبب تلك السعادة _ وإن عمدت إنكارها _ لكن عدم وضوح مصير تلك السعادة المؤقتة يبعث الخوف بجوفها؛ فتحاول قمع مشاعرها وكبح لجامها بانشغالها بمذاكرتها.

في صباح اليوم الثالث، في أحد المكاتب بجهاز الأمن الوطني رن هاتف
نقال؛ فرد صاحبه بعصبية:

- ألو.
- ألو، انتّ..
- انتّ اتجننتي؟ بتكلميني وأنا في الشغل، قولتلك التليفون للطوارئ
بس، غير كده أنا الي اتّصل مش انتّ.
- وأنا لازم أخلص المهمة الي جيت عشانها وأخرج من مصر بأسرع
ما يمكن، وعشان كده اتصلت أقولك إني هتصرف بنفسي.
- ثم أعلق الخط؛ فأخذ يصيح:
- ألو.. ألو، الله يخرب بيتك هتودّينا في داهية.

الفصل الرابع عشر "مطاردة"

استيقظت جنة في الثامنة صباحًا، وكعادة شباب هذه الأيام، كان أول ما بحثت عنه بيدها بعينين نصف مفتوحتين هو هاتفها، وما لبثت أن اتسعت عيناها دهشة حتى ما رأت عشرة اتصالات من صديقتها في البارحة، ولا بد أنها قد غفّت بعد مكالمة هشام، وكان هاتفها على وضع الصامت؛ فما كان لصديقتها سوى ترك رسالة لها فحواها أن لديهم امتحان منتصف الترم في هذا الصباح في تمام التاسعة، وتُقدّم اعتذارها لأنها نسيّت أمر إخبارها.

وثبتت جنة من فراشها في محاولة لالتقاط أنفاسها المتسارعة من الخُصّة، وبينما كانت تُخرج ملابسها على غير هدى من خزانها، تذكرت تحذير هشام من خروجها من المنزل "طب هعمل إيه دلوقتي؟! لو قولتله مش هيرضى، وأنا كده امتحاني هيروح عليًا، مش معقول بعد كل ده الترم يضيع عليًا، ده فاضل على الفاينال ٣ أسابيع.. لا لا.. لازم أروح".

وقرّرت أن تخرج من المنزل، ووالداها ما زالوا نائمين، زاعمة أنها ستتدارك غضبهما حينما تعود، وأنه على كل حال الامتحان سينتهي في العاشرة، وبإمكانها العودة قبل استيقاظهما إن حالفها الحظ.

تجهّزت جنة، وأخذت حقيبتها، وتسلّلت خفية على أطراف قدميها حتى خرجت من المنزل، وبعدما تأكدت أنه ليس هناك من يراقبها سارت بخطى

واسعة مخفية تحت الأشجار أمام المنازل، حتى ابتعدت عن شارعها واستقلت الميكروباص منطلقة إلى جامعته.

وصلت جنة كليتها، واتجهت رأسًا إلى قاعة محاضرتها حيث يُقام الامتحان، حينذاك كان يقف زملاؤها أمام القاعة المغلقة في انتظار بدء الامتحان، سمعت جنة صوت هدير صديقتها تناديهما وهي تقترب منها:

- الحمد لله إنك شفتي رسالتي.. ما كنتيش بتري لي؟

ردت جنة وهي تلهث:

- معلش معلش، الموبايل كان سايلنت.

بعد مرور ساعة، كانت العاشرة تمامًا؛ حينما استيقظت منال وأدت فرضها، وراحت تفتح النوافذ ليدخل نور الشمس إلى البيت بدفته المعهود، ثم مضت نحو غرفة جنة لتوقظها حتى تحضر الفطور، فتحت باب غرفتها بعفوية تردّد وهي تفتح النافذة:

- جيّجي! يلا يا حبيبتى اصحي ه...ه

صمتت فجأة ما إن وجدت سريرها خاليًا؛ فتوقعت وجودها في الحمام، لكنها تأكدت فيما بعد من خلوه.

أدركها الفزع وراحت تبحث عنها بكل مكان، لكنها لم تجدها؛ فدلقت إلى زوجها الذي كان لتوّه يُسلم من صلاته، وأبلغته لاهثة:

- الحق يا طارق.. جنة مش في البيت.

- نهض الرجل وأمارات الخوف تمكّنت من ملامحه صائحا:
- يعني إيه مش في البيت؟! هتكون راحت فين يعني على الصبح!
 - مش عارفة.. طب رنّ عليها كده.
- أخذ والدها يتصل بها لكن ما من مجيب، ثم اتّصلت منال على أختها تسأل إن كانت ذهبت إليهم، لكن جوابها ما كان يغني ولا يُسمن من جوع؛ فهتفت منال وهى تذرع الغرفة جيئة وذهابا:
- يعني إيه؟ بنتي اتخطفت؟! رد طارق محاولاً تطمينها:
- اهدي بس يا منال، هتتخطف ازاي من بيتها يعني واحنا مش حاسّين!
 - ماليش دعوة، اتصل بالطباط ده يشوف بنتي حصل لها إيه.. أنا عايزة بنتي... اتصرفوا.
- كان هشام يقود سيارته في طريقه إلى عمله حينما أتاه اتصالاً من طارق، بدت علامات التعجب على وجهه، وردّ مسرعاً لسمع صوت طارق الفزع يخبره بما حدث؛ فهتف هشام بعصبية:
- يعني إيه مش لاقينها؟! طب فيه أي آثار هجوم أو باب مكسور؟
 - لا لا أبداً، مامتها مالقتش غير هدومها و...
 - كلامك مالوش غير معنى واحد يا باشمهندس طارق، إنها خرجت بإرادتها.. اللي هيخطفها مش هيستناها تغيّر هدومها، اقفل حضرتك وأنا هتصرف.

أغلق معه هشام واتّصل على سعيد هاتفًا بحقّ "رد يا غبي"، وما إن وصله الرد حتى صاح بسخط:

- انتّ نايملي يا بيه! والزفت الثاني فين؟
- آسفين يا باشا، احنا بس غفلنا شوية كنا...
- كنتوا إيه وهباب إيه، البتّ خرجت ومش عارفين راحت فين، حسابكوا معايا بعدين.

وأغلق الخط مطلقًا أذنبًا من السباب.

مضت نصف ساعة من تحرياته، في تلك الأثناء خرجت جنة من الجامعة، وما كادت تخطو خطوة خارج البوابة الرئيسية حتى فوجئت بيد قوية تجذبها من ذراعها بعنف، اتسعت عيناها فزعًا، وأوشكت على الصراخ لكنه أطبق بيده على فمها.. النبض يتسارع والأدرينالين يتدفق بغزارة، حتى اطمأن قلبها قليلاً لرؤية هشام، لكنها أدركت في قرارة نفسها أنّها في مأزقٍ معه الآن، وما من مخرج، جاءت نبرة هشام حاملة لغضب جامح:

- انتّ ازاي تخرجي من غير ما تقولي لحد؟! أنا مش نبّهت عليكِ ماتعتبّيش برة شقتكوا؟!!

ازدردت ريقها بصوت مسموع، تحبس أنفاسها، تفكر في حل سريع؛ فتصنّعت القوة، وجعلت تصيح بوجهه:

- انتّ الي ازاي تمسكني كده؟ أنا مش هضيّع مستقبلتي عشان أسمع كلامك وأخذ منك الإذن عشان أتنفّس.

- كان يحدّق بها بشراسته، وقد احتل الغضب ملامحه فبدا مخيفاً، وقال بهياج:
- جنة! ماتبتديش.. اتفضلي معايا يلاً!
- رمقته جنة من رأسه إلى أخمص قدميه، شهقت وقالت:
- لا طبعاً، ماينفعش أركب معاك.
- رمقها بغیظ صائحاً:
- أنا مش باخد إذنك.. اتفضلي بالذوق أحسن.
- قاطعها أحد رجال أمن البوابة قائلاً بصوت رخيم:
- فيه حاجة يا آنسة؟ إيه يا أستاذ مالك بالآنسة؟!
- زم هشام فمه بنفاد صبر، وسحب الرجل ضاغطاً على ذراعه بسخط يقول
- من بين أسنانه بغلٍ ونبرة تحذيرية خافتة:
- أمن وطني، أحسنك تروح تشوف شغلک.. مفهوم!
- هز الرجل رأسه عدة مرات بالإيجاب يحيه تحية عسكرية مردّداً: "حاضر يا
- باشا.. اللي تشوفه يا باشا"؛ فتركه هشام وعاد إليها قائلاً بحدة:
- نمشي؟!
- عقدت ذراعيها أمامها بتصميم ورفعت ذقنها تطالعه بكبرياء وعناد تقول
- بإصرار ضاغطة على كلمتها:
- لا.

لوى شذقيه ينظر إلى الأعلى محاولاً تهدئة أعصابه، يبعد طرفي سترته كاشفاً بذلك عن مسدسه المعلق ببنتاله في حركة تهديدية، ارتبكت قليلاً، وأنزلت ذراعيها تشيح بهما بتوتر، تُبلبل:

- وهو يعني من الرجولة تهدّني ب.. بمسدسك؟ هو.. هو يعني عشان انت ظابط و...

فاجأها بسحبه لمسدسه بغتة، وصوب فرده إلى جهتها في ذات اللحظة جذبها إلى خلفه باحترافية، وبدأ إطلاق النيران من أحدهم، شخص مجهول يرتدي سترة رياضية غامقة فضفاضة خافياً بها رأسه ووجهه، كان يرقبهما، ولاحظه هشام قبل أن يطلق النار، وفي الوقت المناسب، جذب جنة خلفه حتى أدخلها السيارة وركض خلف الشخص المجهول، حتى ركب سيارة وفرّ بها، عاد هشام إلى سيارته وانطلق خلفه يقتفي أثره، يمرّان بين السيارات بسرعة جنونية، بينما كانت تصرخ جنة كلما تحبّطت، فزعة مما يحدث؛ فصاح بها هشام:

- اربطى الحزام!

انصاعت لأمره وهي ترقب ما يحدث باندهاش ورعب جليّان في عينيها، وقلبها المنتفض، بينما واصل هشام قيادته، لكن الحظ لم يحالفه تلك المرة؛ فتكدّست الحركة المرورية أمامه واستطاعت السيارة المستهدفة الفرار قبل إغلاق الإشارة، ضرب على المقود بحنق ضاعطاً على البوق بقلة حيلة وانزعاج بالغ.

كانت جنة تضع يدها على قلبها وتنهّدت بعمق تحمد الله على نجاتيهما من تلك الحوادث التي كادا يفتعلانها، التقط هشام اللاسلكي هاتفًا:

- محمود.. محمود!
 - هشام بيه، مع حضرتك!
 - هديك رقم عربية تعرفلي صاحبها فورًا.
 - علم وينفذ يا فندم.
- فتحت الإشارة وانطلق هشام زافرًا إلى منزل جنة وهو يصيح بها:
- عَجَبِك كده.. يا رب يكون العرض عَجَب سيادتك!
- قالت بتجلجل:
- أنا.. أنا ماكتش أعرف..
- رمقها شزرًا، وأردف بغضب يتأجج بعينه المحمرتين:
- أنا اللي أقوله بعد كده هيتنفذ بالحرف الواحد، وإلا قسمًا بالله لأكون حابسك!
- خنعت جنة في مقعدها تبرطم بسرّها سُخطًا على وضعها.
- توقف هشام أمام منزلها بعنف؛ ففتحت الباب ونزلت بانزعاج لا تُلقِي له بالًا ودلفت إلى منزلها، وما إن تأكد من دخولها حتى غادر إلى عمله.
- فتحت جنة باب منزلها؛ فهرعت إليها والدتها تحتضنها وتوبّخها في آن واحد، فتمتت جنة:
- ماتقلقيش يا ماما، أنا بخير وآسفة.

توقفت عن حديثها فقد راعها رؤية خالتها وأحمد وسارة في المنزل، أدركت أنها بفعلتها تلك أفرغت الجميع، كان طارق يجلس متصنعا اللامبالاة، غضبا من ابنته، حتى وصل مسامعهم صوت أحمد وكلماته اللاذعة:

- جنة! انتِ مابقتيش تسمعي كلمة لحد، هو ده وقت تعاندي فيه!
صاحت جنة بانفعال:

- أعمل إيه يعني؟! أسقط عشان ترتاحوا.. هلاقيها منكوا ولا من
ال...

توقف لسانها عن إطلاق السباب الذي كانت تنتويه، ربما لأنها مدركة تماما بأنها مخطئة، أو يجوز قام قلبها بتبويخها على تلك الفعلة، فجاءت سارة تقول:

- خلاص يا جماعة حصل خير، الحمد لله إنها رجعت بالسلامة.
قالت منال بانزعاج:

- برضه يا سارة ماينفعش ده يتكرر تاني، احنا كنا هنموت من الخوف
عليها، ساكت ليه يا طارق؟
رد والدها بمرارة:

- وهتكلم أقول إيه؟ ما أنا خلاص كلامي مابقالوش لازمة ولا
بيتعمل بيه.

مضت جنة نحو أبيها وربضت أمامه وأمسكت يده برفق قائلة:

- ما عاش ولا كان يا بابا اللي يكسرلك كلمة، أنا آسفة بجد، ماكتتش
عارفة إن كل ده ممكن يحصل، وإن ممكن يكون فيه حد بجد عايز يقتلني.

انتفض والدها والجميع على إثر كلمتها متسائلين؛ فقصّت عليهم ما حدث باختصار، فضمّها والدها بجزع، واقترح عليها بأن تدلّف حجرتها لتغيّر ثيابها وترتاح قليلاً، بينما يتصل بهشام ويشكره.

- طرقت سارة باب غرفة جنة؛ فأذنت لها بالدخول حالما كانت شاردة الذهن؛ فرمقتها سارة بنظرة خبيثة، يفر عن ثغرها ابتسامة مأكرة، وأردفت:
- اللي واخذ عقلك يا جميل!
 - جنة بنبرة تحذير:
 - سارة!
 - سارة باحتجاج:
 - لا بقولك إيه.. ماتبتديش.
 - سرحت جنة بمكان آخر، وارسم على شفيتها بسمه حالمه ودمدمت:
 - هو كمان قال كده النهاردة.
 - ضحكت سارة قائلة:
 - اممم، شكله مأثر قوي.
 - عادت جنة من سرحانها بجفلة، وقالت:
 - مفيش فايده أنا عارفة.

- جلست سارة أمامها غير مبالية تقول ضاحكة، وقد تأجج بها الفضول:
- طب سيبك من الكلام ده، واحكي لي كل اللي حصل بالتفصيل الممل.
 - رمقتها جنة بنظرة مطولة، ثم بدأت تسرد عليها ما حدث بينها وبين طاووس الأمن الوطني، كانت تستمع إليها سارة بإنصات يمتطّ فمها بابتسامة عريضة إلى أذنيها؛ مما جعل وجتني جنة تلتهب خجلاً، ولاح البريق بعينيها حينما كانت تحكي لها عن مكالماتها ورسائلها في الأيام السابقة، وبينما أوشكت على الانتهاء من حديثها حتى انتفضا لصوت أحمد الذي كان يقف معها على عتبة الباب الموارب دون أن ينتبها إليه:
 - الله الله! كل ده وأنا آخر من يعلم.
 - أجفلت جنة لذلك، وأطبقت جفنيها، ثم قالت:
 - والله حرام الي بتعملوه فيّا ده، انتوا الاتنين عليّا.. كده كثير.
 - أحمد بتوعد:
 - وهو انت لسه شفتي مني حاجة، وربنا لأوريكي.
 - أشهرت سبابتها في وجهه قائلة بنبرة تحذيرية:
 - أحمد، إياك الكلام ده يخرج برّة، احنا بنهزر أصلاً.
 - ومن امتي وأنا بقول حاجة لحد؟ بس برضه هوريكي.. تحبّي عليّا
- أنا!

قال جملته بينما كان يرقص حاجبيه توعداً، كادت ترد، لكن أسكتها صوت رنين هاتفه؛ فقال بمكر:

- ده مالِك.

اتسعت عينها متسائلة:

- هو عرف الي حصل؟

أوماً أحمد برأسه بتشفي، ثم رد:

- ألو.

- أيوه يا أحمد، جنة رجعت؟

- آه، هنا أهيه، هي أصلاً ماكانتش برّه، دي كانت عند الجيران..

- لا يا شيخ؟ بتداري عليها! أنا عرفت كل الي حصل لحد ما الظابط

رجّعها، وقولها إن حسابها معايا لما أرجع.

- احم.. طيب خلاص ماشي هسلمك عليها.

لم يستمع إليه أخوه وأغلق الخط، بينما نظرات جنة اليائسة كانت تتشبث به طلباً لمعرفة ما قاله.

الفصل الخامس عشر

"جريمة قتل"

لم يكن هشام متوقعًا غضب اللواء على هذه الشاكلة، وتوبيخه الغير مبرر:
 - دي تاني مرة يا هشام ترفع مسدسك، وفين؟ قُدّام حرم جامعي،
 عشان يتقال علينا بنهرب الطلبة كمان.. أي فعل بتعمله محسوب على الجهاز
 كله يا سيادة الرائد، وأظن إنك مش مستني أفكر بكده.
 انتظر هشام حتى يفرغ اللواء ما في جيبته، ثم أردف بنبرة هادئة لكنها
 دفاعية:

- يا فندم، واضح إن الموضوع وصل لحضرتك بشكل خطأ، أنا
 ماكتشش بهدد ولا برهب، أنا كنت بطارد شخص ملثم.. أيوه يافندم كان فيه
 حد مصوب المسدس على جنته؛ عشان كده ضربت نار، وبعدها طاردته
 بالعريّة، بس للأسف قدر يهرب.
 اندهش اللواء قليلاً، ثم تساءل:

- امم، وتفتكر ده نفس الشخص الي بيساعد كارولين؟

التمعت عينا هشام ببريق ماكر، ثم قال:

- لا يا فندم.. دي كانت كارولين نفسها.

بعد القليل من المباحثات، والنقاشات التحليلية، خرج هشام من مكتب
 اللواء متجهًا إلى مكتبه، حينئذ وردّه اتصال من لارا.

- زفر طويلاً، وردَّ بجمود:
- أيّوه يا لارا؟ خروج إيه بس! بعدين يا لارا بعدين، عندي شغل مهم.. سلام.
- أغلق معها المكالمة، يهزّ رأسه حقّاً، ثم أكمل طريقه، وما إن دلف واستقرّ على مكتبه، وتبعه سامر وجمال حتى دخل محمود قائلاً:
- اتفضل يا هشام بيه، دي معلومات العربية الي حضرتك طلبتها. تناولها هشام على عجلة وأخذ يراجع التقرير على مهل، ثم قال:
- يعني طلعت عربية متأجرة!
- بالظبط كده يا فندم، وعنوان الأجانس مُرفَق عند حضرتك، أما العربية فلقيناها مركونة تحت كوبري الدقيّ.
- أوماً هشام موافقاً قائلاً:
- طيب، اتفضل انت.
- تحت أمرك يا فندم.
- أطلع هشام رفيقيه في القضية على مضضٍ على كل ما حدث، وجعلوا يتشاورون ويتباحثون، كلُّ يدي برأيه، لكن ما من نتيجة حتمية.
- كلّفهم هشام ببعض الأمور، وانصرفوا.
- مر ثلاث ساعات وما زال هشام يتفحص التقارير بروية ودقة، يحدث نفسه بصوت عالٍ محلّ الموقف بين يديه، يفكر بعقلية كارولين تارة وسامر مرة أخرى، حينذاك وردته رسالة هاتفية أخرجته من تركيزه؛ فأطلق زفيراً

غاضبًا، متوقعًا أنها من لارا، وما إن التقط هاتفه وتراءى له اسم صاحبة الرسالة حتى تلاشى الانزعاج عن وجهه وانتشى مفرجًا عن بسمه حاملة، ثم فتح الرسالة:

"أنا آسفة.. ماكانش قصدي أتسبب في كل اللي حصل ده".

هدأت تلك الرسالة من نائوته، وتركت أثرًا مليحًا في نفسه، وعزم على الرد عليها، لكنه التهي في تلك الإخبارية التي نزلت عليه كالصاعقة:

- يا فندم يا فندم!
- فيه إيه يا جمال؟
- صاحب معرض العربيات لقوه مقتول في شقته.
- إيه؟! ازاي وامتى؟
- لسه من ساعة بالظبط، والشرطة بتحقق في موقع الجريمة.
- طيب أنا رايح حالًا.. لازم نعرف كل التفاصيل بالظبط.
- غادر هشام رأسًا إلى منزل صاحب المعرض، واستقبله الضابط الموكل بالتحقيق في تلك القضية:
- هشام باشا.
- أهلا يا سيادة النقيب.
- خير يا فندم؟ يعني غريب أشوف حضرتك هنا.
- المجني عليه يخصنا في قضية مهمة بتهدد الأمن العام.. هو اتقتل ازاي؟

أخذ الضابط هشام إلى أماكن ملابسات الواقعة، وجعل يشرح له:

- الواضح إن القاتل كان داخل بنية السرقة، يعني المجني عليه راجل أعزب رغم سنه الكبير وعاش لوحده، والواضح إنه كان فيه هجوم من الجاني ودفاع من المجني عليه، وده واضح في آثار الضرب وآثار الأقدام في أماكن مختلفة من الشقة؛ يعني كانوا بيتخانقوا لحد ما الجاني نزل بقوة كبيرة بسلاح الجريمة - وهو أجنة - على دماغ المجني عليه ومات.
- امم، ويمكن يكون اللى عمل كده حدّ روحه في إيده أو بيهدده بحاجة.

- ممكن يا فندم، وخاصة إن القتل كان حسب كلام الجيران مشيّه بطل وبيجيب ستات على طول البيت.
- طب تعالى نشوف دكتور الطب الشرعي.
- اتفضل حضرتك.

كان ذلك هو رأى الطبيب الجنائي:

- المجني عليه تلقى ضربة قويّة تسببت في تهشيم الجمجمة في الحال، وعملت صدع عميق أدى لوفاة.

سأله هشام:

- طب الضربة دي ترجح من راجل ولا ست؟
- لا يا فندم، مية في المية راجل، وبنيته قوية، وطوله لا يقل عن ١٨٥

- فغر هشام فاهُ، وتوسَّعت حدقتاه دهشة، وابتدر متسائلاً:
- متأكد يا دكتور؟ يعني مش ممكن يبقى أقصر من كده شوية، عشرة سم مثلاً؟
- ده مستحيل يا فندم، الارتفاع الي نزلت بيه الأجنة على دماغ المجني عليه عمرها ما تكون من شخص أقل من ١٨٥ سم.
- تخبَّطت الأفكار برأس هشام معلنة ظهور دليل جديد يبدد اتهام سامر وتورطه في الخيانة؛ ففكر هل يمكن أن يكون استأجر أحدهم، لكنه سرعان ما نفى تلك الفكرة بعيداً؛ فهو لن يجازف بأن يعرف وغدٌ آخر سرّه.. ماذا يحدث إذن؟!



- عاد هشام إلى المنزل شارد الذهن، تَجَبُّ الأفكار برأسه سابقتها، وما أتى كان أعظم؛ فكانت منيرة لم تنم بعد وتنتظر عودته على أحرّ من الجمر، حتى ما إن رآته تركت التلفاز ومسلسلها الهندي المفضّل، وردت عليه التحية ثم استوقفته قبل أن يدلف غرفته قائلة:
- هشام، استنى عايزاك في موضوع مهم.
- جلسا الاثنان، وبدأت تسرد عليه منيرة طلبها حتى صاح:
- حفلة خطوبة إيه دي الي عايزاني أعملها يا منيرة؟! أنا في إيه ولا في إيه!

- يا حبيبي البنت من حقها تفرح، يعني أول مرة لبستها الدبلة كده ع الساكت، وبعد مارجعوا لبعض لبستها هنا في بيتك، مش الأصول دي يا ابني، وبعدين هي مش أي واحدة ولا مخطوبة لأي حد، ومن حقها يتعملها حفلة كبيرة الناس كلها تحكي وتتحاكى بيها.
- بعدين يا منيرة بعدين.. أنا عندي مشاكل كثير في الشغل ومش فاضي أفكر في الحاجات دي.
- يا حبيبي انت مش هتفكر في حاجة، سيب كل حاجة عليا، انت بس قولّي المعاد اللي يناسبك عشان أتفق معاهم.
- وهكذا لم يعد هناك مفراً لهشام أمام عناد منيرة؛ فاتفق معها على الموعد بحيث يكون في بداية الشهر المقبل.
- نهض هشام قاصداً غرفته، يعتريه الأسى والألم؛ فكان في قرارة نفسه يدرك جسامه خطأ ارتباطه بـ"لارا"، وأنها ليست الفتاة المناسبة له، وليس بوسعه إمدادها بأية عاطفة أو إسكان القليل من الحب بفؤاده لها، لكنه رغم ذلك لم يشأ لمنيرة أن تغضب عليه وتنفذ تهديدها وتترك المنزل؛ فيخسر اليد الحانية التي تططب عليه، وتشد من أزره، وتؤانس وحدته في تلك الحياة الوحشة، غير أنه لن يكون مطمئناً عليها وهي تعيش بمفردها في منزل آخر؛ فلطالما كانت منيرة له أكثر من أم وإن لم يعترف بذلك.

بدّل ثيابه، والتقط هاتفه، وبمجرد فتحه للشاشة الرئيسية ظهرت له رسالة
جئة التي أرسلتها منذ بضعة ساعات ونسي الرد عليها مغلقاً قفل الشاشة على
الرسالة.

في تلك الأثناء كانت تجلس جنة على سريرها تطرّق ذقنها بهاتفها، تضيق
عينها غيظاً وكمدًا، وما لبثت أن أرسلت تسجيلًا صوتيًا لسارة:

- عايجك كده يا ست سارة، ياريتني ما سمعت كلامك، أهو شاف
المسدح بتاعتي وماردّش.

أجابتها سارة بعد ثوان:

- ما يمكن يا بنتي كان مشغول ولا حاجة.

- يقوم يعمل seen ومايردّش كل الوقت ده، وكرامتي بقي!

صمتت برهة، ثم كتبت لها:

- استنّي ده بيتصل، أعمل إيه، أعمل إيه؟

- هو إيه اللي عملي إيه! ردّي بسرعة.

استمعت لرأيها وردّت عليه؛ فجاءها صوته هادئًا ساحرًا، أخذ لبّها:

- جنة، آسف إني ماقدرتش أردّ على رسالتك، بس كان عندي مأمورية
مهمة و..

سرحت في حديثه، يخفق قلبها بترنيمة عشق فرضت عليها نفسها في التو،
تُحدث نفسها: "يا لهوي إيه الصوت ده! وكمان بيقول آسف.. احم بطلي بقي
كلام المراهقين ده."

فسمعت صوته يناديها:

- جنة.. سمعاني؟

- آه.. آه سمعاك.

- احم.. آه، ولو متضايقه إني رفعت الألقاب..

قاطعته مسرعة:

- لا لا أبداً، مفيش الكلام ده يا سيادة الرائد.

- رائد إيه بقي! بقولك رفعنا الألقاب.

أخذت تقبض على يدها ملوحة بانتصار، يتسع فمها بابتسامة صامتة، ثم
قالت وهي تحبس أنفاسها اللاهثة:

- بس يعني..

- مفيش بس، اسمي هشام.. هشام وبس، اتفقنا؟

ازدردت ريقها بصعوبة حتى ما وصل صوته إليه عبر الهاتف؛ فضحك
قائلاً:

- هااه؟

- احم خلاص اتفقنا، طب قُلت إنك شفت رسالتي...

قاطعها قائلاً:

- ومفیش داعي للاعتذار؛ لأنني متأكد إنها مش هتكرّر تاني.
ارتفع حاجبها، وقالت في نفسها: "أهو هيقلب طاووس تاني.. بس نينچا
برضه".

بترَ تعليقها الداخلي صوتُه قائلاً:

- وقولتلك انتِ في حمايتي، ومش هسمح بأي حاجة تمسك، واللي
يفكر بس مجرد تفكير إنه يأذيكي لازم يواجهني أنا الأول.
توقف الزمن حولها، استكانت نسائم الهواء، وتصلبت أنفاسها داخل
صدرها، وما إن شعرت بغثيان الإعجاب حتى قرّرت إغلاق المكالمة لئلا
يظهر ضعفها؛ فقالت بسرعة وتلعثم:

- ميرسي... ربنا يخليك، طب.. طب أنا مضطرة أقفل عشان ماما
بتنادي عليّا، أولك؟ باي يا سيادة الرائد.

ضحك هشام متفهّمًا ما آلت إليه نفسها، فقال مداعبًا:

- سيادة الرائد تاني؟

- طب يلا باي.. ماما.

قالتها وأغلقت الخط، تضع يدها على قلبها تتحسّس نبضه المارد بقوته
الشرطانية التي ولأول مرة تشعر بها هكذا، حتى بات صوت نبضها يدقّ
بأذنيها، بينما على الصعيد الآخر كان يحدّق هشام إلى اسمها على الشاشة
متضحكًا، وشرد بأمور شتى راحت تتخبط برأسه بلا هوادة.

الفصل السادس عشر

"ليلة سمر"

تسلّل الشعور بالملل والرتابة إلى قلب جنّة؛ ففى خلال تلك الأيام لم يكن يرافقها سوى أبويها وجدّان المنزل والسقف، حتى حفظت شروخهم عن ظهر قلب من فرط التّحديق بهم، وبينما كانت تشاهد التلفاز نهضت فجأة وتأنّفت، تتوق إلى رؤية الشارع واختلاف الليل والنهار؛ فحتى الإطلال من النافذة كان محرماً عليها، سألتها منال:

- مالك يا بنتي فيه إيه؟
- زهقت.. زهقت يا ماما، هطقّ من الملل، مش قادرة أستحيل، حاسة إني في سجن، هموت وأخرج.
- بعد الشر عليكى يا حبيبتي، معلىش فترة وتهتدي إن شاء الله وتخرجي وتعملي كل اللي نفسك فيه.
- بس يا ما...
- استوقفها صوت رنين هاتفها، ليظهر لها على الشاشة اسم أحمد؛ فردت بحق:

- أيوه يا أحمد؟
- أيوه يا أحمد؟! آه يبقى شكلك مكتّبة انتِ كمان.
- يعني شوية.. إيه؟ انت بتقول انتِ كمان؟ ليه مين تاني مكتّب؟

- المحروس ابن خالتك الي هو أخويا ومراته.
- إيه الي حصل يا ابني؟ ما تقول على طول.
- مفيش يا ستي، سارة بقالها كذا يوم عصبية كده ومش طايفة نفسها، ووشها أصفر كده شكلها تعبانة، ومالك كان أجازه امبارح، وانت عارفة بقى هو وخالتك مايبطلوش طلبات؛ فكلمة منه على كلمة منها اتخانقوا، خالتك بقى تسكت؟ لا.. حطت شوية شطة من عندها، كبر الموضوع والبيه بايت هنا من امبارح وساييها في شقتها فوق لوحدها.
- تؤ تؤ تؤ ليه كده بس؟ ومالك لو يبطل عصبية الدنيا هتمشي.
- طب بقولك إيه.. ماتعرفيش تيجي تهدي الدنيا بينهم شوية، هما الاتنين بيعجوكي وهيسمعلوك.
- من غير ما تقول أصلاً كنت هعمل كده ... أووف! بس هاجي اراي؟ انت عارف..
- ماتقلقيش.. هاجي أنا آخدك، وكم ان انت مش رايحة بعيد.
- طيب ماشي.. مستنيك.
- قالتها بتردد، ثم أغلقت معه، وتراءى لها أنه من الأفضل إخبار هشام بالأمر؛ فاتصلت به في انتظار رده.
- كان هشام يرصد المنطقة التي تسكن بها جنة من خلال المنظار، وأمر سعيد بأن يجهز له تسجيلات الكاميرات لليومين السابقين، وفي تلك اللحظة أبصر جنة في منظاره بداخل غرفتها من خلال النافذة الشفافة، وكان يبدو عليها

القلق تضع الهاتف على أذنها بإلحاح في انتظار ردّ أحدهم.. تُرى من الذي تتحرّق لمحدثته هكذا؟! لم ينتظر كثيرًا فأخرج هاتفه من جيب بنطاله ليتصل بها؛ إذ يفاجأ بأنه هو من تتصل به، وكان هاتفه على وضع الصامت؛ فرد سريعًا: چانو.. أزيك؟

خفق قلبها لسماعها صوته مدلّلاً إياها بذلك الاسم الذي أطلقه عليها بإحدى مكالماتها؛ فطرّقت إلى الحديث مباشرة بعدما ردت تحيته:

- هشام، أنا عايزة أخرج.. لا هو ضروري أخرج.
- طب مالك بس فيه إيه؟
- عايزة أروح عند خالتو.. وماتقلّش بجد؛ أحمد هيجي ياخدني، وخالتو أصلاً هنا جنبنا في نفس الحيّ.
- رفع حاجبه غيظًا، وهو يراقبها من النافذة، وقال بحق:
- ده على أساس إن الأستاذ أحمد ده فانداه يعني؟!
- ماليش دعوة بقى يا هشام، أنا هطّ من القاعدة في البيت، وكمان لازم أشوف سارة ضروري.
- فرك هشام جبهته، ثم قال:
- خلاص يا ستي.. أنا بنفسى هاجي أخدك وأودّكي ليهم.
- اجتاحت الفرحة قلبها وغزّت ملامحها بذلك العرض المفاجئ، وقد راق له رؤيته لها بتلك الحالة؛ فقالت من وراء قلبها:
- مفيش داعي أتعبك معايا..

ابتسم قائلاً:

- يلاً اجهزي أنا قريب منك، عشر دقائق وهكون عندك إن شاء الله..
آه وماتنسيش تقفلي الستارة.

وقعت عليها الكلمات كالصاعقة، وتبدلت ملامحها إلى الارتباك، ابتلعت ماء حلقها بصعوبة وهي تركض إلى النافذة وتمسك بستائرهما يقول لسان حالها: "عرف أزاى إن الستائر مفتوحة!".

اتسعت عيناها، وصاحت فجأة:

- يالهوي! يعني شايفني من بدري.. يعني براقب البيت من حته هنا..
ويا تري شاف إيه وماشافش إيه؟!

أغلقت الستائر دفعة واحدة لتحسّس وجهها الساخن المضرّج بالدماء خجلاً، بينما أطلق هشام العنان لضحكاته المتعالية.

صدق هشام، وما كانت سوى عشر دقائق بالضبط حتى كان ينتظرها تحت منزلها بسيارته، تسمّرت حدقاته بمقلتيه ما إن ظهرت أمام ناظريه يتأملها كما لو تلك المرة الأولى التي يرى بها فتاة، لكنه يشعر بإحساسٍ غريب حينما يراها، حينذاك ينسى أمر قوته ومسئوليّاته ويطفو ضعفه طالباً جسداً، بل قلباً يضمه بحنان، يطبطب على قلبه حتى يستطيع استعادة قوته من جديد؛ فيعانقها واعدداً بحمايتها، ورسم البسمة على ثغرها ما حييت.

لم تدم تأملاته كثيرًا حتى صدمه ظهور أحمد من خلفها؛ فلوى فمه وأجبر على تحيَّته بودّ مصطنع، ركب بجانبه أحمد وركبت جنة بالمقعد الخلفي، وانطلق كما وصف له أحمد الطريق.

توقّفت السيارة أمام منزل خالتها؛ فنزل هشام يودعهما من باب اللياقة؛ فأردف أحمد بتصميم:

- لا على فين يا هشام باشا؟ لازم تدخل تشرب حاجة.
- لا والله مفيش داعي يا أستاذ أحمد..
- لا لا اعذرني.. يعني محدش بيعجي بيتنا لأول مرة من غير ما ياخذ واجب الضيافة.

قالها وهو يغمز لجنة من خلف هشام معتقدًا أنه لم يره.

فابتسم هشام من جانب فمه، وقال:

- إذا كان كده.. فدّه شرف ليّا يا أستاذ أحمد.

قال وهو يرمق جنة بطرفه؛ فابتسمت على استحياء احمّرت له وجنتاها؛ فرد أحمد:

- مفيش داعي لأستاذ دي بقى.. خلى البساط أحمدي.

ضحك هشام قائلاً:

- تمام يا أحمد.. اتفضلي يا... جنة هانم.

تحلّى وجهها ببسمة تشق الطريق إلى شفيتها ودلفت أمامهما، وما إن دخلوا إلى الردهة الواسعة الملحقة بالتراس الشاسع بالطابق الأول حتى استقبلهم صراخٌ نابع عن شجار طائل؛ فتمتم هشام إلى جنة بينما كان يرقب الموقف:

- شكلنا جيّنا في وقت مش مناسب.
- فانطلقت جنة تركض حتى وقفت في منتصفها صائحة:
- مالك! سارة! انتوا بتعملوا إيه؟ إيه اللي حصل لكل ده؟! لم يلحظ مالك وجود هشام؛ فصاح بها:
- انتِ إيه اللي جابك هنا؟! أنا مش قولتلك ماتخرجيش من بيتكوا ولو احتاجتينا هنيجي لحد عندك.
- وضعت كلتا يديها في جنيها، وقالت بامتعاض:
- والله؟! لا ما هو واضح إنكوا كنتوا هتيجوا.. وعلى العموم ماتقلّش؛ حضرة الظابط بنفسه جابني لحد هنا.
- انتبه مالك إلى إشارة يدها نحو هشام؛ فتبدّلت ملامحه إلى الابتسام قليلاً محاولاً استعادة هدوءه، ورحب به:
- سيادة الرائد! أهلاً بيك نورتنا.. آسف بجد أول مرة تيجي عندنا وتلاقى...

قاطعها هشام نافيًا:

- لا لا أبدًا.. مفيش حاجة.

ثم تأبطه هشام بعيداً عن سارة؛ ليجلسا بعيداً عن الجمع بشيء من الصداقة، واسترسل ملطفاً الأجواء:

- اهدا انت بس.. مفيش حاجة مستاهلة، همّا كل الستات كده وهتحرق أعصابك على الفاضي.. همّا بيتفننوا في ده، ماتديهاش انت الفرصة. قالها هشام متأملاً ملامح وجهه التي بدأت تلين قليلاً، وقد لاح عليها التأنيب فقال:

- مش بالظبط يعني.. يعني هي سارة غلبانة و.. طيبة، بس مش عارف بتتعصب ليه بسرعة اليومين دول؟ إيه يعني لما أطلب منها شوية حاجات، ما أي زوج بيعمل كده. فرد هشام بينما تطلق عيناه سهام اللوم:

- يا مالك الستات فعلاً بتتعب، شغل البيت واهتمامها بيك مش حاجة هيّنة، مافيهاش حاجة لما تخفف انت عنها شوية، يعني لو محتاج كوباية مياه أو شاي مفيش مانع لو انت جبتهم لنفسك، والحاجات البسيطة اللي احنا الرجالة بنطلبها عمّال على بطال لو عملتها مش هتتعب انت في حاجة، وهتخفف عنها كثير، وبالتالي تعرف هي تفوق لك وتدلحك، وساعتها لو طلبت عنها مش هتقولك لا، بالعكس.. هيبقى نفسها تفرّحك بأى شكل.

أشاح مالك بناظره إلى الأعلى بتفكير، ثم ضحك وقال له:

- تصدق عندك حق.. هطبّق كلامك أما نشووف، بس شكلك خبرة.

- عايش مع ستّين في البيت بياكلوا دماغى لما بعمل الحركات دي.

- إيه ده؟! انت متجوز اتنين!
- ضحك هشام ملأ فمه وقال:
- لا يا جدع انت فهمت إيه! أنا بتكلم على مام... مرات بابا وأختي.
- آآه.

استمر الحديث بينهما وكأنهما أصدقاء زمن طويل، بينما أخذ أحمد وجنة سارة إلى الداخل، وبالتحديد إلى المطبخ؛ حيث هتفت جنة بعتاب صريح:

- فيه إيه يا سارة مالك؟ أول مرة تبقي عصبية كده، ما انت عارفة مالك وطبعه، وعلى طول بتعرفي تتحكمي في عصبيته وغضبه.

صاحت سارة:

- يا سلام! طب وبعد ده كله بقى مش من حقي لمرة واحدة أفقد أعصابي؟! كل إنسان ليه طاقة، وأنا مش جهاد يعني.
- عارفة يا حبيبي، بس انت كده لما بتتعصبي وتقلبي الرجل الأخضر فجأة ده هيسيب عنده انطباع وحش عنك هينسيه كل الحلو اللي بتعمليه، وكم ان هتفقدني حقك، وفجأة هيقلب عليك انت الترابيزة وتطلعي انت الغلطانة.

وافقها أحمد هاتفاً بينما كان يأكل شريحة من التفاح:

- بالظبط، وده اللي بحاول أفهمه لها.. احنا أساتذة في قلب الترابيزة، وهيطلّعك غلطانة لحد ما هتصدقني إنك فعلاً الغلطانة وتعتذريه كمان..
- اسأليني أنا.

قالها متلاعبًا بحاجبيه؛ فزمت سارة فمها بغضب، وصرخت به تهدده بالسكين:

- طب اخرج انتَ كمان من هنا بدل ما أرتكب جناية.
 - ابتعد خارجًا من المطبخ يقول بهزر:
 - شوف يا أخي البني آدم.. ياه! يعني خيرًا تعمل شرًا تعمل برضه.
 - ضحكت جنة، بينما كانت عينا سارة تطلق شررًا؛ فاعتدلت جنة وحممت
- قائلة:

- خلاص بقى يا سوو، بنحاول نفرفشك أهو، وأنا جاية مخصوص
 - عشانك.
 - وانتِ عرفتى منين صحيح؟
 - أحمد كلمني وقالي، وحضرة الطباط تكرر وجاني لحد هنا.
 - آه صحيح.. هو ازاي جه معاكوا.
 - كلمته أعرفه إن أحمد هيجيني، ومارضيش غير إنه بيعجي يوصلني
- بنفسه.

نكزتها سارة بلوؤم:

- يا بت.. هيج أيوه فعلاً الاهتمام مايطلبش.. بيعجي لوحده مع
- حضرة الطباط، مش المهندسين اللي بنتجوزهم و...

صمّت فجأة ووضعت يدها على فمها راكضة إلى الحمام تنقياً؛ فركضت
جنةً من خلفها تطرق الباب بقلق:

- سارة! سارة انتِ كويسة؟

خرجت سارة بعد دقائق مصفرة الوجه تترنح وتتأوه بوهن؛ فسألتها جنة
عما بها؛ فأجابتها:

- مش عارفة! بقالي يومين معدتي وجعاني، شكلي أخذت دور برد.

ابتسمت جنة بخبث وهمهمت:

- اممم.. دور برد.

تغضّن جبين سارة، لم تفتنّ إلى ما ترمي إليه جنة؛ فأردفت:

- طب يلاً ياختي خُدي انتِ العصاير والفاكهة طلّعيها لحضرة

الظابط، الراجل أول مرة ضيف في بيتنا يقول علينا إيه؟! بخلا! وأنا هعمل
حاجة سخنة أشربها.

وافقتها جنة وأخذت سلة الفاكهة وخرجت بها إلى حيث يجلس الشباب،
وتسلّلت إلى أذنّها سؤال مالك لهشام:

- ما قولتليش بقى يا هشام، انتِ خاطب؟

لا تدري هل توقف قلبها لحظة سماعها ذلك السؤال أم ما زال ينبض،
تسمّرت مكانها يتلهّف قلبها لمعرفة تلك الإجابة التي هو ربما لا يريد سماعها؛
ستكون مصقّلة إعدامه.

ارتبك هشام، لكنه أخفى ذلك بجدارة، ولاحظ وجود جنة بطرف خفي؛ فابتسم وردّ بملء فمه:

- لا.. لسه.

ثم نظر إلى جنة وقال:

- بس لو عندك عروسة حلوة وزى القمر ماعنديش مانع.

ابتسمت وارتاح قلبها، لكن قامت ثورته التي لا تهدأ في حضرته، واندفعت دماء الحياء إلى وجهها لتزيّنه بحمرته، ثم وضعت أمامهم الفاكهة ودلفت إلى المطبخ، وما إن توارت عن أنظارهم أخذت تضحك وتضحك، تضع يديها على وجهها تارة وعلى قلبها الخفاق تارة أخرى، ثم دلفت إلى المطبخ لتجد سارة قد أعدت مشروبها، وكادت تلقي بأول رشفة منه بفمها حتى أوقفها جنة صائحة وأخذت منها الكوب:

- يجرب بيتك بتعملي إيه؟

- إيه يا مجنونة فيه إيه؟ بشرب قرفة بالجنزبيل عشان معدتي تهدأ.

- لا، ده انتِ طلعتي غبية رسمي!

حدّقت بها سارة ببلاهة تنتظر توضيحًا؛ فعادت جنة بناظرها إليها:

- صبرني يا رب! يا هانم واحدة داخنة وعصبية ونفسها بتغم عليها كل شوية، ممكن أعرف دي أعراض إيه؟

تفكرت سارة قليلًا، ثم شهقت وقالت:

- إيه يا بنتي الي بتقوليه ده؟! لا يا شيخة مش معقول.

- هو إيه ده يا بت اللي مش معقول! انتِ مش متجوزة من ٣ شهور.
- أيوه بس برضه لا.. لا يا ستي لا.
- أمسكت جنة بمرفقها، وقالت بخفوت:
- هو إيه ده يا بت اللي لأ؟! انتوا.. يعني انتي ومالك...
- ضربتها سارة بخجل قائلة:
- بطّلي قلة أدب.. هو.. لأ.. مستحيل يعني.
- لأ ده أنا كده أنادي له بقى ييجي يشوف مراته بتقول عليه إيه،
ونفهم حوار لأ ومستحيل ده.
- خدي هنا رايحة فين؟ انتِ هتقوليني كلام ماقولتوش، غاية ما هناك
إني مش مستوعبة يعني احنا متجوزين من وقت قصير.. هو.. هو ممكن
يكون بجد؟
- تساءلت وقد التمع بريق بعينها؛ فردت جنة بابتسامة تداعب وجنتي
صديقتها:
- آه ممكن جداً، أنا أعرف ستات بيحملوا في أول شهر جواز عادي
يعني، بصي انتِ جيبي النهاردة اختبار حمل من الصيدلية واتأكدي.
- طب وأنا هطلع ازاي؟ ما أنا لو قُلت هجيب حاجة من الصيدلية
هيقولي يروح هو، وأنا مش عايزة حد يعرف من غير ما أتأكد.
- امم.. خلاص سيبها عليّا، عندي فكرة.

الفصل السابع عشر "قل لي ولو كذباً"

خرجت جنة من المطبخ تحمل الكؤوس، ومن خلفها سارة تمسك بزجاجات من العصائر المختلفة، تقابلت أعين العشاق المتلهفين منهم والمعاتبين؛ فكانت نظرة هشام تحمل من الوكّة أقصى مداه، والبريق الملتحم بعيني جنة قد شعّ حولها هالة من الهوى؛ لتصبح أميرة سقطت في شباك فارسها المغوار، بينما كانت حدقتا سارة تُطلق سهام العتاب المتوجّه بالحب إلى زوجها، أكثر من عشقته بحياتها، في حين أنه كان يتقبّل تلك السهام برضوخ تام؛ لعل يكون نزفه تكفيراً عن ذنب ارتكبه في حق حبيبته التي طالما أحبّها ولم يعرف كيف يعبر عن ذلك الحب؛ فدائماً وأبداً يشعر أن محاولاته اليائسة ستسيء إلى حبه وتقلّل من شأنه؛ فيؤثّر كتمانها معتمداً على لغة القلوب والأعين، فهما في ناظرية أعظم ما يمكنه الإفصاح عن ذلك الحب، لكن أليس هذا ظلماً لدور اللسان في التعبير عما يعترى الفؤاد؟! لم يلجمه ويقسو عليه كما لو أن ترجمة مشاعره إلى كلمات ستفقدّها قيمتها؟! ربما قد تأثّر بكاظم الساهر -و هو بالمناسبة مطربه المفضل-؛ فيودّ أن يردد لها:

فإذا وقفتُ أمامَ حسنكِ صامتاً فالصمتُ في حرمِ الجمالِ جمالُ
كلماتنا في الحب تقتلُ حبنا إنّ الحروفَ تموتُ حين تُقالُ

ولا يدري أنّ فؤادها يعاني من صمته متعطشاً لكلمات تروي حبها؛ فتزد
عينها:

قل لي ولو كذباً كلاماً ناعماً قد كاد يقتلني بك التمثالُ

لم يستطع أحمد مرورَ تلك اللحظات التي طالت دون شعورهم بها مرور
الكرام؛ فأخرج هاتفه والتقط صورة خلسةً يكرّس بها تلك اللحظة، وكان
يقصد بها مالك وسارة، لكن في خلفيّتها ظهر العشق المكنون بين هشام
وجنة، وما إن التقطت عيناه ذلك حتى ابتسم وارتفع بناظره؛ ليرافق نظراتهما
الحالمة؛ فحمحم قائلاً ليستفيق الجميع من أحلامه:

- احم احم.. طب إيه؟ هتحسّسونا بالعصير ده كثير؟

نكز هشام مالك مشيراً بطرفه كي ينهض ويفعل ما لقنّه له؛ فأوماً مالك
وحثّ خطواته ناحية سارة فأشرقّت شمس حبها، حاولت إخفاء ابتسامتها
وأشاحت بعينيها عنه، لكنه أجبرها على النظر بعينيها، ما إن أمسك بيديها
المثبتتين على وعاء العصير مداعباً أناملاً لتسري رجفة في سائر جسدها، تحثّ
قلبه على زيادة نبضه؛ لربما هناك هجوم عليه قد احتبست له الأنفاس
برثيتها؛ فشرع مالك في شنّ حبه فأخذ منها الوعاء المتبقّي بيدها ووضعها على
الطاولة، ثم قال:

- سارة! قدام الكل بقولك أنا آسف.. وبحبك.

شفق وجهها بحمرة الخجل؛ فشعرت بسخونته، واتخذت ابتسامتها
صحيح دربها إلى ثغرها؛ فضمها إلى صدره لتتخذ منه حصناً تحبّ به، وجهها

الذي أدركه الخجل والحياء تعتصر عينيها بفرح عارم؛ فالتفت مالك إلى هشام الذي غمز له كَمَن يقول "أي خدمة".

وبينما مضى الجميع في ارتشاف العصائر تنحنحت جنة وأردفت موجهة حديثها إلى هشام، لقد طالت لحظات تفكيرها في حجة للتذرع بها لتحادثه:

- صحيح يا هشام، هعمل إيه في موضوع امتحانات الميد ترم؟ دي فاتتني كلها.

- ماتقلقيش، أنا اتكلّمت مع عميد الكلية واتفقنا إنه نظرًا للظروف امتحاناتك هتكون أونلاين.

أخذ رشفة أخرى من كأسه، ثم قال بابتسامة:

- ماتقلقيش، أنا عارف إنها آخر سنة ليكي في الجامعة، وصدّقيني أنا أكثر واحد حريص على إنك تخلّصي.. احم قصدي تنهيه بتقدير عالي.

همهم أحمد:

- آه طبعا أومال!

رمقته جنة شزرًا؛ فألجم لسانه وأخرس همهمات، فضحك هشام من شراسة حبيبته.. نعم حبيبته؛ فقد رفع قلبه راية الهيام ولم يعد بوسعه الإنكار بعد الآن، لم يعد يستطيع بدء يومه إلا بعد رؤية كلماتها الصباحية؛ فيردها بحنين بالغ، لم يعد يعرف للتركيز دربًا إلا بعد الاطمئنان عليها، لم يعد بوسعه إغلاق جفونه قبل الاستماع إلى لحن صوتها العذب ينشد بأذانه حلو الكلام وأروعه.

لأول مرة لم ينزعج هشام من شكل العلاقة بين أحمد وجنة؛ فقد راقته له تلك العائلة تمامًا، حتى بات يشعر أنه جزء منها، لقد أحبَّهم بصدق وهذا ما لم يفعله مع الكثير.

هتف أحمد بمرح:

- طب إيه؟ مش ناخد سيلفي بقى بالمناسبة الحلوة دي؟

وافقه الجميع، وشرع أحمد في التقاط الصور إلى أن رفض أن يكمل باقي الصور وهو ضحية للسيلفي؛ فاتخذ هشام مكانه ضاحكًا، وهكذا أصبحت جنة بجانبه تمامًا يتوارى جزءٌ منها خلفه، وما إن اتخذت وضعيتها حتى بات جزءًا لا يتجزأ منه في الكاميرا؛ فالتقط هشام الصورة، والتي لفتت نظره على الشاشة، التفت إليها هائمًا بعينيه؛ فأشارت بحاجبيها بما يعني "ماذا هناك؟".

فعاد إلى وعيه، لكن لقد حدث ما حدث؛ فالتقطت الكاميرا الصورة عبر المؤقت دون أن يدري، أعاد الهاتف إلى أحمد وطلب منه إرسال الصور إليه.

في تلك الأثناء، وبينما انشغل الرجال بالحديث وإرسال الصور، وتبادل أرقام الهواتف، كان قد وصل طردٌ إلى المنزل بواسطة موظف التوصيل إلى المنازل، ضرب جرس الباب؛ فحدقت سارة بجنة؛ فأومأت بعينيهما، وراحت تفتح الباب قبل أن يستوقفها مالك:

- استتي يا جنة أنا اللي هفتح.

فتح الباب ليظهر له أحد موظفي التوصيل؛ فسأله:

- أيوه بس احنا ما طلبناش حاجة.

أشارت سارة بعصبية إلى جنة، فردّت من بين أسنانها بتوتر "طيب"، ثم لاحقت مالك قائلة:

- لا أنا.. أنا طلبته.

تغضّن جبينه استغرابًا، وأخذ الطرد وحاسب الرجل، ثم أعطاه إلى جنة متسائلًا:

- إيه ده يا جنة؟

ازدردت ريقها بتوتر وأجابت:

- هاه؟! حاجة.

- والله؟! هي دي إجابة المفروض.

- يووه.. هو تحقيق يا مالك؟ حاجة من الصيدلية.. و.. و..

استشعر مالك أن الأمر بات محرجًا؛ فأثر تغيير الموضوع قائلاً بحنو:

- خلاص يا حبيبتي.. تمام، أنا بس كنت بطمّن، انتِ عارفة الظروف اليومين دول.

ابتسمت بتردد، ثم قالت بسرّها:

- إيه الي أنا قولته ده؟! الله يخرب بيتك يا سارة.

مضى الوقت حتى زارهم الليل بشفقته؛ فعزم هشام على الرحيل مؤكدًا أنه سيوصل جنة إلى منزلها بسلام، وقد كان.

وبينما كان يودعهما الجميع، وقف هشام ينبه مالك بصوت خافت:

- زيّ ما اتفقنا بقى.. ماتكسفناش النهاردة.

- وعلى الجانب الآخر تكرر جنة على مسامع سارة:
- سارة، فهمتي هتعملي إيه؟ ويلاً ابقني بلّغيني النتيجة.
 - غادر هشام وجنة المنزل متجهين إلى سيارة هشام، حينذاك خفق قلبها؛ فبمفردها ستكون معه وبجانبه، ماذا إذا شعر بحبها الخفاق بقلبها؟!
 - جنة! جنة!
 - هاه... نعم!
 - نعم إيه؟ اركبي.
 - استقلت السيارة بعدما تدفق الدم إلى وجهها ليعلن لهيبه، وربما لهيب قلبها بعدما زاره الحب.
 - انطلقت السيارة ولم تكن المسافة بعيدة، فما كانت سوى بضع دقائق حتى يصلوا إلى المنزل، لكن جنة تفاجأت به يتخذ مساراً آخر قد يطيل المسافة؛ فتساءلت:
 - هشام! انتّ ليه مشيت من هنا، الطريق اللي جينا منه كان أقرب.
 - إيه؟ متضايقه من وجودك معايا ولا إيه؟!
 - أنكرت سريعاً:
 - لا لا أبداً.. أنا بس استغربت.
 - امم بصراحة حبيت أتكلم معاكي شوية.
 - لا تعرف ماذا دهاها فشفق وجهها؛ فأردف معقّباً بابتسامة:
 - شايفة لون السماء دلوقتي؟

- آه أحمر.. ده بيكون لون سما أكتوبر وقت الشفق، بحبه قوي.
- أهو وشك دلوقتي لونها بالظبط.
- زَيْنْت شفتيها بسمه رقيقة عذبة، وازدادت صفحة وجهها احمرارًا؛ فقالت:
- على فكرة يا هشام انت غلس.
- ضحك قائلاً:
- طب عيني في عينك كده.
- حدقت بعينه بتحدٍ، لكن ليتهما لم تفعل ذلك؛ فهاتان العينان السوداوان قد رمت بشباك سحرها الأسود على قلبها وعقلها؛ فلم تعد ترى غيره في هذا الكون، وكأن العالم تجمد من حولهما، صفّق بإصبعيه أمام عينيها كي تستفيق؛ فاعتدلت بجلستها بخجل ليقول:
- ماخرجتيش انتِ بقالك كتير.. أكيد ملّيتي، صح؟
- ملّيت جدّا.
- طب إيه رأيك ناخد جولة دلوقتي؟
- بس.. بابا وماما.. يعني ماقولتش لحد وممكن يقلقوا عليّا.
- لا ماتقلقيش مش هنتأخر، ممكن نللف في الحُصري، وأهو نبقي قرييين.

رحّبت بالفكرة وارتسمت البهجة على محياها؛ فركن هشام سيارته ونزلا يترجلان في الحي السابع حيث المولات الصغيرة والمقاهي تفوح منها روائح

النجيلة المختلفة، والمطاعم السورية والمصرية جنباً إلى جنب، فضلاً عن المربع السوري الذي ما إن وصله حتى هتفت جنة بابتهاج:

- الله.. الكنافة النابلسية بقالي فترة ماكلتهاش.. إيه رأيك أعزمك؟

ضحك هشام، وقال:

- ما عنديش مانع، مع إني أول مرة أجربها.

- صدقني هتحبها قوي.

- أكيد هحبّها طالما انت بتحبها.

ابتسمت وأطرقت برأسها خجلاً؛ فانتبه لما قاله مستطرداً:

- احم.. آه بس أنا اللي عازم.

لم ينتظر ردّها ودلف إلى المحل، وبعد دقائق خرج يحمل طبقين وأعطاهما أحدهما؛ فشرعت في تناولها بنهمٍ تتلذذ بكل قطعة تذوب بفمها، وهشام لم يكن بوسعه ألا يتأملها بابتسامة شغوفة، توقفت عن التهام الكنافة، ونظرت إليه متسائلة:

- ما بتاكلش ليه؟

- آه.. هاكل أهو.

تناول أول قضمة؛ فأشارت له بحاجبها بما يعني ما رأيك؛ فأجاب:

- امم، لذيذة.

مضت دقائق، وهما يتناولان الكنافة، حتى صاحبت جنة بشغف:

- واللا.. روايات، تعالى بليز أشوف إيه الجديد اللي نزل.

- أوك، تعالي.
- وقفت أمام أحد الباعة بالطرقات، وكان يفترش على طاولة مجموعة من الكتب والروايات؛ فأخذت تتنقل بينهم بعينين فرحتين؛ فأدرك هشام مدى حبها للكتب، حتى سمعها تسأل البائع:
- لو سمحت بكام رواية evil under the sun ؟
- ب ٤٥ يا آنسة.
- أبعدها هشام بإشارة منه وابتاعها لها، لكنه أطلال قليلاً عند الرجل؛ فأخذت تشبُّ على قدميها لترى ماذا يفعل، لكن قامته الفارعة لم تعطِها الفرصة، وما إن عاد إليها بادرت:
- لا انتَ عزمَتي على الكنافة وقولنا ماشي، إنما الرواية هتاخذ حسابها، و..
- توقفت فجأة حينما أدركت أن بيدها روايتين وليست واحدة؛ فطالعتها لتجد عنوانها "الآن أقول أحبك".
- ارتجف قلبها وطالعت به عينين هائمتين في ملكوت العشق؛ فلاحظت شفثيه بينما كان يقول:
- دي هدية مني ليكي، وأتمنى تعجبك و.. وأعرف رأيك.
- أومأت برأسها وقد دمعت عيناها فرحاً، وكأنها تقول "وأنا أيضاً أحبك".
- أخرجهما من تلك الحالة صوت موسيقى بدأت تطربُّ آذانها؛ فوجدا أنفسهما أمام مول زمزم، والذي كان يشهد حفلاً دعائياً يقام أمامه لإحدى

المنتجات الغذائية، فكان هناك كرافان يتكوّن من طابقين مفتوح السقف، يعتليه فريق من الموسيقيين يعزفون أشهر الألحان العربية منها والغربية، قديمة وحديثة.

التّفّ حولهم المارة؛ فوقها يتابعان بانبهار، أو بالأحرى كانت جنة تتابع العرض وهشام هائماً في عالمها، كأنها تختلف عن كل الأناس المحيطين به، كان يتصوّر لو بإمكانه الرقص معها على تلك الألحان وينزل عليها المطر ويحتفي الجمع من حولهما، لكنه سرعان ما استفاق مهمهما "إيه أفلام أبيض وأسود د؟!"، أخذت تصفّق، ثم فتحت هاتفها لتسجل فيديو لذلك العرض الممتع، لكن حال دون ذلك شاب طويل وقف أمامها؛ فحجب عنها الرؤية، حاولت رفع يدها أقصى مداها لكنها لم تعد تلتقط شيئاً، فوجئت بيد هشام تلامس يدها وأخذ منها الهاتف ليسجله لها، وبينما كان يشاهد العرض من خلال شاشة الهاتف تراءى له أمر مريب؛ فقام بتقريب المشهد وأدار الهاتف قليلاً إلى اليمين، اتسعت عيناه دهشة وأمسك بيد جنة وركض بها متّجهاً إلى سلّم المبنى التجاري خلفه -سنتر الأمريكية-، صُدمت لفعلته وتملكها الخوف؛ فارتجفت ساقها، ولم تعد تستطيع الركض بها على الدرج؛ فباغتتها هشام بحملها بذراع واحد وركض بها الدرج، ثم أنزلها لتختبئ تحت الدرج مباشرة، تعجّب أصحاب المحلات وبدأوا في الهمهمة؛ فأشار لهم هشام بالصمت معرباً أنه ضابط؛ فالتزموا الصمت، واعتلى هو قليلاً درجاً آخر من

الناحية الشرقية للمبنى، واختبأ خلفه ليصر أحدهم فتأكدت ظنونه، كان يراقبهما، وبعدما فقدهما أصبح عصبيًا؛ فأمسك بهاتفه ليتحدث قائلاً:

- كانوا قدامي وضيعتهم.

لم يسمعه هشام، لكنه ضليع في فهم حركات الشفاه، نزل مرة أخرى إلى جنة وأخذها ليركض بها إلى سيارته منطلقاً ينهب الأرض نهباً، لكنها لم تعد تحتمل عدم الفهم أكثر من ذلك؛ فأطلقت عليه وابلاً من الأسئلة:

- يا هشام قوليّ إيه الي حصل؟ كان فيه حد عايز يقتلني.. مش كده؟
- ماتخافيش يا جنة، اهدي، ما حدش هيمسك طول ما أنا عايش.
- يعني كان فيه حد فعلاً؟
- أيوه، بس ما كانش مستهدفك انت.
- تقصد إيه؟ إنه كان...
- أيوه، كان بيراقبني أنا.
- طب.. طب هو عايز منك إيه؟
- ماتشغلش بالك انت، أنا هعرف ازاي أتصرف معاه.

تجلّت أمارات الذعر والقلق على وجهها، وكأنها لم تكن خائفة على حياتها مثلما تخاف عليه الآن، لاحظ هشام خوفها والدموع المتحجرة في مقلتيها، والكلمات المتعثرة على شفاهها؛ فركن سيارته جانباً، والتفت إليها، في تلك اللحظة نسي الحدود والقيود، ومدّ يده لتضم يديها المرتعشتين؛ فنزلت

دموعها الساخنة على كفيه، مد إحدى يديه وكفّف دمعها برفق، ثم أردف بنبرة حانية:

- جنة بصي لي.. مش عايزك تخافى أبداً ولا تقلقي من حاجة، خلاص الموضوع قَرَب ينتهي.

- بس.. بس أنا مش خايفة من القضية ولا خايفة على نفسي.

- عارف.. عارف إنك خايفة عليّا زي ما أنا بترعب عليك.

ارتفعت بناظرها لتلتقي بعينه بخجل تمثّل في تورد وجنتيها؛ فقالت بتلعثم:

- يعني.. انت.. أقصد عارف..

"أيوه يا جنة عارف إن فيه في قلبك مشاعر ليّا، ومش هكذب عليك أنا أول مرة أحس الإحساس ده.. عارف إنك بتحبيني وأنا كمان... بحبك!"
كان ذلك الرد ما تتوقّ له روحه كي يخبرها إياه، لكن عقله نهاه عن ذلك، وعنّفه على تلك الحماسة؛ فأردف:

- زي ما قولتلك مش عايزك تخافى، عايزك بس تخلّي بالك من نفسك وتأخدي كل الاحتياطات اللي قولتلك عليها، توعديني بدّه؟
أجابته بتردد:

- أوعدك، بس برضه قلقانة عليك، افرض اللي بيراقبك ده فضل وراك و.. وبعد الشر حصل حاجة.

ازدادت دموعها في الانهار؛ فقال محاولاً تهدئتها:

- جنة، جنة! اسمعيني.. صدقيني يا ذن الله مش هيحصل لي حاجة،
أنا أعرف كويس امتي أتفادى الخطر وامتى أواجهه، انتِ مش واثقة فيّا ولا
إيه؟

غمرته بنظرة وَلِهٍ وقالت بابتسامة:

- بثق فيك أكثر ما تتخيل، بثق فيك أكثر من نفسي.

كانت كلماتها بمثابة خنجر اخترق قلبه، يعلم جيداً أنه ليس أهلاً لهذه الثقة،
فها قد غرس بقلبها وُزُود الحب، ولكن ماذا سيجني منها سوى شوكتها!

الفصل الثامن عشر

"اعتراف حب"

استقر هشام بسيارته أمام منزله بعدما وَّصَلَ جنة بسلام إلى بيتها، وأطرق دقائقاً قابلاً بمكانه يستذكر عينيها البريئتين، وابتسامتها الساحرة وضحكاتها الرنانة، هي بحق فتاة جذابة وفاتنة بكل ما تحويه الكلمة من معنى، يودُّ لو بإمكانه أن يجذبها إلى غياهب حضنه، ويخبُّوها عن أعين العالم أجمع، ابتسم.. ابتسم رغماً عنه؛ فسحر الحب لا يضاهيه سحر، ولا يطفئه شيء سوى إحساسك بالفقد أو الخوف من الفراق، فكان هشام يؤمن دائماً أن الحب ليس رواية في ختامها يتزوَّج الأبطال، وأن من يحظى بذلك فلا بد وأنه فريدٌ من نوعه يتمتع بحب خاص من خالقه، أو لعل الله يعوّضه عن حياة كانت تعيسة فبدّلها له من رحمته، يبدو أنه هو الآخر مولعاً بكاظم الساهر ليس مالك وحده، أو ربما نزار قبّاني.

دخل هشام وألقى السلام عليهم ليس إلا، ودلف مباشرة إلى غرفته لا يريد أن يفصله أحد عن عالمه السعيد الآن، فضلاً عن مراجعته لبعض الأمور في القضية ولا يحتاج إلى تعكير صفو مزاجه، إلا أن حنين ليس بوسعها مرور هذا بسلام؛ فلحقت به، وطرقت الباب، ثم دخلت قائلة وهي تمسك بوعاء من عصير البرتقال الطازج:

- إتش! أَصَبَّ لك عصير.

- لااا.. كفاية عصير بقى.. اعمليلي شاي يا حنين أحسن أنا خرمان.
- خرمان؟! ظابط وبيقول خرمان! سبت إيه للمجرمين بتوعك.
- كلمة زيادة هبيتك معاهم.
- ياه عليك انت صدقت! ده أنا بهزر.. أحلى كوباية شاي خمسينة والله.

خرجت وضحك هشام، ثم دلف إلى حمام غرفته ليغتسل ويبدل ثيابه، وما إن خرج حتى فوجئ بحنين تمسك بهاتفه تستكشف آخر مستجداته؛ فباغتها هشام يلف ذراعه حولها بقوة آلتها؛ فتأوهت؛ فأردف قائلاً من بين أسنانه:

- انت مش هتبطلّي العادة المنيلة دي؟ يا حبيبتي أنا أخوكي مش جوزك هاه!

- حاولت التملص منه، لكن دون طائل من ذلك؛ فقالت بلهجة مسكينة:
- يا إتش يا حبيبي بطمن عليك، غلطت أنا كده؟
 - ثم تحوّلت نبرتها إلى الجراءة ما إن استطاعت الإفلات من قبضته:
 - وبعدين تعالى هنا ماتغيرش الموضوع، مين الي متصور معاهم دول، والي انت حاضنها في الصورة دي وبتبص لها بكل عشق وهيام؟!
 - تجهّمت تعابيره استنكاراً، وقال:
 - عشق وهيام؟! فين ده ياختي؟
 - اتفضل يا بيه شوف.

تفاجأ هشام بصورة لم تكن في الحسبان، كيف التقط تلك الصورة دون أن يلاحظ، لكنها راقت له كثيراً؛ فأحياناً الصدف تكون خيراً من ألف تدبير، ابتسم والتمعت عيناه؛ فضحكت أخته بخبث، وقالت:

- أيوااا هي دي نفس النظرة والضحكة الي في الصورة، والي مستحيل أغلط في تفسيرهم.. هي إيه الحكاية يا إتش؟

- ولا حكاية ولا رواية يا اختي، روجي اعميلي كوباية الشاي يلاً.

- سلامة النظر يا هشام، الشاي أهوع الكومودينو.

- برد.. برد يا حنين.

- كده يا هشام؟ طب والله ما هتحرك من هنا غير لما أعرف كل حاجة.

قالتها وتربعت على فراشه، تضع يدها على خدها بتذمر طفولي، حالما وقف هشام واضعاً كلتا يديه في جانبيه ينظر لها استهجاناً؛ فكان يعرف أنها لن تتركه وشأنه حتى يُشبع فضولها، ولن ينكر أنه في حاجة للتحدث ومشاركة أحدهم ما يعمل بداخله، فقال على مضض:

- أمري لله.

اتسعت ابتسامتها وتعلمت في جلستها استعداداً لاستماعها، وجلس هو قبالتها وبدأ يسرد عليها:

- احم.. بصي يا ستي.. هو مفيش موضوع يعنى.. الحكاية بدأت في

قضية ماسكها هي اتورطت فيها بالغلط، وبعد كده لما اتأكدنا من براءتها

أفرجنا عنها، بس هي لسه فيه خطر عليها، ومعين عليها حراسة ومراقبة؛
فبضطر إني.. يعني أكلّمها وأكون على تواصل معاها.

- تضطر!

- آه.. يعني أطمّن عليه وكده، وساعات بقى بيطول الكلام، يعني
اتعرفنا على بعض وبقينا أصحاب.

- أصحاب!

- يعني مش أصحاب هو..

- امم طبعاً.. مفهوم مفهوم كمل!

ضربها بالسادة هاتفاً:

- ما هو عشان لسانك الطويل ده ماكنتش عايز أقولك حاجة، قومي بقى
من هنا.

- لا والنبي يا هشام.. خلاص أهو هسكت خالص، كمل بقى.

رفع كتفيه وأنزلهما بيأس تجلّى في نبرته:

- حبيتها.. حبيتها قوي يا حنين، مش متخيّل إني ممكن أكون لحد

غيرها.

ابتسمت حنين بفرحة أجبرتها على احتضان أخيها مما أثار تعجبه؛ فأردفت:

- فرحانة ليك قوي يا حبيبي.. كنت متأكدة إن هيجي اليوم اللي

يتخطف فيه قلبك وتحب وتعيش أجمل حياة مع واحدة تشوف نفسك فيها

بس.. بس لارا هتعمل معاها إيه؟

- لارا.. للأسف دي أكبر مشكلة دلوقتي، ومع ذلك أنا مديون ليها.
- ازاي بقى؟
- لأنني كنت متخيل إن الواحد مش شرط يتجاوز حد بيعبه وكفاية التفاهم وكده، لحد ما دخلت جنة حياتي، وقتها حسيت إنني بتلكك لـ"لارا" عشان أسيبها، رغم إنني ماضلمتهاش بس حسيت براحة كبيرة لما سيبتها، وقتها اتأكدت إنني مش هقدر أكمل حياتي مع حد قلبي ميت معاها، مايدُقش أول ما يشوفه، مايرتاحش في وجوده، مش بيهرب منه والشغل بالنسبة له رحمة عن وجودها.
- بالظبط يا هشام، وده اللي غلّبت أفهمهولك قبل ما تخطبها، قولتي الكلام ده البنات بس اللي بتحسّ بيه ومُحَن ومعرّش إيه.. أزيّ الحال دلوقتي؟
- زم فمه استنكارًا للوضع؛ فاستطردت:
- طب بص يا إتش.. انت عارف ماما بتحبك قدّ إيه، مستحيل تعرف إن فيه في قلبك بنت تانية وتجبرك تتجاوز واحدة ما بتحبهاش.
- مامتك بتحبني صحيح، بس ماتنسيش قدّ إيه هي متعلقة بـ لارا وبتحبها، دي من ساعة ما كانت لسه في ثانوى وهي عمّالة تقولهم لارا لهشام.. منيرة عملت عشاني كتير وهي اللي ربّنتي بعد بابا الله يرحمه، وغلّبتها كتير، مش هقدر دلوقتي أكسر قلبها وأتعبها وأخليها تنفّذ حلفانها وتسبب البيت اللي عاشت عمرها فيه.

شعرت بالأسى حيال أخيها، فلو كان ابناً لمنيرة من رحها لما كان يقدم مثل تلك التضحية عرفاناً بجميلها عليه، تساءلت حين، وقد شق الألم صوتها:

- طب انت اعترفت لها بحبك؟
 - مابقاش ينفع يا حنين، مش عايز أعلّقها بيّاً لدرجة تخليها ماتنساك الوجود الي هتسبّب لها فيه.
 - وفكرك إنها كده مش هتتوجع، وهتسناك بسهولة؟! بص يا هشام..
- الواحد ممكن ينسى مواقف بسيطة جداً أو ينسى الألم لفترات مؤقتة، لكن الشرخ الي بيحصل في القلب عمر الزمن ما هيداويه، عارف.. حتى لو هي اتجوزت حد تاني وحبّها أضعاف ما انت حبيتها برضه مش هتسناك ولا هتبتّل تلومك على شخصيتها الي هتتغير فيها حاجات كتير بسببك، حتى لو حصل أي مشكلة بينها وبين جوزها أو حبيبها هتلومك انت عليها رغم إنك طلعت من حياتها.. الوجود ده أكبر من إنه يتداوى يا هشام، والي اتسبّب فيه هو بس الي يقدر يجبره.

حدقت بنظراته المتألّمة؛ فتابعت:

- صدّقني يا هشام عمرك ما هتتخلص من الذنب ده ولا هتقدر تنساها، أصلاً هتساها بمين؟ بـ لارا؟! الي انت مابتطيقهاش، وعلى الرغم من كده حتى لارا هتبقى ضحية في لعبتك رغم إننا عارفين هي عايزة تتجوزك ليه.

نهض هشام بعصبية هائفاً:

- انتِ عايزاني أعمل إيه دلوقتي؟ أنا مش عارف إيه الي دخلي في دوامة الجواز والحب والقرف ده، أنا كنت مركز في شغلي ومرتاح وشاري دماغي، إنما دلوقتي هرکز في إيه ولا إيه؟ شُغلي أهم من الهبل ده. حنين مستنكرة:

- بجد يا هشام؟ شغللك أهم؟! بأمانة إنك مابتقدرش تشتغل ولا تعمل أي حاجة قبل ما تسمع صوتها وتطمئن عليها، وده كلامك على فكرة أنا ماجبتش حاجة من عندي.. المسدجات الي بينك وبينها المكالمات الكثير، خروجك معاها وحمائتك ليها.. كل ده أكبر من إنه يتدفن وتقول هقدر أكمل من غيرها، كان جايز ده يحصل بس قبل ما تعرفها وتتعلق روحك بيها. كاد يرد، لكن باغتهما منيرة ودلفت إلى الغرفة قائلة:

- إيه صوتكوا على ليه؟

رمى هشام حنين بعتاب، ثم قال:

- لا أبداً يا منيرة مفيش حاجة.

- طب يا حبيبي بص بقا.. أنا ظبطت مع العروسة وأهلها كل حاجة وهنعمل الخطوبة في قاعة Hola الي جنبنا، وفاضل بس تروح تدفع لهم الحجز وتتفق معاهم على الحاجات الي عايزينها، وماتقلقش عاملين قايمة بكل ده.

- اختنقت حنين من ذلك الحديث ومادّت تنفجر من غيظها؛ فهتفت:
- بس يا ماما هشام..
- رمقها هشام بتحذير، وهز رأسه نفيًا؛ فقالت منيرة:
- ماله هشام؟ ما تكملي سكتي ليه؟
- لا يا ماما، أقصد إن هشام مشغول في مأمورية ومش فاضي للكلام ده.
- ثم قال لسان حالها "فعلاً هو في مأمورية يا ماما، مأمورية حب، ويا إما ينجح فيها ويستريح طول عمره، يا إما يتعب ويتعب اتنين تانيين معاه."
- اعتذر هشام قائلاً:
- بعد إذنكوا عندي مكاملة شغل مهمة.
- خرجت منيرة وحنين من الغرفة؛ فالتقط هشام هاتفه واتصل برقم منتظرًا حتى أتاه الرد:
- ألو.. هشام باشا.
- لازم تتقابل ضروري.
- حصل جديد ولا إيه؟
- البيه كان بيراقبني عشان يضر بني بعد محاولته الأولى ما فشلت.
- أوف.. أنا كمان بناءً على المسار اللي قولتلي أمشى فيه وصلت لمعلومة جديدة، أظن هتعجبك وحتلّ لغز كبير في القضية.
- تمام، هستناك في مكاننا الساعة ١٢، واناكد إن محدش مراقبك.
- تمام يا فندم ماتقلقش.

في شقة أخرى بالزمالك:

- قولتلك لو انت مش قدّها سيّبي أنا أعملها.
- كارولين بلاش الأسلوب ده معايا.. كانوا قدّامي وكنت مستني لحظة زحمة عشان ماتكشّفش، وخلاص هضرب لكن فجأة اختفوا.
- أوف أوف.. وبعدين أنا هفضل هنا كثير؟ اسمعني.. أنا هنفذ مهمتي والي هيفكر يعترض طريقي مالوش عندي غير الموت.
- انت هبلة! انت بتعادي جهاز أمن وطني، يعني مش هتطلعي منها سليمة.
- لا شكلك انت الي ناسي إني جيت هنا قبل خمس سنين وطلعت بكل سهولة.
- آه، وأول ما دبّت رجلك البلد تاني بشخصية تانية وجنسية تانية وشكل تاني عرفوا برضه بكل سهولة.
- بالضبط، ياريت انت تفهم ده، أنا أقدر أنزل الشارع وأعمل كل الي أنا عايزاه كأني سائح عادي، ومحدث يقدر يتعرّض لي، ولو حصل.. في ظرف دقائق سفارتي هتخرّجني.
- طيب اديني آخر فرصة، ولو ماحصلش ابقي اعملي الي انت عايزاه.
- قدّامك لحد بكرة، بس مش أكثر من كده.
- ماشي.. سلام.
- مع السلامة يا.. حضرة الظابط.

في شقة مالك، كانت سارة في حمام غرفتها تمسك باختبار الحمل، يلكر قلبها
أنحاء صدرها بنبضاته متلهفًا لمعرفة النتيجة، مترددة هي في إجراء ذلك
الاختبار، ماذا ستفعل وكيف ستكون ردة فعلها في حال إن كانت النتيجة
إيجابية؟!

كان مالك وقتئذٍ يحضر لـ ليلة رومانسية؛ فأشعل الشموع الفواحة بعبق
الحب؛ فيشتعل لهيبه بقلبه فيناديها:

- سارة حبيتي، يلاً بقى.

جلس على حافة سريره وأمسك هاتفها ليغلقها، في تلك الأثناء كانت
سارة تقف أمام مرآة الحوض تطالع وجهها الملهب بعينين مثبتتين وقلب
مرتجف، ليأتيها صوت مالك ثانية:

- يا ساسو، إيه يا حبيتي كل ده؟

فتحت باب الحمام وخرجت منه تسير كالإنسان الآلي بوجه خال من
التعابير، إلا من الرهبة وكأنها صرعتها قط في ليلة مظلمة، انتبه مالك لتغيرها،
انتفض من مكانه متسائلاً بقلق:

- سارة مالك؟ انت كويسة؟

لم ترد وظلت على وضعها كالصنم؛ فأعاد السؤال على مسامعها ثانية؛
فردت آلياً:

- أنا حامل.

- هاه!
- انتابتها فجأة نوبة ضحك وفرحة عارمة تجلّت في دموع عينيها:
- أنا حامل يا مالك.. حامل.
- لم يعرف كيف يرد؛ فالدهشة وعظمة المفاجأة نالت منه؛ فأخذ قلبه ينتفض بين ضلوعه فرحاً مردداً:
- حا.. حامل؟! انتِ بتكلّمي بجدة؟
- هزت رأسها بإصرار وفرح، ولم تشعر بنفسها سوى وهي بين ذراعيه بعدما ارتفعت إنشأت عن الأرض، وأخذ يدور بها محتضناً حبيبته وقرة فؤاده يضحكان ويضحكان، فما كانت البهجة والفرحة تسعهما، أنزلها مالك متسائلاً:
- بس انتِ عرفتي اّاي؟
- امم.. من اختبار الحمل ده يا سيدي، جنّة طلبتهولي النهاردة من الصيدلية.
- آآه هو ده الأوردري اللي قالت إنه ليها.
- أومات بفرح؛ فاحتضنها مالك مقبلاً جبهتها، ولثم شفيتها بقبلة حارة مردداً:
- بحبك بحبك يا أغلى حاجة في حياتي.. عارفة؟
- امم؟

- البيبي اللي هيجي ده إن شاء الله هحبه أكثر حاجة في الدنيا، عارفة ليه؟
- أكيد عشان هو ابنك.
- لا.. عشان هيكون حنة منك، ونفسي يكون شبهك في كل حاجة، شكلك وملاحك وشخصيتك، عايز لما أحضنه أحسك فيه.
- ابتسمت بخجل وتداخلت معه في عناق عنيف جعل منهما جسداً واحداً
بروح واحدة، وراح مالك يتساءل:
- ها هنسميه إيه بقى؟

- في تمام الثانية عشر صباحاً، خرج هشام من البوابة الخلفية للمنزل متخفياً في جنبات الظلام، وبعدما خرج إلى الشارع الرئيسي استقل تاكسي، أخذه إلى العنوان المرغوب حتى استقرت السيارة أمام عمارة مألوفة.. شقة المنيل!
- دلف هشام إلى تلك الشقة ليجد هناك من ينتظره:
- هشام باشا!
 - اتأخرت عليك؟
 - لا أبداً أنا لسه واصل.. اتفضل يا فندم، ده تقرير بكل المعلومات اللي أمرتنى أجيبها.
 - أخذ هشام يقرأ تلك التقارير وقد التمتع عيناه، فأخيراً سيمسك بالمجرم الذي أرقه شهوراً معتقداً أن لا أحد سيكتشف جرمه الذي أصبح سلسالاً من الجرائم لن ينفد منها.

استأنف الآخر:

- بس إيه الجراة اللي هو فيها دي يا باشا؟ يحاول قتلك مرتين!
- لما روحك تبقى في إيد حد، عينك بتتعمي عن كل شيء حواليك، إلا حاجة واحدة بس.. إنك تخلص منه.
- طب والخطوة الجاية إيه يا فندم؟
- تنهّد هشام مرددًا:
- الخطوة الجاية! اسمع يا سيدي...

الفصل التاسع عشر

"محاولة اغتيال"

في صباح اليوم التالي، استيقظ هشام، واستعد للخروج إلى عمله مارًا بمنيرة:

- أنا نازل يا حبيبتى عايزة حاجة؟
- عايزة سلامتك يا ابني، خلي بالك على نفسك.
- قالتها بنبرة قلقلة فعاد لها هشام بملامح مستفهمة:
- مالك يا منيرة؟ حاسس فيه حاجة.. انتِ تعبانة؟
- لا يا حبيبي، أنا بخير بس...
- بس إيه يا حبيبتى؟ قولي!
- مش عارفة.. قلبي مقبوض، مش مطمئنة وقلقانة عليك.
- أمسك بيدها وقبلها قائلاً بحنان يطمئنها:
- ماتقلقيش يا حبيبتى، واستعيذي بالله من وساوس الشيطان وكل حاجة هتبقى تمام إن شاء الله.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ربنا يحميك يا حبيبي ويحفظك.
- أمّن هشام على دعائها وودّعها مغادرًا، لا ينكر ما اجتاح قلبه من قلق، فلم يقلق قلب أمّ هباءً بلا داع.

خرج من المصعد يعدّل من هندامه حتى بات عند مدخل العمارة التي تركها البواب بلا حراسة، فراح هشام يبحث عنه، وما كاد يستدير عائداً بعدما أخفق في إيجاداه بالداخل حتى تلقّى عياراً نارياً دوى صده في المنطقة بأكملها.. سقط هشام محاولاً الصمود للحظات حتى ظهر البواب، وما إن رآه على تلك الحالة هرع وفرع صائحاً:

- هشام باشا هشام باشا.. يا خبر أسود أعمل إيه؟ آه.. البوليس.. لا الإسعاف.

أنقذه من حيرته حارس العمارة المجاورة، والذي كان يبحث عن مصدر الطلق الناري:

- يا نهار مش فايت مين ده؟ ده ساكن في العمارة؟
 - أيوه ده ظابط، ساعدني نرفعه وناخده على المستشفى.
 - نرفع مين ونودّيه فين؟ انت عايز تودّينا في داهية؟ دي جريمة قتل، لازم نتصل بالإسعاف ومانحركوش من مكانه.

لم يفتأ ينتهي من حديثه حتى ظهرت منيرة بملابس البيت، تبدو في حالة من الهلع جعلتها تتعثّر في خطاها، حتى ما أبصرت هشام مسجياً على الأرض غارقاً في دمائه؛ فأطلقت صرخاتها ودموعها:

- هشام! ابني.. اتصرفوا بسرعة، اطلبوا الإسعاف.
 - اطمّني يا حاجة طلبناها، وفي أقل من خمس دقائق هيكونوا هنا ماتقلقيش.

أخذت منيرة تبكي وتنوح تحتضن ابنها حتى أغرقتها دماؤه، تهتف بقلب أمّ ذبحه خوف الفقد:

- قوم يا ابني ماتوجعش قلبي عليك.. قولتلك ماتنزلش قلبي مش مطمّن.. انت حتّة من قلبي وبحس بيك، امتى هتفهم ده؟ هتفضل تغلّبني كده على طول؟ طب طب قوم واعمل فيّا اللي انت عايزه.

شعرت بماء ساخن يتلمّس كفيها؛ فكانت دموعه المناسبة بألم، التي ما إن رأتها منيرة مسحت دموعها آملة في نجاته؛ فها هو يسمعها، جعلت تحتضنه برفق حتى لا تزيد من ألمه، تسلّل إلى أذنيها صوت سرينة الإسعاف وقد أفسح لها الجمع -الذي التّفّ حول العمارة- الطريق لتستقر أمامها، ونزل منها المسعفون ونقلوه إلى داخل السيارة ورافقته منيرة، حاول الطبيب إسعافه حتى وصلوا إلى المشفى وأدخلوه غرفة العمليات على الفور.

في منزل جنة:

كانت جنة منكبة على كتبها استعدادًا لخوض امتحانها الإلكتروني، ارتفعت بظهرها عن مكتبها وفردت ذراعيها تطلق ظهرها من آلامه، أمسكت بهاتفها لتفقده، ثم همهمت: أوووف، معقول؟ هشام لحد دلوقتي ماردّش على المسدج بتاعتي... امم يمكن انشغل ولا حاجة، لا بس أنا بعتها له قبل معاد شغله.. طب خلاص ربّي عليه وشوفيه فين.. تمام جدّا.

قامت بالاتصال به تنتظر بلا رد؛ فأثار ذلك حنقها، حاولت مرة أخرى لكن دون طائل من ذلك؛ فعزمت على الاتصال به في وقت لاحق محتسبةً أنه ربما يكون لديه عمل هام وانشغل به، لكنها مع ذلك لم تستطع منع ذلك الهاجس الذي اجتاحت قلبها ينبؤها بأمر ما لم تعرفه ربما يكون خطيراً، استذكرت ما حدث في اليوم السابق؛ فنهضت عن مقعدها بقلق لهثت له أنفاسها "يا ربي! ممكن يكون حد أذاه؟ معقول يكون في خطر؟ أو.. أو حصل له حاجة؟! لا لا لا.. اهدي يا جنة، إن شاء الله مفيش حاجة.. إن شاء الله".

حاولت تهدئة نفسها ومضت تتصل به تهتف بعصبية "رد بقى يا هشام".

في تلك الأثناء دخلت والدتها فأغلقت جنة الخط، لاحظت والدتها تغير وجهها فتساءلت:

- حبيبتي انتِ كويسة؟

- آه.. آه يا ماما الحمد لله.. الحمد لله.

ردت الوالدة بعدم اقتناع:

- طيب يا حبيبتي كنتِ جايالك الفطار، انتِ ماكلتيش حاجة من ساعة ما صحيتي.

- شكرًا يا ماما تسلم إيدك.

وضعت منال صينية الإفطار، وخرجت من الغرفة، ومن ثم عاودت جنة الاتصال بهشام.

في المشفى، وصلت حنين تركض فزعة مع زوجها، تتلاشى أمامها الرؤية بفعل دموعها، حتى أبصرت والدتها وشخص آخر لم تدرك كنهه.

- ماما ماما! ماله هشام؟ حالته إيه؟ هو كويس، صح؟

منيرة وما زالت تبكي:

- مش عارفة حاجة، لسه في أوضة العمليات.

- أنا النقيب جمال، بشتغل مع هشام بيه في الجهاز.

قالها مصافحاً عماد، والذي بدوره ردّد بدهشة:

- جمال؟!!

- آه، هو حضرتك تعرفني؟

- لا لا أبداً، أقصد ليّا الشرف.. طب هو إيه الي حصل؟ ازّاي

اتصاب ومين الي عمل كده؟

- للأسف، مش عارف أي حاجة.. أنا اتّصلت بيه بالصدفة ومدام

منيرة الي ردّت عليّا وقالتلي الي حصل.

حينذاك خرج الطبيب من غرفة العمليات؛ فهرع الجميع نحوه متسائلين؛

فاوماً بيده كي يهدأوا، ثم قال:

- مفيش داعي للخوف، صحيح الرصاصة لو كانت اتحرّكت سستي

واحد كانت هتبقّى في مكان خطر جدّاً، بس الحمد لله أصابت الكتف وبعمق

مش كبير، وقدردنا نسيطر على الوضع.

تساءلت حنين بخوف:

- طب هو حالته خطر يا دكتور؟
- لا لا أبدًا اتطمّنوا هو يقدر يخرج بكرة، بس طبعا مع الراحة التامة، هو دلوقتي هينقلوه غرفة الاستفاقة ماتقلقوش، بعد إذنكوا.
- شكره جمال وعماد، ثم ضمّ الأخير زوجته بحنان هامسًا:
- ماتخافيش يا قلبي، إن شاء الله هيبقى كويس.
- تنهدت حنين بارتياح ومسحت دمعها، ثم توجهت إلى منيرة لتجدها ساجدة حمدًا لله وما زالت تبكي؛ فحاولت تهدئتها قائلة:
- اهدي بقى يا حبيبتى، هو الحمد لله بخير.
- مش ههدا ولا هرتاح غير لما أشوفه قدامي فايق ويبتكلم معايا.
- ضمتها حنين بجزع، وراح عماد يحاكرها بسبيله المعتادة حتى يخرجها من حالتها تلك.
- انتقل هشام إلى غرفته وقد استعاد وعيه بالكامل، حتى جثّت منيرة بجانبه ولم تعد تستطيع كَبَتْ دموعها من الانهيار؛ فطالعها هشام بوهن وأمسك يدها قائلاً:
- خلاص بقى يا حبيبتى أنا كويس والله.
- الحمد لله يا حبيبي.. الحمد لله قدّر ولطف.
- دخلت حنين راكضة، واحتضنت أخاها بعنف؛ فصرخ ألماً هاتفاً بتبرم:
- يا بت انت عايزة تموتيني!

- بعد الشر عليك يا إتش، وبعدين ماكاتبش حته رصاصة في كتفك، قوم بلاش دلح.
- نظر لمنيرة وأشار بإصبعه على حنين قائلاً:
- شايقة بنتك الي ما اتربتش.
- همست منيرة في سرها:
- ما هي تربيتك.
- إيه؟
- لا يا حبيبي بقول عندك حق.
- أيوه، عشان لما أزرعها كفّ ماتبقيش تزعلي.
- ضحكت منيرة وحنين، ثم تدخل عماد قائلاً بدعابة:
- لا ما أسمعكش تقول كده على مراقي، وبعدين ترزع مين كف؟
- هي مالهاش راجل يدافع عنها ولا إيه؟!
 - رد هشام متوعداً:
 - آه.. طيب أما أطلعلكوا من هنا بس.
 - طرق باب الغرفة؛ ففتح عماد ليدخل جمال مردفاً:
 - حمداً لله على السلامة يا هشام بيه.
 - الله يسلمك يا جمال.. تعبّتك معايا.
 - تعبك راحة يا فندم، المهم إن حضرتك تقوم بالسلامة.

حينذاك طلب هشام من الجميع أن يتركوه بمفرده مع جمال ليتحدثوا في أمور حساسة تخص العمل، وقد كان، إلا أن حنين فضولها كان يقتلها، تشعر أنها سيتحدثان عمّن قام بتلك الفعلة وضرب أخاها؛ فأخذت تُلقِي بأذنها على باب الغرفة، إلا أنها لم تسمع شيئاً؛ فأخذ عماد يضحك ضارباً كفّاً بكف، حالما قالت منيرة:

- يا بنتي ارحمي نفسك، ودُنِكِ طولتِ بقت شبرين.
- يوووه بقي يا ماما حاضر، أنا أصلاً مش سامعة حاجة.

- شُفت يا جمال.. الندل عمل إيه؟
- حضرتك متأكد يا فندم إن سامر هو اللي ضربك بالنار؟
- هيكون مين غيره!
- عندك حق يا فندم، أنا مستغرب من جبروته.
- المهم دلوقتي.. عايزك تراقبه زي ضلّه، وتراقبه بنفسك، واوعى يحسّ بأي حاجة يا جمال، لازم نخلص من الموضوع ده في أقرب وقت.
- اعتبره حصل يا فندم.. بعد إذنك.
- اتفضل!
- ما إن خرج جمال من الغرفة حتى التقى بسامر؛ فامتقع وجه الأول إلى العداء، لكنه حاول عدم إظهار ذلك، ريثما بدأ سامر الحديث:
- جمال، هشام بيه حالته إيه دلوقتي؟

- رد جمال على مضض:
- بخير.. بخير جداً الحمد لله، ما قولتليش انت كنت فين كل ده من ساعة بلّغتكَ بالي حصل؟
- تردد سامر قائلاً بتلعثم:
- أنا.. أنا كان عندي شغل ضروري، خلصته وجيت على طول، بعد إذنك بقى هروح أتطمّن عليه.
- حدق به جمال بحاجب مرتفع، وقال:
- إذنك معاك، اتفضل!
- عاد الجميع مرة أخرى إلى غرفة هشام بعدما تركوه يأخذ قسطاً من الراحة، كانت منيرة تتكبّد العناء في جعله يتجرّع العصائر لتعويض ما فقدّه من دماء؛ فصاح مستغيثاً:
- يا منيرة هو الجلوكوز المتعلّق ده مش مالي عينك، حرام عليكى أنا نفسي جَزَعَت من العصير.
- اشرب وانت ساكت، وإلا..
- لم تعدل منيرة عن معاملته كونه طفلاً كما كانت تفعل منذ صغره؛ فتسقيه الحليب غصباً، حتى أنه في كثير من الأحيان كان يتقيأ، لكن اهتمامها بأمر تغذيته لا يجعلها ترى مثل تلك الصغائر.

حينذاك دلفت لارا ووالدها بلهفة مصطنعة، ومضت الأولى نحو هشام بقلق متكلف قائلة:

- هشام بيبي.. انت كويس؟ أول ما عرفت كنت هموت من القلق عليك وجينا على طول، طمني عامل إيه؟ والرصاصة جات فين؟ آه شكلها في دراعك طب...

أغمض هشام عينيه مستجيراً من حديثها الذي لا يتوقف، حتى أوقفه بنفسه:

- أنا كويس يا لارا.. ماكانش فيه داعي تقلقي وتتعبني مامتك.
- مفيش داعي أراي بس يا بيبي؟ هو أنا عندي أغلى منك، ولا إيه يا ماما!

- طبعاً، وبعدين يا حبيبي ده انت منّا، وهتاخذ بنتنا، يعني غالي عندنا، ربنا يشفيك يا رب.

في خلال تلك الأحاديث التي لم ترق لحنين لاحظت إضاءة شاشة هاتف هشام؛ فأمسكته لتجد المتصل جنة، أخذت الهاتف خفية وخرجت به لترد عليها؛ فتسمعها تقول:

- انت فين يا هشام؟ حرام عليك كنت هموت من القلق، فكّرت بعد الشر حصلك حاجة.

- لا أنا مش هشام، أنا حنين أخته.

- أطبقت جنة عينها بحرج تعصّ على شفتها السفلى، ثم قالت:
- احم، آسفة.. هو هشام نبيي تليفونه؟
 - لا، هشام في المستشفى...
 - إيه في المستشفى ليه؟ حصل له إيه؟ طب هو كويس، صح؟ انت مابترديش ليه؟

حنين في نفسها "هي ماها قلبت على لارا كده ليه؟! بس على قلبي زي العسل، أحسن من الحراية الثانية دي."

- طب اديني فرصة أفهمك.. هو الحمد لله بقى كويس، حد ضربه بالرصاص وجات الطلقة في ذراعه.
- طب.. طب هو في مستشفى إيه؟

أعطتها حنين اسم المشفى وأغلقت الخط، ومن ثم راحت جنة تفكر باضطراب كيف يمكنها الذهاب إلى المشفى؟ وماذا ستقول لوالديها؟ وكيف وماذا؟! الكثير من علامات الاستفهام تجول برأسها، حتى وجدت شخصًا واحدًا يمكنه إنقاذها من ذلك الموقف.. "أحمد".

وصل أحمد وجنّة إلى المشفى، وما كاد يركن الأول سيارته حتى نزلت منها جنة وسبقته إلى الداخل، تسأل في الاستقبال عن غرفته، ومن ثم ابتلعت قدماها الدرج حتى وصلت إلى غرفته.

دخلت جنة غرفة هشام بخوف ينهش في قلبها، ومن خلفها أحمد الذي يلهث راكضاً الدرج، زفر حنقاً من تسرعها؛ فهي حتى لم تطرق باب الغرفة قبل أن تصبح بداخلها، تسمّرت عيناها المغرورقتان على هشام الممدّد على فراشه يتحدث مع عماد، وبجانبه حنين التي ما إن رأتها حتى اتجهت نحوها مرحبة، لكنها ركضت نحوه باكية وأمسكت بيده هاتفة بكلمات مبعثرة على شفاه مرتجفة من بين شهقات نحيبها:

- هشام انت كويس؟ إيه الي حصل؟ ومين عمل فيك كده؟ الي كان براقبنا امبارح، صح؟

أوما بعينيه مطمئناً، وربت على كفيها المحتضنتين كفه قائلاً:

- اهدي يا جنة اهدي.. أنا كويس والله ماتخافيش.

مد يده ليمسح دمعها المترقق على خديها، حينذاك دلف أحمد وحمحم؛ فتحته هشام على الدخول؛ فأردف الأول:

- حمداً لله على السلامة يا هشام.. الحمد لله إنها جات على قدّ كده.

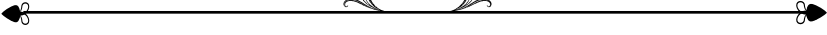
- الله يسلمك يا أحمد.. أعر فكوا حنين أختي، وده عماد جوزها.

صافح أحمد عماد، بينما اتجهت جنة إلى حنين قائلة بحرج:

- انت الي رديتي علياً وعرفتيني الي حصل.. أنا آسفة إني دخلت كده

من غير ما أسلم عليك، بس..

حينئذ لم يعد هشام بحاجة سؤلها عمّن أخبرها بالحادث؛ فأخته كفيلة بذلك.



ربت حنين على كفيها، وقاطعتها قائلة:

- ولا يهملك يا حبيبي، أنا فاهمة ومبسوطة إني اتعرفت عليكى.

- الله وإيه كان؟!!

جاءهم ذلك الصوت الساخر ليتفاجأوا بـ "لارا" لدى الباب مع والدتها وميرة.

أجفل هشام وأطبق جفنيه متنبئًا بكارثة محقق حدوثها؛ فقال بعصبية:

- لارا!

أومات تلوي شديها ملية النداء بانتقام:

- قلب لارا.. أومرني يا حبيبي.

سقط قلب جنة من مكانه يحاول عقلها فهم ما يحدث، من هذه وكيف تحادثه بتلك الحميمية؟ تذكر أنه أخبرها أن لديه أختًا واحدة، فمن تلك إذن؟ أخرجتها من تساؤلاتها بلهجتها الساخرة المضجرة:

- وانتِ بقى داخله يا هشام يا هشام، ممكن أعرف انتِ مين؟

تلعثمت جنة ولم تعد تعرف كيف وبم ترد؟! هل تخبرها من هي أم عليها رد السؤال؛ فهي في أمس الحاجة لتكذيب ما يجول بخلدها، وكأن لارا قد سمعت ما تفكر به فقالت:

- آه شكله القطّ أكل لسانك ومش عارفة تقولي انتِ مين، أعرفك أنا بنفسى.

هشام بعصبية:

- خلاص يا لارا.

- لا مش خلاص.. أنا لارا خطيبة سيادة الرائد.

جنة بصدمة:

- خطيبته!

أشاحت لارا بيدها اليمنى قائلة:

- آه مخطوبين من كذا شهر، والدبلة أهى عليها اسمه، مش بتعرفي تقري برضه.

-لارا، اخرسي بقى!

قال هشام صائحًا بينما كانت جنة متسمرة في مكانها كتمثال أصم ليس به حياة، فلم تعد تسمع سوى صوت دقات قلبها التي كانت على وشك التوقف، هل ما سمعته صحيحًا أم أنها تتوهم؟ إذاً لماذا لا ينكر حديثها؟ لماذا لا يقول شيئًا.. هذا يعنى أنها على حق؟! انسكبت دموع عينيها على وجهها، فلم تكتف لارا من ذلك، واستأنفت:

- وخطوبتنا بعد أسبوع، تشرّفينا والله.

تملك الغضب من أحمد فلم يعد يحتمل أكثر من ذلك؛ فأمسك بيد جنة وجذبها ليخرجا، وقبل أن يفعل التفت إلى هشام قائلاً بسخط:

- من النهاردة مش عايزين نشوف وشك تاني ومش عايزينك تحميها، بتتنا نعرف ازاي نحميها كويس.

وأخذها وخرج من الغرفة حتى أركبها السيارة، وهي تتحرك لا إرادياً بقوة جذبِه حتى انتابتها حالة هياج وصياح؛ فأخذت تصرخ وتضرب تابلو السيارة بيدها حتى كسرت قطعة ديكورية من الزجاج لتسيل دماء يدها:

- ليه؟ ليه؟ ليه عمل كده؟ ليه كذب عليا ليـــــه؟ خاطب واحدة ثانية! يعني كل حاجة كانت كذب، ليه عمل معايا كده؟ ليه يا أحمد ليه؟ لا يعرف أحمد بمَ يرد؛ فبالكاد كظم غيظه عنهم بالأعلى، حاول تهدئتها وأخذها إلى داخل المشفى ثانية وطُهر جرحها، ثم أخذها وانطلقا مغادرين حتى توقف أمام منزله، ولم تنبس جنة بنت شفة، ولم تلحظ حتى أين ومتى توقفت السيارة حتى طلب منها أحمد أن تنزل؛ فتعجبت متسائلة:

- انتَ ليه جاييني هنا؟

- مش هينفع تروّحي بمنظرك كده، مامتك وباباكي هيتخضّوا ويسألوا هنقول لهم إيه؟ يلا انتِ اطلعي وأنا هروح البيت أجيبلك هدموم، وأقول لخالتي إن سارة تعبانة من الحمل وكده ومحتاجاكي معاها. أومأت بضعف وانكسار، نزلت وأخذ أحمد سيارته وانطلق صوب بيتها.

الفصل العشرون

"حطام قلب"

عاد أحمد إلى المنزل يحمل بيده حقيبة سفر صغيرة، تفاجأت به سارة بينما كانت تخرج إلى البراندا لتجلب إناء المياه الفارغ؛ فهتفت بتعجب:

- آه أحمد باشا جيت أخيراً! إيه الشنطة دي؟!

رد بثاقل:

- شنطة جنّة فيها لبسها اللي هتحتاجه اليومين اللي هتقعدهم هنا.

- والو.. يعني هتقعد معانا كام يوم، حلو قوي وهنتسلّى، أو مال هي

فين؟

تعجب أحمد في بادئ الأمر من لهجتها المتفائلة، لكنه الآن صاح مصدوماً:

- نعم يا ختي؟ يعني إيه فين، هي مش هنا؟

- لا ماجائش أصلاً.

- ماجائش ازاي، أنا موصلها بنفسي لحد هنا ورُحت أجيب

شنطتها... يا نهار أسوح، طب أعمل إيه دلوقتي؟! أنا هطلع أدور عليها، بس

هدور عليها فين؟! ده أنا سايبها من نص ساعة!

- يا أحمد قلقتني فيه إيه؟ طب فهمني إيه اللي حصل يمكن أقدر

أساعدك.

أخرج أحمد هاتفه من جيبه وأخذ يتصل عليها، لكن ما من مجيب؛ فصاحت سارة بقلق:

- يا أحمد رد عليّ إيه اللي حصل وجنّة ليه ما طلعّتش؟
- سرد عليها أحمد موجز ما حدث في المشفى؛ فشحب وجهها وأخذت تلحق بهشام أبشع السباب، ثم تمتّمت بفزع ابتلع صوتها:
- طب هتكون راحت فين بس؟! ممكن تكون حبت تتمشى لوحدها شوية.

- مش عارف.. أنا قلقان جدّا عليها، جنّة ماكانتش في وعيها، ولا حاسّة بحاجة حوالها.
- باغتهم دخول مالك فجأة عائداً من عمله؛ فتساءل بملامح قلقة:
- مالها جنّة؟

- طالعه أحمد وسارة بصدمة ينظران لبعضهما البعض؛ فصاح ثانية:
- إيه اللي حصل؟ ما تنطقوا.
- حاولت سارة تشتيت ذهنه قائلة:
- ما.. مفيش حاجة، احنا بس..
- قاطعها مالك متذمراً:

- ههششش.. اسكتي انتِ، أنا عارف كُهن الستات ده ماباخذش منه لا حق ولا باطل.. انطق يا أحمد إيه اللي حصل مع جنّة؟

قطع استخباراته صوت رنين هاتف أحمد؛ ليجد المتصل هشام؛ فهمهم بسرّه بشتائم فظة وأغلق الخط، لكنه عاد متصلاً مرة أخرى؛ فرد أحمد عازماً على أن يشفي غليله، وردّ صائحاً:

- انتَ ليك عين تتصل ثاني بعد الي حصل!
- فين جنة يا أحمد؟ أنا لازم أتكلم معاها.
- أنا ماشوفتش بجاجة كده.
- يووه، بقولك فين جنة؟ بتصل عليها كثير ما بتردش.
- انتَ كمان عايزها ترد عليك؟! ده عشم إبليس في الجنة، واطّمن جنة أصلاً اختفت ومش لاقينها، يا رب تكون مبسوط دلوقتي.
- أغلق الخط بوجهه ليجد مالك محدقاً به بوجه قانٍ يحتم غضباً، وصرخ به:
- إيه الي سمعته دلوقتي؟ مين ده؟! وفين جنة؟ وإيه الي حصل معاها؟! ماتنطقوا بقى ماتعصبُونِيش بسكوتكُم ده.

على الجانب الآخر، نزع هشام الكانيولا من يده، ونهض عن فراشه وارتدى سترته بذراع واحد؛ حيث كان ذراعه الآخر معلقاً على صدره، أخذ سلاحه ووضع به بظهر بنطاله، ثم خرج من الغرفة، بل ومن المشفى بأسرها.

خرج مالك وأحمد بحثاً عن جنة بعدما حكى أحمد الأمر برمته لأخيه، والذي أقسم إن رأى هشام مرة أخرى لن يكفيه فيه قتله، ومثل تلك

الأقاويل التي تُقال في لحظات الغضب الشديد، أخذوا يفتشون الشوارع القريبة من منزلهم بالسيارة بحثاً عنها، بكل شبر وبوصة، لكن دون جدوى.

في المربع السوري كانت تسير جنة بلا هدى يترأى لها في ذاكرتها ثنائي جميل، هنا كانا يتناولان الحلوي، وهنا كانا يشاهدان العرض الموسيقي، وهنا اعترف لها بحبه بطريقة غير مباشرة مستغلاً عنوان رواية، وهنا حملها وركض بها الدرج ليحميها، لفّ رأسها وشعرت بالغثيان فعزمت على الرحيل، صارت باتجاه سنتر الأمريكية المجاور للجامعة ٦ أكتوبر حتى تخرج إلى الشارع الرئيسي وتعبر الطريق إلى الناحية الأخرى؛ حيث الحي الأول والثاني، ولأول مرة تعبر هذا الطريق المرعب دون خوف؛ فقد حلّق عقلها بعيداً حيث فراغ اللاوعي، وفي لحظة حاولت سيارة الفرملة سريعة بصوت رهيب مفزع قبل حادثة محقق وقوعها، لكنه لم يستطع وسقطت جنة تنقلب على الأسفلت عدة مرات حتى استقرت لتلاحظ أنها ما زالت حية واعية، جسدها لم يلمس الأرض في مرة من هؤلاء، لم يرتطم رأسها ولم ينجرح ظهرها ولم تتهشم عظامها لتفتح عينيها بطيئاً، وما زال قلبها يتنفّس من هول الموقف لتجد نفسها مستقرة في حضنه يضمها بذراعه السليم، حدّقت به غير مصدقة ما تراه، فهناك مرة أخرى ينقذها من موت محقق، هو من يتألم فمن المؤكد أن كل الإصابات أخذها هو، علاوة على ذراعه الذي تستلقي هي بجسدها عليه الآن، انتبهت لذلك فحاولت النهوض، لكن ساقها

المرتعتين لم تحملاها، ومع ذلك فوجئت بمن يساندها ليرفعها عنه؛ فوجدته مالك، والذي هتف بلهفة يتفقدتها:

- جنة انت كويسة؟

أومأت بضعف قائلة:

- أنا كويسة ماتقلقش.

أشار مالك إلى أحمد بأن يأخذ جنة إلى سيارتهما، بينما أمسك مالك هشام من تلايبه وصرخ بوجهه بغضب جم:

- من النهاردة إياك أشوفك بتقرب منها، ده آخر تحذير ليك، وإلا وغلاوة ابني الي لسه ماشوفتوش مش هرحمك.

عاد مالك إلى سيارته وانطلقوا مغادرين، بينما ابتسم هشام في خضمّ آلامه؛ فقد سرّه ذلك النبأ أن مالك ينتظر مولودًا جديدًا وأملًا في حياة زوجية أفضل.

انطلقت السيارة التي كانت ستتسبّب في الحادث بعد اطمئنان صاحبها أن أحدًا لم يتأذّ، وتيسّرت الحركة المرورية بعدما توقّفت دقائق، وأخذ هشام سيارته وعاد أدراجه.

استقبلتهم سارة بقلق بدأ يتبدّد ما إن أبصرت جنة معها؛ فأسرعت إليها واحتضنتها؛ فأشار لها مالك بالاهتمام بها دون أن يستزيد بكلمة واحدة، ففي تلك اللحظة فرّ الكلام من لسان كل امرئ منهم؛ فلا مزيد من القول الآن،

ما أفسده الآخرون لن يصلحه سواهم؛ فلا كلمات تشفي الصدور ولا تعاطف يداوي جرح القلوب، هكذا كان الأمر ببساطة.

ساعدت سارة جنة في الدخول إلى غرفة نوم الضيوف، ووضعت لها ثيابها في الدولاب قائلة بتردد:

- جنة حبيتي.. أنا هطلع أجيبك العشاء عقبال ما تغيري هدومك.

لم تحرك ساكنًا، وكأنها لم تسمعها أو لم تع وجودها من الأساس؛ فذمت سارة فمها بحزن وخرجت لتعد لها طعامًا.

استلقت جنة على فراشها تحدق في اللاشيء، ربما غادرتها روحها لتثور بمكان آخر، فقد اشتكى الجسد من ثورتها العارمة بداخله؛ فتمزقت نياط قلبها، ذلك القلب المذنب، وأي ذنب ارتكبه؟! فذلك الحب الأول والذي حاولت دائمًا عدم الاقتراب منه لئلا يُسحق قلبها ممن لا يستحق، وحافظت عليه حتى تسلمه لمن يصونه، لكن يبدو أن هذا ليس من نصيبها، وماذا كانت ستفعل؟ إذ لم يكن الأمر بيدها؛ فحين يتدخل القلب لا يدع مجالاً للعقول البتّة، وإن كان القلب ليس قويًا كفاية وسمح للعقل بدخول ساحة المعركة، تظل المبارزة تستخدم وتخدم بينهما حتى يسقط أحدهما شهيدًا.

عاد هشام إلى منزله ليجد منيرة وحنين وعماد في وضع يُرثى له، يجوبون مشارق الشقة ومغاربها يحملون هواتفهم على آذانهم بقلق عارم، حتى صاحت حنين:

- يا ماما يا عماد، هشام جه.. كنت فين يا هشام؟
راحت منيرة تتفقّده بقلق قائلة:
- هشام كنت فين؟ انت كويس؟ كلمونا من المستشفى وقالوا إنك سبتها ومشيت من غير ماتقول لحد.
رد هشام بمرارة:
- ماتقلقيش يا منيرة أنا كويس.
- كنت عندها صح؟ البت الي جاتلك المستشفى النهاردة مش كده؟
- يوهوه.. خلاص يا منيرة.
- تدخل عماد مهدئاً الموقف:
- خلاص يا ماما، الحمد لله إنه بخير واتطمنا عليه.
- ثارت منيرة:
- لا مش خلاص، ده انت ماعملتھاش قبل ما تخطب، تيجي حتة بت تضحك عليك بعد ما اسمك ارتبط بواحدة تانية.
- منيرة، هي ماكانتش تعرف أصلاً إني متيّل خاطب.
- انت كمان بتدافع عنها، أنا عارفة النوع ده كويس...



قاطعها هشام يزأر ساخطًا:

- منيرة! مش هسمح أسمع في حقها أيّ كلمة وحشة.

- والله! ليه بقى إن شاء الله؟

- عشان بحبها.. أيّوه بحبها يا منيرة.

صعقت منيرة لسماعها هذا الكلام؛ فهممت:

- طب ولا را؟

ضحك هشام بمرارة، وقال لحنين يشير بيده إلى منيرة:

- شُفتي؟ مش قولتلك.. لارا.. هاه لارا.. اطمّني يا منيرة هنفذلك

رغبتك وهخطب الست لارا، والخطوبة في معادها ماتلقّيش.

- أنا مش قلقانة، ده أصلًا اللي المفروض تعمله.

تركهم هشام ودخل غرفته صافقًا الباب خلفه بقوة، جلس على سريره

يمرر يده على وجهه بعصبية سرعان ما تحوّلت إلى ضعف وانكسار، انهارت

حصون قوته وأسوارها البائسة، يئنّ قلبه ألماً ووجعًا تحت أنقاضها؛ فانهمرت

دموعه لأول مرة منذ فترة طويلة، والتي عادة تكون حينما يتذكّر والدته، لقد

انتهى الأمر سريعًا عمّا كان يتخيل، وماذا كان يتصور إذن؟! إلى متى سيظل

يخدعها ويخدع نفسه؟ فإن لم يكن من البداية أهلاً لتحمل مسؤولية حب، فلم

يخوضه من الأساس؟ أليس هو بشر أيضًا لربما حدث معه مثلما حدث مع

جنّة فربح رهان القلب على العقل، ولا يعرف أنه يسلك طريق انتحاره.

في ظهيرة اليوم التالي، ذهب هشام إلى شقة المنيل، وظل ينتظر شريكه قرابة الساعة ونصف حتى أتى؛ فضجر قائلاً:

- إيه يا عم كل ده! مش تراعي إني راجل متصاوب وتعبان.
- ضحك الآخر وقال: معلش يافندم، يادوب عرفت أخلع منهم وجيت
- قولتلي فيه أخبار جديدة.
- وأي أخبار يا فندم.. خلاص عرفنا مكان كارولين.
- أهى دي الأخبار ولا بلاش.. هاه!
- من خلال مراقبتي له زي ما سعادتك أمرتني لقيته خرج من عندك من المستشفى لشقة في الزمالك، فضلت مستنيّ لحد ما نزل ومشيت، ولما سألت عرفت إنه مسكن فيها واحدة أجنبية وإن دي شقة أخوه، أخوه مهاجر أمريكا وسايبهاله يأجرها، وطبعاً مش هيلاقى مكان أحسن من ده يجيبها فيه.
- طب وانت اتأكدت من إن هي اللي في الشقة دي؟
- حصل يا فندم، فضلت مستنيّ قدام العمارة لحد ما لقيت بتاع دليفري جاي لها، عملت أنا بتاع الدليفري وطلعت أديها الأوردر، وهي اللي استلمته مني.
- تنهد هشام بارتياح وفرك كفيه كمن يستعد لمؤامرة عاتية، وأردف:
- حلو قوي.. طبعاً انت فاهم هتعمل إيه؟
- ماتقلقش يافندم، كل حاجة جاهزة وهتحصل زي ما مرتبين لها بالظبط.
- تمام.. على خيرة الله.

كانت جنة تجلس في البراندة على الأريكة الخوصية تمسك بهاتفها تشاهد صورهما، وتلك الصورة وليدة عشقهما التي صورها أحمد بقصد التقاط صورة لسارة ومالك، تفكر هل كان العشق الملتهب في عينيه مجرد أكذوبة؟ ولماذا إذن؟! تتذكر أنه كان يجلس محلّها قبل يومين ويقول أنه ليس بخاطب، فتحت رسائل الواتساب بينهما ومضت تقرأهما بآلام تحترق قلبها كالسهم المسمومة تسمع تسجيلاته الصوتية وتزيد في دموعها، ثم راحت تنقر على تسجيل المكالمات، وفتحت إحدى المكالمات التي سجّلتها خلصة، أكانت تخشى اليوم الذي لا يمكنها به سماع صوته؟! ربما؛ فقلب الأنثى غالبًا ما تصدّق تنبؤاته وإن أرادت عدم تصديقها.

دلفت سارة لتجد جنة تجلس على الأريكة الخوصية، تضم ركبتيها إلى صدرها وتدفن بهما وجهها، انفطر قلب سارة على صديقتها، لا تدري كيف تواسيها؛ فكلما رأتها على ذلك الحال يهرب الكلام من لسانها؛ فلا تعرف ماذا تقول وأي كلام يمكنه شفاء القلوب المنكسرة؟! فذلك هو الألم الوحيد الذي لم يجدوا له دواءً حتى يومنا هذا، لذا نصيحتي إليكم صونوا قلوبكم ولا تسكنوا بها من لا يستحق.

تنهّدت سارة بألم، وربّبت على ركبة صديقتها، وأردفت بصوت يشوبه الحزن:

- جنة حبيبتى، عشان خاطري انتِ ما أكلتيش حاجة من امبارح، والأكل محطوط قُدّامك زي ما هو.

رفعت جنة رأسها، ومسحت دموعها المنسابة على وجنتيها، وقالت بوهن:

- صدّقيني يا سارة ماليش نفس.

- وعشان مين يا جنة بتعملي كل ده؟ صدّقيني واحد كذاب زي ده ما يستاهلش ضفرك.. واحمدى ربنا إن الي بينكم مش سنين ولا شهور طويلة، كنتي هتعملي إيه وقتها؟

- غلطانة يا سارة.. لما بتسلّمي قلبك لحد وتحبيه بجد لدرجة يبقى جزء من روحك.. لأ كل روحك، وقتها الوجد بيبقى واحد ما يفرّقش إذا كان حُبّ ساعة ولا عمر بحاله.

أطلقت تنهيدة كادت تشق صدرها، وأكملت:

- كل لحظة بينا كانت بعمر كامل إذا كانت مكالمة تليفون، أو مسدج، وفي قربه منّي، حتى لحظات سكوتنا عينا كانت بتقول كل الكلام وبتسمعه وداننا.. أنا بحبه قوي يا سارة.. بحبه قوي.

أطلقت العنان لبكائها؛ فاحتضنتها سارة تمسّد على ظهرها وقد سالت دموعها هي الأخرى.

الفصل الواحد والعشرون

"تنفيذ الخطّة"

مرّ على تلك الأحداث يومان لم يحاول فيها هشام محادثة جنّة كي يترك لها مجالاً لتتدارك الموقف، لا يعرف أنها لم تترك هاتفها لحظة تتلّهب لتلك اللحظة التي تومض بها الشاشة معلنة أنه المتصل، يدور برأسها ألف سؤال وسؤال تتحرّق لسماع إجاباتهم منه.

ذهبت جنّة إلى جامعتها لتباشر دراستها كما كانت، وضربت بكلام هشام عرض الحائط، لقد انتهت تدخله في حياتها تحت أي مسمى، أزعجها كثيراً عدم تركيزها في محاضراتها؛ فعقلها ووجدانها كانا محلّقين بعيداً إلى مدى لم يعد بوسعها استعادتهما وقتها شاءت.

أنهت محاضراتها لليوم وغادرت دون توديع صديقاتها، لقد نسيت أمرهنّ تماماً، وخرجت من الجامعة شاردة الذهن، داعبتّها نسمة هواء لطيفة فحلّق طرف حجابها متبخرّاً يداعب وجنتيها، ولما أزاخته برفق عاد يغازلها ثانية، لكن تلك المرة استقر على عينيها.

أزاخته ثانية وفتحت عينيها ببطء لترفعها قليلاً، وتصطدم بمن لا يفارق ذهنها.. هشام!

لم تنبسّ بحرف، وابتعدت عنه لتتابع سيرها؛ فاستوقفها قائلاً بنبرة حزينة:
- جنّة لو سمحتي، عايز أتكلم معاكي.

- التفتت إليه، وطالعتة بنظرات باردة وقالت:
- تكلمني في إيه يا سيادة الرائد.. إيه؟ متهمّة في قضية جديدة ولا حاجة؟
- أطرق رأسه وطرف عينيه بمرارة، وأردف:
- صدّقيني يا جنة أنا ماكأنش قصدي أكذب عليكى.. أنا.. جنة بانفعال:
- انت إيه؟ ها انت إيه؟ على العموم مايفرقش معايا، احنا أصلاً مفيش بيننا حاجة، ولا إيه؟
- تركته لتذهب، فقال بصوت قلب يستغيث بها:
- جنة أنا بحبك.
- لم تنكر أن قلبها هاجمها في تلك اللحظة كألدّ عدو، لكنها التفتت له مرتدية قناع البرود ذاته، وقالت:
- متأخر قوي يا سيادة الرائد، وعلى العموم الكلمة دي مش من حقي دلوقتي.. وأنا ماتعودتش آخذ حاجة مش من حقي.. سلام، آه وألف مبروك.
- جنة.. يا جنة استني!
- غادرت ولم تُعرّ نداءه انتباهًا، لا تريد إظهار ضعفها له، ليس بعد الآن؛ فمسحت عبراتها بهدوء وتابعت سيرها متظاهرة بالثقة والجمود.

زفر هشام حانقًا لما يعترى قلبه النازف من ألم شاق، حينذاك أتاه اتصال هام؛ فغادر إلى شقة المنيل.

- إيه بقى؟ لقيت أخبار جديدة أخيرًا؟
- مش بس كده يا فندم، دي الخطة النهائية واللي هينفذوها خلاص يوم الجمعة الجاي.

- أوف! إيه التوقيت ده؟ ده يوم الخطوبة.
- بالظبط يا فندم.
- يا ولاد اللعية.. ورّينا يا ابني أما نشوف ناويين يهبوا إيه.

فتح الآخر جهاز لاب توب، ووضع به كارت ذاكرة، نقر على إحدى الأيقونات ليتم عرض فيديو يدور به الحوار الآتي:

- كارولين، ركزي.. العملية هتتم يوم الجمعة، أنا وقتها هكون في حفلة خطوبة هشام، ساعة الصفر هتكون الساعة ٩ بالظبط، وقتها أنا هعمل اللي اتفقنا عليه، وانتِ هتتحركي على فيلا ماجد الحُرّ وتقومي بمهمتك، وكده أكون أنا خَلَيْتِ مسؤوليتي وعملت اللي عليّا، عارفة يعني إيه؟ يعنى لو اتمسكتي واتطلب مني إني أقبض عليكِ وقتها.. مش هتردد.

- كارولين مابتهدّش، واطمّئن أنا مابفشلش في عملية، خَلِيّ الكلام ده لنفسك واعمل اللي عليكِ عشان ماتسيش ديل للقضية، أنا كده كده هسافر وهطلع من مصر، انتِ اللي هتشيل الليلة لو مانفذتش المطلوب منك.

- اعتبريه حصل.. طب وبالنسبة لحسابي الي لسه مادخلهوش دولار واحد.
- ممكن تعمل له check دلوقتي وهتلاقي نص المبلغ اتحوّل عليه، والنص الثاني بعد ما أخرج من مصر.
- لااا.. أنا مايعجبنيش الكلام ده كده.
- وده الي عندي.. واطمن احنا كلمتنا واحدة.
- اممم.. يا سلام ع الأخلاق، أما نشوف.
- أغلق هشام اللاب توب وأردف:
- كده بقى كل حاجة واضحة.. لازم نجهز بأقصى سرعة.
- تمام يا فندم.

- يوم الجمعة وبالتحديد بعد صلاة الظهر، أقامت جنة صلاتها وقرأت سورة الكهف، وبعد أن انتهت أتت سارة تحمل بيدها كأساً من العصير لها، وفنجان نسكافيه ناولته لجنة، فقالت الأخيرة:
- تسلم إيدك يا ساسو.
 - أي خدمة يا ستي، المهم ننول الرضا.
- ضحكت جنة بعد فترة من العذاب النفسي، لكن لم تدم ضحكاتها طويلاً، بل انطوت ليحلّ محلها العبوس ثم البكاء، والذي تطور بعد إلى الصراخ وانهيار تام، لحظة واحدة انحبست بها الأنفاس لتخرج في هيئة نيران

متأججة، ودموع حارقة، صدمة اجتاحت عقلها فسلبتة ونالت من فؤادها
المحطم؛ فوثبت سارة بفزع لا تعلم ماذا جرى لها.

- جنة.. جنة مالك فيه إيه؟ إيه الي حصل؟ أبوس إيدك ردّي عليّا.
لكنها لم تسمع منها سوى البكاء والنواح، لاحظت سارة قراءتها لخبر ما
بهاتفها؛ فأمسكته لتجد على صفحة هشام منشورات تهنئة لخطوبته التي ستقام
ليلاً.

ضممتها سارة وزادت في احتضانها، ريثما أتى أحمد مهرولاً فزعاً من هيئتها
متسائلاً:

- فيه إيه يا سارة؟ هي مالها؟ جنة جنة، اهدي بس وفهميني.
أعطته سارة هاتف جنة من خلف ظهرها، استحالت عيناه إلى اللون الأحمر
القاني وثارَت الدماء في عروقه؛ فلم يشعر بنفسه سوى وهو يقذف بهاتفها
حيث الجحيم.
ثم صرخ حانقاً:

- أنا مش فاهم انتِ عاملة في نفسك كل ده ليه؟ ده واحد أقسم بالله
مايستاهل دمة واحدة منك.. الرجالة مابتحبش بإخلاص يا جنة زيكوا،
وده أصلاً ماحبكيش ده كان بيخدعك، فوقي لنفسك يا جنة.. هاه نفسك
وبس.

لا تدري جنة إن كان حديثه هذا محض افتراء على الرجال أم أنها الحقيقة أم
ما زال قلبه يؤلمه جرّاء حبه القديم الذي لم يكتمل، وقد أصبح منذ ذلك الحين
يدّعى البلادة وعدم الشعور بالحب، وكأنه وصمة عار في جبين الرجل.

في المساء وبينما كان هشام يستعد بغرفته، دخل عماد وعلى وجهه علامات
اليأس والاكتئاب؛ فسأله هشام:

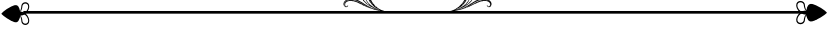
- إيه يا ابني مالك؟ عامل زي اللي رايح جنازة ليه؟
رد عماد بمرارة:

- طب متحاولش تبين انت بس إنك مبسوط!
- طبعًا مبسوط، مش خطوطتي النهاردة.. مين قدّي بقى.
- الكلام ده كان ممكن تضحك بيه علينا لو ماشوفناش كل حاجة
بعيننا في المستشفى.

- شُفت إيه يا أهبل انت! سيبك من الكلام ده وتعالى ساعدنى اضبطلي
البتاعة دي.

- شُفت حبكوا الي باين في عنيكوا وتصرفاتكوا ولهفتكوا على بعض،
ليه مصمم يا هشام تهدّ المعبد على اللي فيه؟

- يووووه! عماد أنا فاهم كل ده، بس خلاص فات الأوان لكل ده،
واليوم قُدّامي طويل ومليان مصايب، سييني أركّز.



- مصايب وترکز! هشام انت مخبي حاجة، مش كده؟
أمسكه من ذراعه، وأداره ناحيته مرددًا:

- يا عم انت بكلمك.

رد هشام بضيق:

- مفيش حاجة يا عماد، عايزك بس تخلي بالك من حنين ومنيرة
وهتفهم كل حاجة في وقتها.. يلا بقى اتأخرنا، احنا هنبات هنا؟
خرج عماد معه متأففًا يكره الغموض وعدم وضوح الأمور، لكنه كان على
يقين بأن هشام لن يخبره أمرًا ما لم يُرد ذلك.

كانت القاعة مفتوحة يحيطها الحدائق وحمام سباحة كبير يفصل بين أقارب
العريس وأقارب العروس، وفي نهايته أريكة معدنية مزدانة بالورود يجلس
عليها العروسان، تتألق لارا بفستانها المزوج لونه بين الأبيض والمُوف
مرصع باللآلئ، تلوح السعادة على وجهها الباسم، بينما كان هشام موجّهًا
تركيزه إلى جهة أخرى.

كان الحفل مليئًا بأصدقائه من الجهاز، فجاءه جمال يهتّنه، فوقف هشام
وصافحه؛ فقال جمال بابتسامة:

- ألف مبروك يا هشام بيه.. ربنا يتمم بخير.. مبروك يا أنسة لارا.

ابتسمت له لارا، بينما رد هشام:

- الله يبارك فيك يا جمال، عقبالك بقى، إيه مش ناوي؟

ضحك جمال قائلاً:

- أنتم السابقون ونحن اللاحقون يا باشا.
- ثم تنحنح وأضاف بصوت خافت:
- صحيح يا هشام بيه، هو سامر ماجاش ليه؟
- اللي زي سامر ده أنا عارفه كويس، طالما ماعزمتوش مش هيبجي.
- في الناحية الأخرى، اتجهت منيرة بسعادة بالغة إلى حنين تمسك بيدها علبة الخواتم، وطلبت منها أن تمضي بها إلى العروسين، لكن حنين كانت تزمّ فمها بغيظ لا ترد، فلكرتها منيرة قائلة:
- يا بت قومي يلا وافردى وشك ده شوية، دي خطوبة أخوكي الوحيد وبنت خالتك.
- قالت حنين بكمد:
- أنا مش عارفة مين فينا اللي بنتك، انت بتحببها أكثر مني على فكرة.
- خليكى كده غليّ منها.
- أنا أغلّ من البت المسلوعة دى! دي بومة.
- شفتي بقى إنك بتغلي!
- لا انت اللي بتفضليها عليّا.
- وما أفضلهاش ليه؟ مش بنت أختي! يعني بنتي، وكم ان هتبقى مرات ابني، يعني غلاوتها عندي هتزيد.
- إيه ده يا ماما؟ يعني انت فعلاً بتفضليها عليّا؟!

- ضحكت منيرة واستأنفت:
- قومي يا بنتي ربنا يهديكي.. ما تشوف يا ابني الطفلة الي انت متجوّزها دي.
- لا أنا أصلي ماحبّش أتدخل بين طفلة ومامتها.. قصدي مراقي ومامتها.
- حدجته حنين بتوعد؛ فداعب أرنبة أنفها باصبعيه مغازلاً "حياتي يا نااس"؛ فصاحت بغیظ:
- ياعمالاد.. قولتلك مابحبّش الحركة دي.
- ضحك عماد ومنيرة، بينما قامت حنين مجبرة ومضت قدماً نحو هشام ولارا تصطنع التبسم، وناولته علبة الخواتم؛ فأخذها منها وألبس لارا خاتمها، ثم تناوبا الأدوار وصفّق لهما المعازيم، ومن ثم أعلن مُنظم الدّي جي عن رقصة العروسين؛ فنهضا، وبينما هما في طريقهما تخلف هشام عن لارا قليلاً وتحدث في سماعه البلوتوث بأذنه:
- ها يا عاصم، إيه الأخبار؟
- اطمّن سعادتك يا فندم، هو دلوقتي في طريقه لتنفيذ الخطة واحنا وراه.
- لفت لارا يديها حول عنقه وبدوره وضع يديه على خصرها، وبدأ الرقص على موسيقى رومانسية حاملة يلتقط لهما الأصدقاء الصور، وقاموا بمشاركتها على موقع الفيس بوك، وليتهم يعلمون أن هناك قلباً يحترق برؤيته تلك الصور ومقاطع الفيديو، فكانت جنة تشاهد حسابه، وصدمها ذلك حتى

باتت تصرخ في صمت، تضع كلتا يديها على فمها حتى كاد ينقطع نياط قلبها
عوضاً عن أحبالها الصوتية.

في مكان آخر قريب من القاعة وبشقة بلا أبواب ولا نوافذ بعمارة لم يتم
تشطيبها بعد، دخل الضابط عاصم وفريقه خلصة يسرون دون إصدار
صوت، وساعدهم على ذلك ضوضاء الحفل، حتى هتف عاصم شاهراً
مسدسه:

- اثبت مكانك يا نقيب جمال!
انفضّ جمال ملتفتاً نحوهم بصدمة، وترك بندقيته لتسقط أرضاً.

انتهت الرقصة، ووصل هشام صوت عاصم مرة ثانية يقول:
- هشام بيه سامعني؟
- معاك يا عاصم.
- كله تمام يا فندم، وقبضنا على النقيب جمال متلبس.
استغل هشام انشغال لارا مع صديقتها وخرج إلى سيارته، والتي كان بها
جهاز اللاسلكي؛ فتناوله هاتفاً:
- سامر!

- معاك يا هشام بيه.. كارولين اتحرّكت من عشر دقائق، وفي طريقها لفيلا ماجد الحرّ واحنا وراها، والقوة محاصرة المكان هناك.
- تمام، وأنا بيني وبين الفيلا عشر دقائق، هوصل قبلكوا وهستناك في المكان الي اتفقنا عليه.
- تمام سعادتك يا فندم.

في فيلا ماجد الحر:

- كان ماجد يناقش أمور أعماله وصفقاته المشبوهة مع مدير مكتبه:
- الصفقة دي لازم ترسّى على شركتنا يا محمود بأي تمن.
 - ماتقلقش يا فندم؛ الراجل بتاعنا هناك وبعتلنا كل التفاصيل والعروض الي قدّمتها الشركات المنافسة، وهنقدم أفضل عرض.
 - مش هتلقوا.
- انتبه ماجد ومساعدته إلى الصوت من خلفها؛ ليجدها في بؤرة ميتة لا تراها الكاميرات ولا يقف بها الحراس.

تحدث هشام في جهاز اللاسلكي:

- ألو عمليات.
- ابدأ الإشارة.
- هنقتحم حالاً.

كانت تلك كارولين تشهر سلاحها صوبَ ماجد، والذي تركز حوله حراسه يشهرون مسدساتها؛ فباغتتهم بالضرب وأتخذت من الجدار ساتراً لها، لكن ما لم تضعه في حساباتها هو ذلك المسدس المصوب برأسها من الخلف؛ فالتفت بعينها لتجده هشام، اتسعت عيناها صدمة فكانت تعتقد أنه في زمن كان في ذلك الوقت.

توقف الضرب وانتشرت القوة وقبضت على ماجد وكارولين.

الفصل الثاني والعشرون

"كيف تكون النهاية؟"

عاد هشام إلى الجهاز ليجد اللواء في انتظاره بسرور وحبور بالغ:

- براثوا عليك يا هشام، أنا فخور بـك جداً.
- ده شرف ليّا يا منير باشا، كله بفضل ربنا وتوجيهات سعادتك.
- خرج هشام من مكتب اللواء متجهًا إلى مكتبه؛ حيث كان يحتجز به جمال، والذي رmqه بنظرة نارية ما إن لمحـه؛ فأردف هشام:
- مستغرب مش كده! عارف إيه مشكلتك يا جمال؟ إنك فكّرت إنك الوحيد الذكي واستغبيتنا.
- أنا مش فاهم أنت بتتكلم عن إيه، هشام بيه أنا لمحت حد طالع العمارة دي وشكيت فيه، ولما طلعت لقيته مصوّب بندقية ناحية القاعة ولما شافني خبطني وهرب .. وفجأة لقيت عاصم ورجالته جاين يقبضوا عليّا.
- امم حلوة التمثيلية دي، لا ومهروسة في مليون فيلم عربي وأجنبي، اللي انت ماتعرفوش بقى يا جمال إننا كشفناك من وقت طويل.
- كشفتونى! يعني إيه؟

- أنا أقولك يعني إيه.. الموضوع بدأ لما جات الإخبارية عن مكان كارولين، هناك لما كنا أنا وسامر بنفتش في الشقة، لقيت طبعا الورقة الفارغة
- الي انت سبتها عشان تضللني بيها وأتوهم إنكوا عايزين تأذوا جنة؛ عشان لما

تضربوني وأنا معها يقال إن هي الي مقصودة وإني كنت بدافع عنها، وتخلصوا من الشوكة الي واقفة في زوركوا، لكن اتعلمنا يا سيادة النقيب إن المجرم حتماً ولا بد بيسيب وراه خيط رفيع.. غلطة صغيرة غير مقصودة.

انتبه جمال لحديثه منتظراً معرفة ذلك الخطأ؛ فتابع هشام:

- وقت لما لقيت الورقة سامر كان وشه جايب مية لون زي ما يكون حد صعقه، وقتها فكرت إنه بسبب الورقة، لكن بعدها رجعتله تاني وسألته عن سبب اضطرابه وعرفت إنه لقي في الشقة علبة شبه علبة الدوا بتاعك، بتاع الصداع والأعصاب، ده الي اديتني منه وإنه خده من ورايا لحد ما يتأكد، ولما اعترفلي بكده عملنا كشف البصمات، بس للأسف كانت شبه اتمسحت من على العلبة، لحد يوم قتل صاحب الأجانس لما دكتور الطب الشرعي أكدي إن طول المجرم مايقلش عن ١٨٠ ومش أقل من كده، وقتها استبعدت سامر من دايرة الشك نهائي، ومبقاش فيها غيرك انت، لحد ما شوفتك وانت بتراقبني في الحصري عشان تقتلني، ومن اليوم ده بدأنا خطتنا.

- خطتكو؟!!

- أيوه، أنا وسامر، سامر الي حاولت بكل الطرق تشككني فيه بشكل غير مباشر، طبعاً زي إنك تدفعه يسأل عن معلومات أنا ماقولتهاش قصداً، أو تشككه في جنة وغيره وغيره، مانكرش إني في البداية كنت شاكك فيه أكثر، لكن انت نسيت إن كل ما زادت الشبهات حول المشتبه فيه ده بيضعف الاشتباه فيه، وخاصة لو كان حد بذكاء سامر، حتى سيادة اللواء كان معانا،

بس عشان نقدر ناخذ منه الإذن والصلاحيات بمراقبتك ومراقبة تليفوناتك وغيره، كان لازم يكون معانا دليل على تورطك.
حدجه جمال بنظره المرتقب؛ فتابع هشام:

- أحمد بدر، فاكـره؟! كنت متأكد من البداية إنه مايعرفش كارولين ولا عمره قابلها، عملنا له فخ بسيط، فصلنا القضية على مقاسه وفهمناه إنه شايـل الليلة كلها، وفي لحظة انهار واعترف بكل حاجة، وإنك انت اللي جبته يعمل الدور ده على أساس إنك هتخرجه منها، مجرد واد بيعرف اللغة ورايح يستقبل سائحة عادي جداً، هنا سيادة اللواء اقتنع بإدانتك، بس لو قبضنا عليك مش هنعرف هدف كارولين ولا هنقدر نقبض عليها، وهنا بقى جه دور الخطة الثانية.

في يوم الحصرى نزلت بالليل قابلت سامر وكان معاه أخبار جديدة عن رجل أعمال بيعيله تهديدات من مافيا دولية بتتاجر في الأدوية الفاسدة ومستلزمات طبية ملوثة، واللي بعد ما قذروا يوردوا له شحنة مستلزمات طبية ملوثة ويدخلوها مصر، استندل معاهم وماحولش ليهم باقي الفلوس، وقال لهم كفاية عليكموا اللي خدّته، هددوه وبعطوله واحد من رجالتهم يتفاوض معاه، ويا إما الدفع يا القتل، وكانت النتيجة إن هو اللي قتل الراجل بتاعهم، وقتها استأجرت المافيا كارولين، ولأنها كانت مطلوبة قبل خمس سنين فكان لازم يكون ليها عين في الجهاز، وطبعاً انت ماتأخرتش، هنا بقى كان لازم ننفذ الخطة، أولاً عشان أأمن نفسي منك، ثانياً عشان لما أدّيك

الأمان وتعرف إني شاكك في حد تانى هتاخذ راحتك، ولما تاخذ راحتك هتغلط، وقد كان..

يوم ما كنت في المستشفى انت خرجت من عندي على كارولين عشان تبلغها الأخبار، وقتها سامر كان بيراقبك، وطبعًا كان من السهل بعد كده إننا نزرع كاميرات في البيت ونشوف ونسمع كل مخططاتكوا.

اندهش جمال يشعر بالغباء، حدق بهشام بازدرء مستخبرًا:

- معنى كده إن محدش ضربك بالنار يومها.
- اسم الله عليك.. ما انت ذكي أهو.
- بس لعلمك أنا مش غلطان في كل اللي عملته.
- وأنا مش مستغرب رد فعلك، أكبر المجرمين في التاريخ قالوا كده لحظة القبض عليهم.. كرولى، آل كابونى.. وغيرهم كثير ما انت عارف.
- بجد؟! ليه شايفنى سفاح ولا ماشي أقتل في الناس، ده راجل حقير، مريض ناس كتيرة بالمستلزمات اللي دخلها مصر، ودول كده ولا كده كانوا هيقتلوه وهو يستاهل الصراحة، وأنا سلمته ليهم وخذت اللي فيه النصيب.
- بقى مش مكسوف من نفسك وانت بتقول كده! ده مجرم يبقى يتقدم للعدالة... أنا بكلم مين؟ خلاص انت انتهيت.. انت مش بس اتورطت في الجريمة دي، انت كمان كنت هتورط نفسك في جريمة قتل لما فكرت تتخلص مني.

لم يردّ جمال، بل أطرق برأسه بعيداً يشيح بنظره بلا مبالاة؛ فطلب هشام من العسكري أن يأخذه من مكتبه.

خرج هشام من جهاز الأمن الوطني، تتغمده الفرحة لإتمام مهمته وتكليفها بالنجاح، لكن تلك الفرحة ليست سوى نقطة في بحر آلامه وحزنه، كاد يتخذ طريق منزله، لكنه سرعان ما تذكر أمر الخطبة متمثلاً:

- يا خبر أسود! زمان القيامة قايمة هناك.

انحرف عن ذلك المسار، واتخذ بدلاً منه طريق منزل لارا، وصل هشام وكان باب المنزل مفتوحاً وبه عدد لا يستهان به من أعمامها وأقاربها من الدرجة الأولى يواسونها حتى ظهر أمامهم هشام، تتحنّح ودخل بثقة من لم يفعل سوءاً، وألقى السلام عليهم، فهبّ والدها في وجهه صائحاً:

- أهو هلّ علينا بطلّته البهية، انتّ ليك عين تيجي لحد هنا بعد اللي عملته في بنتي؟! عملته في بنتي؟!

التفت هشام ساخطاً إلى منيرة ليجد عينيها تنقدحان غضباً؛ فحاول هشام يهدئ من ثأثرته، وأردف برفق:

- يا عمي ممكن تسمعني؟

- أسمع إيه وأنيل إيه!

- تدخل أحد أعمام لارا قائلاً برزانة:
- اسمعه بس يا عبد الحكيم وبعدين نحكم عليه.
 - أوماً الرجل على مضض وجلسوا؛ حيث ابتدر هشام:
 - أولاً أنا آسف يا عمي، آسف ليكونا كلكما.. بس دي كانت قضية أمن قومي، وصادف وقت المهمة وقت الخطوبة، الحقيقة إن المجرمين اختاروا المعاد ده بالذات عشان أكون مشغول عنهم وينفذوا مهمتهم بسهولة.
 - آه.. تقوم انتَ عشان تبقى البطل الشجاع، الطابط المخلص لشغله
 - تسيب بنتي وسط المعازيم وتهرب، ليه مفيش ظابط غيرك؟
 - أنا ماهر بتش يا عمي وماسبتش الحفلة غير بعد ما لبستها الدبلة، ولو ماكُتِش سبته وقتها كان ممكن أقتل أو الحفلة دي كلها تقلب ضرب نار، كان من ناس تانية تروح فيها، وأظن إن سيادة اللواء بنفسه فهمكوا الموضوع.
 - وأنا كل ده مايهمنيش، انتَ ماقدَرْتش بنتي وفضّلت عليها شغلك.
 - نهض هشام ساخطاً، وخلع الدبلة من يمينته ووضعها على الطاولة أمام والدها قائلاً:
 - وأنا كده عملت الي عليّا، وأدي دبلتها أهي.. سلام.
 - التفت عبد الحكيم إلى منيرة هادراً:
 - شايقة الي كنتي بتحكي وتتحاكي بيه، شايقة آخرة تربيتك.
 - لم يكمل حديثه حتى فوجئ بهشام يمسكه من تلايبيه بعنف صائحاً بهياج:

- أنا ساكت لك من الصبح عشان انت راجل كبير، لكن أقسم بالله..
ورحمة أبويا لو فكّرت بس تضايق منيرة بكلمة ما هرحك.

تركه هشام بقوة ليسقط الرجل على الأريكة خلفه، ومضى هشام يمسك بيد منيرة لتذهب معه، لكنها سحبتها منه بغضب؛ فأشار لها بنظرة توّسل ألا تفعل، وأمسك يدها ثانية؛ فأذعنت لتوسله حفاظًا على ماء وجهه، وقبل أن يغادرا تمامًا استوقفهما صوت ذلك الرجل ساخرًا:

- زعلان من كلامي وبيناديلها منيرة وكأنها بتلعب معاه في الحارة مش
الست اللي ربّته.

تسمر هشام مكانه وكأن كلمات عبد الحكيم سهامًا اخترقت جسده،
أضرمت النيران في صدره، والتفت إليه بوجه دام وكاد يعود له، لكن أوقفته
منيرة وهزت برأسها ألا يفعل؛ فرضخ لطلبها وغادر معها.

في منزل هشام:

دلفت منيرة إلى غرفتها مباشرة مخلفة سحابة من الحزن والضيق، وقف
هشام في الصالة زافرًا تتخلّل أصابعه شعر رأسه باستشاطة؛ فباغتته حين
بضمّه تستلق برأسها على صدره؛ مما أثار تعجبه في تلك اللحظة، فنظر لعماد
بدهشة ليراه باسمًا، ثم التفت إليها متسائلًا فأخبرته:

- أنا أسعد واحدة في الدنيا النهاردة.. أخيرًا خلّصت من البتّ اللزقة
دي، ودلوقتي بقا مفيش حاجة تمنعك عن حبك، ولا إيه؟!!

فكر بحديثها، وتنهد قائلاً:

- شايعة كده؟! -

تدخل عماد:

- يا عم انتَ لسه هتفكر؟ خلاص السكة اتفتحت قدامك.. شوط بقى.

- طب ومنيرة؟ -

أجابته بابتسامة هادئة:

- ادخل هديها بكلمتين حلوتين من بتوعك وكل حاجة هتبقى تمام.

وقف هشام بيدّل نظره بينهما؛ فدفعاه ناحية الغرفة؛ فطرق الباب ودخل ليحدها تعلقّ ملابسها في دولابها دون الالتفات إليه، فاقترب منها وأمسك يدها لتنتبه إليه؛ فالتفتت نحوه تشهر سبابتها في وجهه هاتفة بضيق:

- عايز إيه مني يا هشام؟ مش عملت اللي في دماغك خلاص.. سيّيني بقى لو سمحت دلوقتي، ومن بكرة أنا ماليش قُعاد في البيت ده.

أمسكها هشام بإصرار وأجلسها على السرير، ثم جثأ أمامها على الأرض وألقى برأسه على ساقها، وأردف برفق:

- فاكرة يا منيرة زمان وأنا صغير؟ كان لما حاجة تضايقني أجري عليكي وأقعد القعدة دي، وانتِ تمسحي بإيدك على شعري وتسأليني على اللي مضايقني وبعدها تحضنيني، انتِ الوحيدة اللي كنت بطّلّع لها كل اللي جوايا حتى لو كنتي انتِ اللي مزعلاني، والنهاردة ابنك موجوع قوي، موجوع عشان حاول يرضيكي بحاجة هتهدّ له حياته، انتِ كان كلّ همك

إنك تَطْمَني عليّا، بس لارادي كانت آخر واحدة ممكن أعيش معاها السعادة
والاستقرار.. أنا بحب يا منيرة، والبنت الي بحبّها دي ملّت قلبي وعنيّا، مش
قادر أشوف بنت غيرها ولا أتخيل حياتي غير معاها.

رفع رأسه ليواجه عينيها متسائلاً:

- انتِ فهماني، صح؟

تلاّات الدموع في عينيها، وأمسكت بوجهه بين كفيها بحنان، قبّلت جبهته
واحتضنته قائلة بأسف:

- أنا آسفة يا حبيبي، آسفة إني مافهمتش الي في قلبك ده بدري
وخليتك تعاني كل ده، وأكيد هي كمان زمانها موجوعة قوي وهي بتشوف
حبيبها بيتخطب لواحدة تانية.. صحيح هي اسمها لإيه؟

ابتسم وأجاب:

- جنة.

- طب مش تروح تطمّن قلبها بقى!

- انتِ.. قصدك أروحلها دلوقتي؟

أومأت برأسها عدة مرات؛ فاتسعت ابتسامته وقبّل يديها بامتنان، ونهض
ليغادر؛ فأوقفته حين:

- إيه رايع فين؟

- رايع لها.. هتسامحني، صح؟

اتسعت ابتسامتها وأومأت قائلة:

- أكيد.

ففتح الباب ليغادر، ثم عاد وقبل رأس أخته متممًا "شكرا"، ثم غادر.

كانت جنة تجلس في التراس الخارجي للمنزل، حينما توقفت سيارة هشام أمامه، لم تسمع صوت مكابحها ولا تهتم لأمر العالم من حولها؛ فقد عزلتها أحزانها في كوكبة لم تستطع الخروج منها، لكن ثمة شخص واحد بإمكانه ذلك وها هو يقف أمامها، الشيء الذي لم تستطع تفسيره، هل هي تتخيل أم أنه أمامها فعلاً؟! وإن كان أمامها ماذا يفعل هناك؟! تدور برأسها العديد من الأسئلة، لكنه أجاب لها على أول سؤال حينما تحدّث؛ فعلمت أنها لا تتوهم:

- ازّيك يا جنة؟

اتنفّص قلبها وكأنها غابت عن الحياة وقد أنعش قلبها من جديد، فوجدتها فرصة مناسبة لإخراج ما تكتُم حتى لا تموت حسرةً:

- انتَ ازاي تيجي هنا تاني برجليك؟ إيه مابقاش حد هامك؟ وكمان

بتسألني ازّيك؟ إيه كنت مستنّي تيجي تلاقيني بقطّع في شعري ومقهورة ومنهارة مثلاً..

- جنة.. جنة اهدي أرجوكي واسمعييني.

- إيه اهدي دي؟ انت شايفني مجنونة؟ وانتَ بقى بعد ما خلّصت السهرة مع خطيبتك المصونة جايلي ليه؟
- انتَ عرفتي ازاي إن خطوبتنا كانت النهاردة؟
- والله! ده اللي فارق معاك عرفت ازاي؟ من ده.
- وضعت هاتفها أمام ناظريه مفتوحًا على حساب الفيس بوك، وتابعت بهيستريا:
- شايف الفيديو ده كمان؟ وبص.. بص الصورة دي حلوة قوي، مش كده؟ انهارت ولم يعد بمقدورها التظاهر أكثر من ذلك، وجاء وقت العتاب:
- ليه عملت فيّا كده؟ جاوبني ماتفضلش ساكت وتبص في الأرض..
- بص لي أنا وقوليّ أنا آذيتك في إيه؟
- طالعتها والدموع بعينيه:
- والله أنا حبيبتك بجد. ماقدرتش أكون لحد غيرك.
- انتَ هتجنّني، أو مال الصور والفيديوهات دول إيه؟
- يا جنة أنا كنت مجبور على الجواز منها قبل ما أعرفك..
- قاطعته غير مبالية:
- قديم قوي جو مجبور ده، وكمان انتَ مش بنت ولا شخص ضعيف عشان حد يجبرك على الجواز من واحدة مابتحبهاش.
- محدش أجبرني آه، بس يمكن ضميري أو إحساس إنك عايز تفرّح حد له فضل عليك.. لارا تبقى بنت أخت منيرة مرات أبويا، الست اللي

رَبَّنِي بعد أُمِّي وَأَبُيَا مَا مَاتُوا وَمَاتَجَوَزْتُش عشان تربييني أنا وأختي لحد ما بقيت الرائد هشام الي انت شايفاه دلوقتي، كانت أمنية حياتها أَتَجَوَزْ لارا، وخطبتها قبل ما أشوفك بأسبوع بس، بعد ما حببتك ماقدَرْتُش أكمل معاها، كنت هفسخ الخطوبة من كام يوم، بس للأسف كارولين كانت خطَّتها إنها تخلص مني في الخطوبة وتنفِّذ مهمتها في نفس الوقت، ولما عرفنا كده ماكانش ينفع ألغيناها، كانت مجرد كمين وكنت مجبور للمرة الثانية إني أكمل، بس خلاص مابقتش قادر، المرة دي فسخت الخطوبة ونهائي، ومفيش أي حد هيقدر ياخذ مكانك في قلبي.

- والمفروض إني أصدق!
- لازم تصدِّقيني عشان مستحيل أكذب عليك.
- ما انت كذبت قبل كده، عيشتني أجمل أيام حياتي وفجأة قلبت حياتي جحيم.. حرام عليك بقى سيبني في حالي.. سيبني في حالي.
- قالتها والبكاء ينال منها؛ فلم يجد سبيلاً سوى ضمها إليه؛ فحاولت التملص منه، لكنه زاد في ضمها تنهمر دموعه على رأسها، بينما ابتعدت عنه
- ثائرة:

- إياك تفكّر تلمسني تاني، أنا مش الحيلة المائلة الي تيجي تقضي معاها أوقات حلوة وتروح تخطب واحدة تانية، واتفصل لو سمحت.
- يعني مش هتسامحيني.
- مش هقدر أسامحك.. امشي لو سمحت.

ذهب من أمامها وظلت ترقب طيفه بقلب ممزق، حتى سقطت أرضاً وغرقت في دموعها تزداد شهقات نحيبها، إلى أن سمعت صوتاً أخرس الحياة من حولها.. صوت طلق نارى يدوي صدها في المكان، ارتجف قلبها وارتعشت أوصالها تجرّ ساقها بسرعة حتى خرجت ليصدمها هول المشهد الذي كان أكبر من أن تحتمله عيناها، أو أن يصمد له قلبها، كيف تكون تلك النهاية وهي لم تقررها بعد؟! كيف تُسلب منها حياتها بهذا الشكل؟! لم تتخيل أن نهاية كل شيء كانت تقف على أعتابها، وما إن حان وقتها أسدلت الستار ورفعت رابتها.

- هشاشاااااااااااااااااام!

الفصل الثالث والعشرون

"خوف وبكاء"

كان المنظر مهيباً مروّعاً حينما شاهدت جنة حبيها مسجياً على وجهه تخرق ظهره رصاصة وقد فقد الوعي، جعلت تصرخ بهيستريا:

- هشاشاشاشام.. هشام فوووق.. يا مالالك.. أحمد.. الحقوووووني.
خرج على صراخها مالك وأحمد وسارة، وأصابهم ما أصاب جنة من هول الموقف؛ فبادر مالك بطلب الإسعاف.
بعد دقائق وصلت الإسعاف ورافقتة جنة، وتبعها مالك وأحمد بسيارتهما، وفي غضون دقائق وصلوا المشفى، ومن ثم أدخلوا هشام إلى غرفة العمليات على الفور وتبعه الأطباء وطاقم التمريض.
في تلك الأثناء كانت جنة تبكي، وسألت إحدى الممرضات قبل أن تدخل إلى غرفة العمليات:

- لو سمحتي! هو.. هو حالته خطر؟
ربت الممرضة على كتفها قائلة بأسى:
- ادعيله.. إن شاء الله خير.
انهارت جنة وتهاوى جسدها لتسقط محلها؛ فتحرك أحمد صوبها وجلس بجانبها يربت على كتفها محاولاً تهدئتها:

- ماتخافيش.. إن شاء الله هيقوم بالسلامة، تفاءلوا خيرًا تجدوه، مش انت دايماً بتقولي كده! اتفاءلي خير وادعيه وربنا هيستجيب، خلي أملك في ربنا كبير.

أومأت رأسها عدة مرات تمسح بدموعها؛ ليحل محلها دموع أخرى عن غير إرادتها، فتساءلت:

- هو مالِك فين؟

- بيكمل إجراءات المستشفى، ولأن طبعًا دي جريمة قتل هتلاقي البوليس جاي يحقق معنا؛ لأنه اتضرب عندنا.. صحيح هو أهله عرفوا؟
- لا ماعتقدش.. بس.. بس تليفونه معايا.

- طب كويس، افتحيه وكلميهم.

أخرجت هاتفه، لكنها زفرت خانقة:

- أوووف.. فيه باسوورد.

- طب حاولي تجربي أي أرقام تواريخ مهمة بالنسبة له، أو اسم حد قريب منه.

أخذت تجرب تاريخ ميلاده واسمه بأكثر من صيغة دون طائل من ذلك؛ فتطرق إلى ذهنها أن تضع اسم خطيبته أو تاريخ خطبتها، لكن كل محاولاتها أضحت هباءً منثورًا، فضجرت من ذلك؛ فحاول أحمد مساعدتها قائلاً:

- طب ممكن تديني أنا أحاول.

نظرت له بتعجب؛ فمن أين له بمعلومات عن هشام، لكنها أعطته له على أي حال هاتفهً بذعر:

- خد، أنا مابقاش فيا أعصاب.

ثم تركته ونهضت مسرعة نحو باب غرفة العمليات تحاول رؤية أي شيء عبر الزجاج، لكن الستائر قد أُسدِلت بالفعل؛ فأخذت تبكي تضم قبضتيها على صدرها وتتمتم بالكثير من الأدعية ترجو الله أن يبعث لها بإشارة اطمئنان ليستكين قلبها، لكن وإن كان فحالتها لن تدعها لترى شيئاً.

فاجأها أحمد بعد محاولته الثالثة بفتح الهاتف؛ فاندحشت قائلة:

- إيه ده عرفته ازاي؟

- لمحته لما كان عندنا وهو يفتحه، كنت فاكّر أول كلمة لأنها طبعاً ماتتنشيش والثانية خمنتها.

رمقته بعدم فهم من خلف دموعها تحته على الاسترسال فتابع:

- Ganna love ده كان الباسوورد بتاعه.

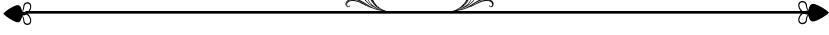
زادت في بكائها الذي لم يتوقف؛ فسألته بقلب ممزق يتلهف للاطمئنان:

- هيبقى كويس.. مش كده؟

وضع كفه على يدها، وأطبق جفنيه مطمئناً:

- هيبقى كويس.. إن شاء الله هيبقى كويس.. أنا هقوم أكلم أهله،

مش هينفع تكلمهم وانتِ منهارة كده، صحيح هي مرات باباه اسمها إيه أو مسجله هنا إيه؟



- مش عارفة مسجلها إيه، بس.. أفكر قالي اسمها منيرة.
- آه خلاص لقيته.
- انزوى أحمد بأحد الأركان وهاتف منيرة، وألقى عليها تلك الخبرية الصادمة وفهم مما سمع أنها فقدت وعيها؛ فصرخت ابنتها "ماما.. مالك يا ماما؟"، وتحدث إليه عماد متسائلاً عن كنهه وبم أخبرها؛ فتلقى هو الآخر الصدمة.
- بعد القليل وصل عماد ومنيرة وحنين إلى المشفى ليجدوا جثة تشبث بباب غرفة العمليات، ومالك وأحمد جالسين على المقاعد أمام الغرفة؛ فصرخت منيرة:
- ابني فين؟ إيه الي حصل لابني؟ هو كويس، مش كده؟
قام مالك وحاول تطمئنئتها:
- اهدي يا أمي.. هو دلوقتي في العمليات، إن شاء الله يقوم بالسلامة، ادعيه.
- أضحّت تدعو بقلب أمّ يتلهّف لسلامة قطعة منه "يا رب.. يارب، أنا ماعنديش غيره هو وبنتي، أتوسل إليك يا رب خد من عمري واديله وقومه بالسلامة".
- أخذت حنين تنتحب وتضم والدتها، بينما تساءل عماد:
- طب الرصاصة جاتله فين؟ ومين الي عمل فيه كده؟

مالك: ماشوفناش الي ضربه، بس الظاهر كان حد مراقبه، والرصاصه جات في ظهره من ناحية الشمال.

حينذاك وصل سامر يغزو القلق ملامحه، وأردف مستخبراً:

- ها يا جماعة؟ مفيش أي أخبار من الدكاترة؟

عماد: لا للأسف لسه.

توجه سامر إلى جنة فانتبهت له، لكنها لم تستطع أن تطالعه بعينها المغرورقتين؛ فأردف بأسف:

- آنسة جنة، أنا عارف إن الي بيحصل معاكي دلوقتي صعب..

ثم تنهد وتابع:

- بس حضرة الظابط من المباحث عايز ياخذ أقوالك.

هزت رأسها بعنف:

- أنا مش هتحرك من هنا قبل ما أطمّن على هشام.

- بس يا آنسة جنة انت لازم تساعدنا عشان نقدر نوصل للي عمل

كده فيه.

- بس أنا ماشفتش حاجة.. أرجوك.. هعمل كل الي انتوا عايزنه، بس

أطمّن عليه الأول.

انضم إليها أحمد، وقال:

- معلش يا حضرة الظابط انت شايف حالتها، أنا ومالك هنيجي

معاك وممكن تأجل الكلام معاها لحد ما هشام يطلع.

أوماً سامر موافقاً، وذهب معها إلى حيث ينتظرهما الضابط لأخذ إفادتهما، بينما نهضت منيرة عن مقعدها، واتجهت صوب جنة؛ فالتفت لها جنة لا تستطيع منع نفسها من البكاء، ودون أن تشعر ارتمت بين ذراعيها وكأنها تعرفها من قبل، ربما لأن هناك رابط بينهما وهو حب هشام، ضمتها منيرة وزادت في ضمها، تربت على رأسها ومضت تتمتم:

- أنا الغلطانة يا بنتي ساحيني، أنا اللي بعدتُه عنك، وهو دلوقتي الي بيدفع تمن غلطتي.. أجبرته على ظلم بنتين وفكرت إني بعمل له الصالح.

أجهشت جنة بالبكاء، ثم ابتعدت عنها قليلاً تمسح دموع منيرة، وقالت:

- ماتقوليش كده.. وماتخافيش هشام هيقوم ويرجع لنا تاني، صدقيني، هو وعدني وهشام ماخلفش وعده معايا ولا مرة.

بثت تلك الثقة النابعة من جنة بعض الطمأنينة بقلب منيرة فأومات موافقة، ومن ثم وقف الجميع ينتظر خروج أحدٍ يخبرهم أي شيء، تُرتل حين ما تيسر لها من القرآن، وتتمتم منيرة بالأدعية، وتحدث جنة حبيبها من وراء حجاب على يقين من أن كلامها يصل إلى قلبه ويسمعها بكل جوارحه وإن كان مغيباً عن الوعي.

خرج الطبيب من غرفة العمليات؛ فركض الجميع نحوه متسائلين بلهفة وخوف جليّ، وعلى رأسهم منيرة:

- ابني عامل إيه يا دكتور؟ أرجوك طمّن قلبي.

تنهد الطبيب بأسف، وكأنه لا يودّ كسر قلب تلك الأم الذي بدأ القلق يميّتها بالبطيء، لكن ما باليد حيلة، انطلق قائلاً:

- هكون صريح معاكوا، الرصاصة جاتله في مكان خطر جداً، ده غير إن قلبه وقف مرة وأنعشناه بصعوبة، احنا عملنا الي علينا، لكن حالته ما زالت خطر، ادعوه.. هو محتاج دعواتكم دلوقتي أكثر من أي حاجة.

صاحت جنة بفزع تصرخ بهيستريا:

- قصدك إيه؟ قصدك إن هشام ممكن يموت؟! لا هو مش هيموت هو وعدني مش هيسيبني.. وعدني إنه هيرجلى تاني، هو.. هو قالّ إنه هيسيبني بس أفكر وأراجع نفسي، هشام مش هيمووت سامعني؟ مش هيموت.. اتصرّف.. ادّيله أدوية.. اعمل أي حاجة..

جعلت تصرخ في الطبيب وتُهزّي بكلام بلا معنى حتى انهارت، وسقطت مغشياً عليها؛ فطلب الطبيب من الممرضات نقلها إلى غرفة وأعطاهها مهدئاً؛ فخلدت إلى النوم مُجبرة، كان بجانبها أحمد ومالك يتبادلان النظرات بوهن وأسف؛ فأردف أحمد:

- ليلة طويلة وصعبة.

تنهد مالك بأسى:

- ربنا يعدّها على خير، مش عارف.. على الرغم إنّي ماكتشّ طايقه من

الي عمله فيها، لكن زعلان عليه جداً وعليها هي كمان.

- هشام حبّها بجد.

- وهو الي بيحب حد بيكذب ويخبي عليه إنه خاطب، وكذب علينا احنا كمان وخلصنا مغفلين.

- هي دي الحقة الي مضايكاك منه؟ دي الي وجعاك قوي؟! لأنك حبيته وانسجمتوا قوي مع بعض كأنكوا أصحاب من سنين على الرغم إنك مابتصاحبش حد بسهولة، وأظن إن هو كمان كده.. بص أنا مش عارف هو عمل كده ليه؟ بس متأكد من حبه ليها؛ لأنني شفتُه في عنيه وفي خوفه عليها. استفاقت جنة بعد ساعتين من نوم لا يخلو من الكوايس التي أجبرتها على الاستيقاظ، وجدت أحمد نائمًا على الكرسي بجانبها، وألقت نظرة على الساعة المعلقة على الحائط أمامها لتجدها السادسة صباحًا، كانت بضع ثواني حتى استوعبت الموقف واستجمعت الصورة؛ فانتصبت ووثبت من فراشها مما أفزع أحمد من نومه:

- إيه.. إيه؟ حصل حاجة تاني؟
- انتوا أزاى تسيبوني نايمة؟ هشام فين؟ ويعني إيه تاني؟ هو هشام حصل له حاجة؟

- بس بس اهدي مفيش حاجة، خضتيني ربنا يسامحك، هشام زي ما هو في العناية المركزة مستنين يفوق.

- أو مال إيه الي حصل؟
- مفيش يا ستي، خالتك طبعًا ماعدتتش الحدث كده؛ فاتصلت بأبوكي وقالتله على كل الي حصل، وطبعًا شوية شطة من عندها

كالعادة، أبوكي شاط واتّصل بينا وقعد يهزأنا شوية، ومالك راح له قبل ما ييجي ويحصل مشكلة هنا.

- طب ودّيني عند أوضة هشام.
- أوك يلا، بس انت كويسة؟
- آه آه يلا.

وصلت جنة إلى غرفة العناية المركزة التي يرقد بها هشام؛ لتجد منيرة تجلس أمامها تمسك بمصحف بين يديها وتقرأ منه ابتغاء شفاء ابنها، بينما أسندت حنين رأسها على كتف عماد، ورضخت إلى سلطان النوم بعد تلك الليلة الشاقة.

وقفت جنة أمام نافذة الغرفة تطالع هشام بنظرات حزن وتوسّل، توسّل ألا يتركها، ترجوه بأن يعود إليها من جديد، تتذكّر جميع مواقفها معه، منذ أول لقاء في محطة المترو لحظة قبضه عليها، وكيف كان هو نفسه مصدر الأمان لها؟ لحظات التحقيق معها.. مكالماتها.. رسائلها.. لقاءاتها وضحكاتها، كل شيء مرّ أمام عينيها كشريط عرض سينمائي، هل ظهر في حياتها بتلك الطريقة ليغادر بهذه السرعة!

خرجت ممرضة من عند هشام؛ فاستوقفتها جنة قائلة:

- هو أنا ممكن أدخل شوية لو سمحتي؟ مش هقعد كثير.. أرجوك.
- أومأت الممرضة بعد تفكير، ثم طالعت جنة منيرة بتساؤل؛ فأومأت لها موافقة هي الأخرى.

دخلت جنة إلى الغرفة تجرّ قدميها، أحضرت مقعدًا وجلست إلى جانبه تتأمل وجهه الشاحب المتألم وشعره المغطى بغطاء رأس بلاستيكيّ، مدّت يدها المرتجفة لتستقر على يده، ومضت تتمتم:

- هشام! أرجوك كفاية كدّه بقى وقوم.. أعصابي مابقتش مستحيلة بجد، وبعدين ماينفعش تكون بالضعف ده.

خانتها دموعها؛ فسالت من عينيها بحرقة، لكنها تابعت:

- هشام، انت سألتنى قبل كده بثق فيك ولا لأ.. فاكّر جاوبتك بيايه؟ قولتلك إني بثق فيك أكثر من نفسي زي ما دلوقتي واثقة إنك هتهزم كل حاجة عشان ترجع لي ونكمل سوا.. أصلاً مش هقدر أكمل من غيرك، عايزاك ترجع تاني سيادة الرائد المغرور.. طاووس الأمن الوطني. أجهشت بالبكاء وانكبت بوجهها على يده فارتعش أصبعه، انتبهت لحركته؛ فلاح على ثغرها ابتسامة أمل، وهزت رأسها واستطردت:

- عارفة.. عارفة إنك سامعنى وهترجع لي.

جاءت الممرضة لتخبرها بأنها يجب أن تخرج؛ فأشارت لها موافقة، وضعت يده على السرير برفق ومسحت دموعها، وخرجت بعد أن ألقت عليه نظرة أخيرة.

النهاية

كانت الساعة العاشرة صباحًا حينما تفاجأ الجميع بحضور سامر متسائلًا
عن حال هشام؛ فأجابه عماد:

- مفيش جديد.
- احنا عرفنا الي ضربه وبيتحقق معاه دلوقتي.
- إيه ده؟ قبضتوا عليه بالسرعة دي؟
- في الحقيقة مش احنا اللي قبضنا عليه، هو الي جه سلّم نفسه.
- وده يطلع مين بقى؟
- يبقى أخو النقيب جمال.
- النقيب جمال اللي هشام قبض عليه؟
- بالضبط كده.
- آه يا ابن الكلب، جاي ينتقم يعني!
- حينذاك وصل طارق والد جنة، يتجلى على وجهه علامات الانزعاج، لكنه حاول أن يضبط أعصابه مراعاة لحالتهم، وأردف:
- السلام عليكم.. أنا والد جنة.
- رحّب به عماد مصافحًا، وردت منيرة:
- أهلاً بحضرتك.
- ألف سلامة على سيادة الرائد، ربنا يقوّمه لكم بالسلامة.

- اللهم آمين.
- أُتَّجِه صوب جنة، وأردف بصوت خافت:
- يَّا بينا يا جنة.. وحسابنا بعدين في بيتنا، مفيش بيات عند خالتك تاني.. يَّا قدامي.
- أصابَت الصدمة جنة بالصمت ولم تُصدر أية رد فعل؛ فكرر والدها على مسامعها:
- يَّا يا جنة امشي معايا بهدوء.
- هنا كان من الضروري أن تُحل عقدة لسانها، وقالت دون أن تنظر في وجه أبيها:
- أنا آسفة يا بابا.. مش هقدر أمشي من هنا قبل أما أطمئن إن هشام قام بالسلامة.
- لاحظت منيرة ما يجري بينهما، لكنها لم تتدخل؛ فقد كانت تتمنى في قرارة نفسها ألا تغادرهم جنة، لكنها ليس بوسعها التدخل بينها وبين والدها، في حين ارتفع صوت طارق:
- جنة بقولك يَّا، أنا بأمرك.. كفاية إنكوا كنتوا بتستغفلونا كل ده.
- يا بابا الموضوع مش زي ما حضرتك فاهم..
- انتهى الكلام، بقولك يَّا امشي معايا.
- جذبها من يدها؛ فتوقف أمامه أحمد قائلاً:
- يا عمي، لو سمحت بس اسمعني..

- انت بالذات تسكت خالص، حسابك معايا بعدين.
 حينذاك قاطعهم تدخل الأطباء وفريق التمريض وهم يشاهدونهم
 يركضون إلى غرفة هشام بعدما وصلهم إشعار من الأجهزة بتدهور حالته؛
 فدخلوا وركض الجميع يشاهدون ما يحدث من خلف الزجاج، وكانت حالة
 من الذعر والفرع تسيطر على أنحاء الغرفة بينما راحت منيرة تبكي وتنتحب،
 أصابهم ذلك المشهد في مقتل ما إن رأوا الطبيب يوصل الأقطاب بصدر
 هشام، ويمسك بجهاز الصدمات الكهربائية وشرع يصعقه به وينظر إلى
 الجهاز؛ فيرى خط النبض مستقيماً بلا ترددات، فيصعقه للمرة الثانية،
 فالثالثة، فالرابعة لكن دون جدوى، فhez رأسه يائساً، ووضع عن يده جهاز
 الصدمات؛ فدخلت منيرة تصرخ:

- ابني.. ابني جراه إيه؟! انت رايح فين؟ لازم تفوقه، مش هيموت،
 ابني ماماتش ماتسيبهوش وتمشي، أبوس إيدك اعمل حاجة..
 ظلت تصرخ وتوَلول، وراحت بجانبه تربت على شعر:

- هشام.. هشام حبيبي قوم، يلاً بقى مايقاش دمك ثقيل، طب..
 طب بص قوم شوف مين هنا.. جنة.. جنة واقفة برّه مستنيك ماتكسفهاش
 بقى، قوم خلاص مش هجوزك لارا ولا هغصب عليك في أي حاجة تاني،
 بس ماتسينيش والنبي ماتسيني لوحدي يا ابني، أنا من غيرك ولا حاجة..
 قوم يا هشام..... آه، حرام عليك يا ابني ماتوجعش قلبي عليك..

تبعثها حين لا يهدأ صراخ قلبها، شلت الصدمة أوصالها؛ فتحجرت الدموع بمقلتيها لثوان قليلة، ثم راحت تهزّ بجسد أخيها وكأنها توقظه من نوم ثقيل دون أن تتفوّه بحرف، فقط تبكي كطفلة أعرّضت والدتها عن الحديث معها، وعماد لا يُصدّق وليس لديه من القوة ما يعطيه لزوجته وحماته، الجميع في حالة صدمة وعدم تصديق، لقد فارق الحياة الآن ولن يكون موجودًا بينهم بعد تلك اللحظة، رفض تام وإصرار على عدم التصديق، ذلك ما يحدث عند فقدان أغلى الناس في حياتنا، تبهت الحياة ويسودّ العالم، تتجمّد الأصوات وتثبت الصورة، كل هذا يحدث في تلك اللحظة وما بعدها لا يعلمه إلا الله؛ فقد يُلهم ذوي الفقيد الصبر، وينعم عليهم بالنسيان مع مرور الزمن، إلا أن تلك الغصة عند تذكركم قادرة على شق الصدور، وانتزاع القلب حيًا.

دخلت جنة تتهدّج تسير كالإنسان الآلي، حاول أحمد استرداد وعيها، لكنها لم تعد هنا الآن، ربما تركتها روحها لتقابل مَنْ أَحَبَّتْ، لكن الجسد يتحرك للجسد، اقتربت منه وقبعت على الأرض بجانبه، أمسكت بيده وبدأت تتحدّث من بين دموعها تعاتبه وما زالت تحت تأثير الصدمة:

- هشام.. انت مش هتفوق بقى؟ كلهم افتكروك مُتّ، قوم بقى واثبتلهم إن أنا صح.. أنا عارفة إنك مش هتسبيني، مش انت قولتلي انت ليا وأنا ليكي وإنك راجعلي تاني، قوم قولهم عشان مش مصدقيني..

أجهشت بالبكاء وصرخت:

- هشاشاشاشام! أنا بقولك قوم، على فكرة مش انت لوحذك اللي بتعرف تؤمر وتنترفز، أنا كمان بعرف، ولو ماقمتش دلوقتي أنا مش هكلمك طول عمري، مش من حقك تسييني وتمشي، سامعني؟ فووووق بقااا...
دخل والدها يشعر بالأسى حيال ابنته، وعلى فقد ذلك الشاب في غمضة عين، أمسك بيد ابنته وأوقفها، ثم جذبها بإصرار إلى الخارج؛ فذلك ما كان يخشاه، أن يحدث ما لم تستطع ابنته يومًا نسيانه، بينما كانت تمسك هي بيد حبيبها تصرخ:

- لا يا بابا.. أرجو ووك، سييني، هشام هيصحى دلوقتي.. مش عايزة أمشي أرجو ووك.. ماتسيينيش يا هشاشاشاشاشام..
هشاشاشاشاشام!

بعد مرور سبعة أشهر:

- ألو.
- أيوه يا حبيبي مابتدش ليه؟
- يا حبيبتي أنا في مأمورية دلوقتي.
- طيب، أنا بس بتصل أفكرك إن النهاردة سبوع هشام الصغير ابن سارة ومالك.
- حاضر يا حبيبتي، انت فكرتيني النهاردة خمس مرات لحد دلوقتي.

- ما أنا بفكرّك وبرضه بتتأخر يا هشام.
- لا يا حبيبتى مش هتأخر إن شاء الله.
- طب أجّهزلك البليزر الكحلي ولا الأسود؟
- كحلي إيه وأسود إيه بس يا جنة؟! بقولك رايح أقبض على خلية إرهابية تقوليلى سبوع وأسود وكحلي!
- خلاص خلاص.. كل ده عشان سألتك أسود ولا كحلي! هجهزلك الرمادي.

جز هشام على أسنانه بغيظ قائلاً:

- اللي تشوفيه يا حبيبتى.
- أوك.. يلاً باي.. هشام!
- نعم؟
- خلي بالك من نفسك.
- خايفة عليّا؟
- ده سؤال برضه يا حبيبي؟ طبعاً خايفة عليك.. بحبك.
- وأنا كمان ب... احم هاجي في المعاد إن شاء الله ماتقلقيش.. آه وجّهزي الرمادي.

ضحكت وأغلقت الخط، فالتفت إلى السائق:

- احم.. شدّ يا ابني شوية خليّنا نخلّص من المهمة دي، وانا سبوع مش فاضيين.

كتم السائق ضحكته، وقال:

- حاضر يا فندم.

في المساء، حيث حفل السبوع بمنزل مالك، اجتمعت العائلة والأقارب والأصدقاء، وانطلقت أنشودة السبوع المعهودة لتطرب الموجودين ويتراقصون بالطفل الجديد مرحًا وفرحًا، وصل هشام متألقًا بسترته الرمادية وابتسامته الساحرة، قابله حماءه قائلاً:

- أهلاً يا هشام، ازيك يا حبيبي؟

- بخير والله يا عمي، عامل إيه؟

- الحمد لله يا حبيبي، عقبال ما أشيل عيالك انت وجنة إن شاء الله.

- ربنا يخليك يا عمي، أو مال طنط منال فين؟

- آه، مشغولة مع سلوى وسارة، دلوقتي ييجوا.

حينذاك جاء مالك مرحبًا بحفاوة:

- هشام الكبير وصل أخيراً.

عانقه هشام قائلاً في حبور:

- وأنا أقدر أتاخر برضه على هشام الصغير، ربنا يبارك لك فيه يا حبيبي.

- تسلم لي يا غالي.

تركه مالك كي يلبي نداء سارة، وانضم هشام إلى منيرة وجنة؛ فأردف هشام:

- يا جماعة أمي بتصغر مش بتكبر، إيه الحلاوة دي يا مونمون!

- أيّوه اضحك عليّا بكلمتين، أتأخرت كده ليه يا ابني؟
- غصب عني والله يا ماما، الشغل ما انتِ عارفة، وبعدين قفّلي على الموضوع ده أحسن جنة ما بتصدق.
- عندها حق.
- قوليله يا ماما.
- محم هشام قائلاً:
- آاه.. احم أومال البت حنين فين وعماد؟
- جايين في الطريق يا حبيبي.
- أنا جيّت!
- كانت ذلك حنين؛ فضحك هشام قائلاً:
- ياريتنا جيبنا سيرة مليون جنيه.
- كده يا هشام؟ ما اشي، أنا هسيكوا وأروح ألعب مع البيبي الصغير.
- تتم هشام بصوت خافت:
- هو برضه اللي صغير!
- ضحك عماد، بينما رفعت حنين حاجبها بتوعد قائلة:
- بتقول حاجة يا إتش؟
- لا يا حبيبي، ده عماد تقريباً كان عايزك في موضوع.
- أنا نطقت يا ابني؟ بتلبّسني!
- بيلبّسك؟!!

- عُمر حبيب خالو، وحشتني.. سيبك من جوز المجانين دول وتعالى احنا نلعب سوا.
- لا يا هثام أنا عايز أشوف البيبي.
- هثام! انت لسه حرف الشين ده ماضبطش عندك، روح ياخويا مع أمك شوف البيبي.
- ضحكت جنة ومنيرة؛ فقالت الأخيرة لهشام:
- طب إيه بقى مش عايز تفرّح قلبي وتحبيلي نونو صغير كده؟
وضع يديه في جيبه، وردّ بخبث:
- والله يا ست الكل أنا مستعد وماعنديش مانع، كلّمي بقى مرات ابنك يمكن تحنّ علينا.
- احمر وجه جنة، وارتسم الخجل على محياها، وقالت:
- احم.. ااا سارة.. سارة بتناديلي.
- ضحك هشام من قلبه؛ فضربته منيرة بخفّة تؤنّبه على إحراجها.
- بدأ حفل السبوع في التوهّج رافعاً راية السعادة، حمل هشام الطفل بين ذراعيه مرتدياً بدلة ضابط صغيرة، والتقط صورة سيلفي لهما، ورفعها على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وكتبَ عليها "المُقدم هشام العجمي، والظابط الصغنى هشام مالِك"، ثم رفع هاشتاج #إتش_مالوش_نهاية.



رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقبوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.